«نبكي، نضحك، نتلذّذ.»
مجلة مدام فيغارو

دوريان سوكيغاوا

ملذّات طوكيو

المركز الثقافي العربي

مكتبة 405

دوريان سوكيغاوا

ملذّات طوكيو

الكتاب

ملذّات طوكيو

تأليف

دوريان سوكيغاوا

ترجمة

حسين عمر

الطبعة

الأولى، 2018

الترقيم الدولي:

ISBN: 978-9953-68-887-9

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء ـ المغرب

ص.ب: 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف: 0522 303339 ـ 0522 307651

فاكس: 212 522 305726+

Email: markaz.casablanca@gmail.com

بيروت ـ لبنان

ص.ب: 5158 ـ 113 الحمراء

شارع جاندارك ـ بناية المقدسي

هاتف: 01 750507 ـ 01 352826

فاكس: 961 1 343701+

Email: cca_casa_bey@yahoo.com

دوريان سوكيغاوا

ملذّات طوكيو

رواية

مكتبة | 405

ترجمة: حسين عمر

المركز الثقافي العربي

العنوان الأصلي للرواية:

AN

© Durian Sukegawa 2013, 2015
All rights reserved.

نُشرت أولاً في اليابان عام 2013 من قِبل POPLAR PUBLISHING CO., LTD. JAPAN
ونُشرت طبعة معدّلة عام 2015 من قِبل POPLAR PUBLISHING CO., LTD.

نُشرت بالعربية بالاتفاق مع POPLAR PUBLISHING CO:, LTD.
ممثَّلاً بـ Japan UNI Agency, Inc., Tokyo و The Agency srl

مكتبة

telegram @ktabpdf

telegram @ktabrwaya

تابعونا على فيسبوك

جديد الكتب والروايات

1

دوراهارو، متجر لبيع فطائر **دورایاكي**.

يقضي سينتارو نهاراته واقفاً خلف الصاج الحامي لخَبز الفطائر.

كان متجره يقعُ في نهاية الطريق المحاذي لسكّة الحديد، في الشارع التجاري المسمّى ساكورادوري، «شارع أشجار الكرز». لكن الشارع كان يتميّز بعدد المحال التجارية المغلقة أكثر ممّا كان يتميّز بأشجار الكرز المزروعة على نحوٍ متناثر هنا وهناك. على الرغم من كلّ شيء، بدا في هذا الموسم أنّ هناك من المارّة فيه أكثر ممّا هو معتاد. ربّما كانت أزهار الأشجار هي التي تجذبهم.

لاحظ سينتارو وجود امرأة عجوز واقفة بلا حراك على حافة الرصيف دون أن يُعير أهمية لذلك. ركّز اهتمامه على الوعاء الذي يمزج فيه الحشوة. كانت شجرة كرزٍ تنتصب أمام المتجر وقد غزا الزهر أغصانها في مشهدٍ أشبه بكتلة من السحب الصغيرة في حالة غليان. اعتقد سينتارو أنّ المرأة العجوز تتأمّل منظر الشجرة تلك.

غير أنّه حينما رفع رأسه بعد ذلك ببرهةٍ، لم تكن السيّدة التي تعتمر قبّعة بيضاء قد تحرّكت من مكانها. ثمّ أنّها لم تكن تنظر إلى

شجرة الكرز وإنّما إليه هو. ألقى عليها التحية على نحوٍ عفوي. ارتسمت حينها ابتسامة خفيفة على شفتيها واقتربت بخطوات بطيئة وقصيرة.

تذكّرها سينتارو. كانت زبونة سبقَ لها أن جاءت إلى المتجر قبل بضعة أيام خلت.

«هذه، هناك».

مدّت إصبعها ببطء نحو ورقة الإعلان الملصقة على الواجهة الزجاجية. كان إصبعها ملتوياً مثل كلّابٍ.

«هل فعلاً ليست هناك حدودٌ للعمر؟»

أوقف سينتارو حركة ملعقته المصنوعة من البلاستيك.

«هل لديك أحدٌ للعمل هنا، ربّما أحد أحفادك؟»

من دون أن تردّ، غمزت المرأة العجوز بعينها.

هبّت الريح. اهتزّت شجرة الكرز. تساقطت بتلاتٌ ودخلت من البوابة الزجاجية نصف المفتوحة واستقرّت على الصاج الحامي.

«حسناً...»

مدّت المرأة العجوز رقبتها نحوه.

«ألا تريدني أن أعمل هنا؟»

قال سينتارو مندهشاً:

- ماذا؟

أشارت بإصبعها إلى نفسها.

«لطالما حلمتُ أن أقوم بهذا العمل»

ضحك سينتارو، حتى من دون أن يكون لديه الوقت ليسأل نفسه إن كان ذلك وقاحة منه.

- كم عمركِ؟

- ستّة وسبعون عاماً بالتمام والكمال.

كان سينتارو يفكّر في انتقاء كلماته وهو يحرّك ملعقة المزج ويتساءل في نفسه: كيف يمكنني أن أصرفها من دون أن أجرحها؟

- آه... نحن لا ندفع أجوراً جيّدة هنا. بحسب الظروف الراهنة، نحن لا ندفع سوى ستمائة ين مقابل ساعة كاملة من العمل، لكِ أن تتخيّلي.

- حقّاً؟ ماذا تقول؟

كانت السيّدة ترفع يدها إلى أذنها لكي تلتقط الكلام. فانحنى سينتارو نحوها. كانت تلك وضعيته التي يتّخذها لكي يناول **الدورایاكي** للأطفال والمسنّين.

- عندنا، الراتب ليس عالياً جدّاً. نحن نحتاج إلى شخصٍ لكي يعمل لدينا، لكن بالنسبة إلى شخصٍ في سنّكِ...

- أوه، هذا.

كانت إصبعها الملتوية تتبع خطّ الإعلان.

- بالنسبة إلى الراتب، سوف أقبل بنصف هذا المبلغ. ثلاثمائة ين.

- ثلاثمائة ين؟

- نعم.

كانت عيناها تبتسمان من تحت قبّعتها.

- نعم، ولكن... كلا، أعتقد أنّ هذا غير ممكن. العفو. أنا آسف حقّاً.

- اسمي توكي يوشي.

- ماذا؟

ربّما كانت السيّدة تعاني من ضعفٍ في السمع بعض الشيء. بدت وكأنها أساءت فهم جوابه. صالَبَ سينتارو يديه على صدره لكي يشير لها برفضه لعرضها.

- أنا آسف.

- حقّاً؟ فعلاً؟

ظلّت توكي يوشي جامدة في مكانها وهي تتفحّص سينتارو بعينيها. لم يكن لعينها اليمنى وعينها اليسرى الشكل نفسه تماماً.

- هذا عملٌ يتطلّب الكثير من الجهد البدني. أعتقد أنّكِ تفهمين قصدي...

فتحت فمها كما لو أنّها تريد أن تأخذ جرعة من الهواء، ثمّ أشارت فجأةً بإصبعها إلى مكانٍ يقع خلفها.

- شجرة الكرز هذه، مَن قام بزرعها؟

- ماذا؟

أدارت توكي وجهها نحو الشجرة وكرّرت قائلة: «تلك الشجرة، هناك».

رفع سينتارو عينيه نحو الأزهار المتفتّحة.

- ماذا تقصدين بعبارة مَن زرعها؟

- لا شكّ أنّ أحدهم قد قام بزرعها، أليس كذلك؟

- أنا آسف، لم تكن نشأتي هنا.

بدا أنّ توكي تريد أن تضيف شيئاً ما، ولكنّها حينما رأت أنّ سينتارو قد أمسك من جديد بملعقة المزج، ابتعدت عن المكان وهي تقول له: «سوف أعود».

سلكت الطريق في الاتجاه المعاكس للمحطّة. كانت مشيتها غير متناسقة كما لو أنّ مفاصلها متصلّبة. كفّ سينتارو عن متابعتها بنظره ليعود وينهمك في خلط عجينة الفطائر.

لمتابعتنا على تيليجرام اضغط هنا

لمتابعتنا على فيسبوك اضغط هنا

2

متجر دوراهارو، لم يكن هناك يوم عطلة. كلّ يوم، حوالي الساعة الحادية عشرة، كان الستار الحديدي لباب المتجر يُرفَع.

بشكلٍ عام، كان ذلك يحدث قبل أن يرتدي سينتارو مريوله بنحو ساعتين. يبدأ بالتحضيرات في ساعة متأخّرة جدّاً. ومن حيث المبدأ، بهذا الإيقاع، سوف لن يستطيع أن يُنجز العمل على ما يُرام بمفرده. ولكن في متجر دوراهارو، يجري العمل بطريقة خاصّة.

على سبيل المثال، بعد أن احتسى سينتارو القهوة المعلّبة لكي ينشط، ومثل كلّ صباح، دفع بقدمه الصندوق الورقي الذي سُلِّم إليه حتى أوصله إلى المطبخ. أخرج منه السطل البلاستيكي لحشوة **الآن** وهي عبارة عن حشوة محلّاة، مصنوعة من هريس الفاصولياء الممزوج مع قطع صغيرة من الفاصولياء. مزج سينتارو الحشوة الجديدة مع ما تبقّى من الحشوة من الليلة السابقة.

لم يكن ذلك أمراً مخالفاً للقانون، ولكن ما كان لأيّ متجرٍ للحلويات جديرٍ بهذا الاسم لينزل إلى هذا المستوى. كانت حشوة **الآن**، لكونها مجمّدة، تُحفَظُ جيّداً ولا تَفسَد. وحتى إذا بقيت لعدّة

أيام، لم تكن تفقد شيئاً لا من مذاقها ولا من جودتها. هنا، في هذا المتجر، كانت تتمّ الاستفادة من هذه المزايا.

في متجر دوراهارو، ومنذ عهد ربّ العمل السابق، كانت القاعدة المعمول بها هي استعمال حشوة الفاصولياء الاصطناعية. كان المورّد الذي يتعامل مع المتجر يُسلّم سطولاً بلاستيكية معبّأة بخمسة كيلوغرامات من الحشوة الصينية الصنع.

كان متجر دوراهارو يواصل العمل بصعوبة من دون أن يتعرّض لخسائر كبيرة وبالتالي الإفلاس ولكن أيضاً من دون أن يجتذب الكثير من الزبائن. إذ لم يسبق له أن أنفق كامل محتوى السطل من الحشوة في اليوم الواحد. كان باستمرار يبقى جزءٌ من الحشوة لليوم التالي. وبذلك كانت حشوة **الآن** المحفوظة في الثلاجة تُضاف إلى ما تبقّى من الحشوة في صبيحة اليوم التالي.

بعد خلط الحشوة القديمة مع الجديدة، كان سينتارو ينهمك في العمل على إعداد عجينة الفطائر. كان بعض المورّدين يزوّدونه بالعجينة أيضاً، ولكن لكونها تكلّف غالياً كان يقوم بإعدادها بنفسه.

كان يصبّ المكوّنات وفق المقادير المعتمَدة في إناء ويقوم بمزجها ومن ثمّ يقوم بتسخين الصاج. كان يستخدم مغرفة في سكب كميات صغيرة من العجين الرائب على الصاج، فيحصل على شرائح يفرشها لاحقاً في فرنٍ زجاجي وتبقى فيه إلى أن تصبح فطائر **دورایاكي**: وهي عبارة عن شريحتين من العجين، على شكل فطيرتين صغيرتين، محشوتين بحشوة **الآن** المعدّة من الفاصولياء الحمراء.

بشكلٍ عام، كانت تلك ساعة فتح باب المتجر. يتنهّد سينتارو

بعمق ويرفع الستار الحديدي للبوابة من الداخل. لم يكن يغيّر لا في طريقة عمله اليومية ولا في طريقة تعبيره.

كان الوقت بعد الظهيرة، سينتارو جالساً على مقعدٍ في المطبخ، يتناول الغداء الذي كان عبارة عن طبقٍ اشتراه من السوبر ماركت. ظهرت له قبّعة بيضاء من الجانب الآخر للواجهة الزجاجية للمتجر.

«مرّة أخرى هي...»

ولأنّها ابتسمت له، اضطرّ سينتارو لأن ينهض من مكانه.

- آه، يا سيّدة يوشي، أهذه أنتِ؟

- نعم.

- ماذا تريدين؟

أخرَجَت توكي يوشي من حقيبة يدها ورقة كُتِبَت عليها أحرف بالحبر الأزرق. كانت كتابة من نوعٍ خاصّ. عبارة عن خطوطٍ متعرّجة ومتنافرة وغير متناسقة.

- يُكتَبُ اسمي بهذه الطريقة، بالأحرف الصينية.

- حسناً، اتفقنا...

ألقى سينتارو نظرة خاطفة على الورقة قبل أن يُعيدها إليها. «أنا آسف ولكن بشأن العمل هنا، هذا غير ممكن». حاولت توكي استعادة الورقة بأصابعها المشوّهة ثمّ سحبت يدها بهدوء.

- كما يمكنك أن تلاحظ... لديّ مشكلة صغيرة في الأصابع. ولذلك أنا موافقة على أن أتقاضى أجراً أقلّ. مائتي ين، سوف أرضى بهذا المبلغ.

- عن ماذا تتحدّثين؟

- عن الأجر الساعي.

أعاد سينتارو القول:

- ولكن المسألة لا تكمن في هذا. لا يمكنني أن أشغّلك في المتجر.

وكما في المرّة السابقة، اكتفت توكي بأنّ حدّقت فيه بثبات. تراجع سينتارو خطوة إلى الوراء ومدّ يده نحو فطائر **الدورياكي** المعروضة في الواجهة الزجاجية. كان سيقدّم لها قطعة كي يجعلها تنصرف.

وكما لو أنّها تخمّن، سألته على نحوٍ مباغت:

- هل أنت من تقوم بإعداد حشوة **الآن**، أيّها الرجل الشابّ؟

- آه... أقصد أنّ هذا سرّ المهنة.

على الرغم من مغادرتها للمكان، لا بدّ أنّ سينتارو لم يكن مطمئناً تماماً. التفت إلى الوراء، قلقاً. على صعيد العمل، كان سطل حشوة الفاصولياء الحمراء ينتصب بالقرب من صينية الطعام التي كان سينتارو قد جلبها من السوبر ماركت. كان غطاء السطل مرفوعاً وقد غُرزت ملعقة في الحشوة. تقدّم سينتارو خطوة نحو السطل لكي يخفي ذلك المشهد عن أنظار توكي.

- ذاتَ يوم، تناولتُ فطيرة **دورياكي** من هذا المحلّ، لم تكن عجينة الفطائر سيئة، أمّا حشوة الفاصولياء فكانت رديئة.

- الحشوة؟

- نعم. كانت حشوة عديمة الروح.

- عديمة الروح؟ هذا أمرٌ غريب.

على الرغم من أنّه كان يعرف تمام المعرفة بأنّ حشوته لم تكن لها أيّ روح، فقد أبدى سينتارو دهشته.

- أقصد أنّها كانت عديمة الطّعم.

- إنّه من الصعب إعداد حشوة الفاصولياء. هل سبق لكِ وأن قمتِ بإعدادها، يا مام...، أم ...، سيّدة يوشي؟

- لم أكفّ قط عن إعدادها. طيلة خمسين عاماً، قمتُ بإعدادها.

كاد سينتارو أن يترك من يده قطعة **الدورياكي** التي كان يتهيّأ لوضعها في كيسٍ ورقي.

- خمسون عاماً؟

- نعم. نصف قرن. مع حشوة **الآن**، كلّ شيء يكمُن في العاطفة. أتعلم ذلك؟

بينما يناول الكيس الورقي لتوكي، اجتاحت المفاجأة سينتارو مثل لفحة من الريح المباغتة.

- هذا صحيح، نعم... العاطفة.

- ولكن... عفواً. حقّاً لا يمكنني أن أُشغِّلكِ.

- حقّاً؟

- أنا آسف.

نظرت إليه توكي من جديد بثبات وهي تحدّق فيه بعينيها غير المتناسقتين في شكليهما، ثمّ بعد برهة من الوقت، أخرجت من حقيبتها محفظة نقودٍ مصنوعة من القماش.

- لا داعي لذلك.

- لماذا؟

نثرت قطعاً نقدية على الطاولة الصغيرة أمام الكوّة. كانت كلّ أصابعها ملتوية بعض الشيء. وكان إبهامها معقوفاً نحو راحة يدها.

- مائة وأربعون يناً، هل هذا يكفي؟

ولأنها كانت تمسك بالقطع النقدية بأطراف أصابعها المثلومة، احتاجت إلى بعض الوقت لكي تجمع منها قطعة نقدية من فئة مائة ين وأربع قطع نقدية من فئة عشرة ين.

- اسمع أيّها الرجل الشابّ...

- ماذا؟

- تذوّق لي هذه الحشوة لكي ترى.

أخرجت شيئاً ما من حقيبتها. عبارة عن علبة مدوّرة ومغلقة بإحكام. من خلال البلاستيك، لمح سينتارو فيها كتلة داكنة.

- ما هذا؟

بينما كان يمسكُ بالعلبة، كانت توكي قد ابتعدت عن واجهة المحلّ.

- ما هذا؟ أهي حشوة فاصولياء؟

أجابت توكي، وهي تغادر، بحركة من رأسها من على كتفها وتوارت عن الأنظار في زاوية الشارع.

3

في ذلك المساء، ذهب سينتارو لكي يشرب كأساً في مطعم «**سويا**»(*) أمام المحطّة.

أرفَقَ كأسه من شراب الساكي(**) الكحولي بطبق من التيمبورا(***)، ثمّ تناول طبقاً من **السويا** وهي نوعٌ من المعكرونة السوداء. كما واصلَ شرب الساكي وهو يتناول طعامه. أعاد التفكير في الأحداث التي وقعت بعد ظهيرة ذلك اليوم.

بعد مغادرة توكي، رمى العلبة المُحكَمَة الإغلاق في حاوية القمامة، كما هي على حالها من دون أن يفتحها أو يتفحّص ما في

(*) سوبا أو صوبا: هو الاسم الياباني للحنطة السوداء، وتُستخدم الكلمة ذاتها كاسم لنوع من الشعرية الدقيقة التي تُصنع من دقيق الحنطة السوداء، وهي من أشهر أنواع الشعرية المستخدمة في المطبخ الياباني.

(**) الساكي: شراب كحولي ياباني يُصنع من الأرز المخمّر ومكوناته هي الأرز والماء ويقدَّم بارداً أو دافئاً بحسب المواسم والأذواق، تتراوح نسبة الكحول فيه ما بين 18 إلى 20 بالمئة.

(***) تيمبورا: هو أحد الأطباق اليابانية والذي يتكون من المأكولات البحرية أو الخضراوات التي تُقلى بعد تغميسها بصلصة من الدقيق والبيض.

داخلها. ليس من دون تردّد ووساوس، ولكنّه لم يرغب في أن يتذوّق محتواها. ومع ذلك، كلّما كان يرفع غطاء الحاوية، كانت العلبة تصدم نظره. بعد مضي بعض الوقت، التقط العلبة من الحاوية. بدا له لو أنّه إذا ما تذوّق من العلبة، فلن يكون ذلك سوى لقمةٍ واحدة وسيكون بذلك قد أدّى واجبه. لكنّ اللقمة تلك جعَلته يرفع حاجبيه دهشةً.

لم تكن حشوة الفاصولياء خاصّة توكي تشبه في شيء حشوة السطل البلاستيكي. رائحتها ونكهتها كانتا غنيّتين وكاملتين.

«خمسون عاماً . . .»

حينما فكّر من جديد في ذلك المذاق الذي، بعكس كلّ توقّعاته، أذهَلَه، رفع سينتارو كأس الساكي إلى شفتيه.

«لم أكن قد وُلدتُ حتى».

أدار بصره نحو الإعلانات الصغيرة المُلصَقة على الجدار والتي تحمل أسماء أطباق الطعام الموجودة في المطعم. كانت مكتوبة بخطّ يد مالك المطعم الخاصّ بتقديم أنواع المعكرونة. ومثل كلّ مرّة، نظر فيها إلى تلك الخطوط المرسومة بالفرشاة، فكّر سينتارو بوالدته.

«هذه الجدّة. . . لا بدّ أنّها في عمر والدتي نفسه».

عاد إلى ذاكرته الظَّهر الهزيل والمقوّس لوالدته وهي تكتب على نحوٍ غير متناسق رسالة باستخدام الفرشاة، وورقة الرسائل المفروشة على الطاولة المنخفضة. مكتبة

في الأوقات الطبيعية، كان سينتارو يقطع تفكيره الحالم عند

هذه النقطة. كان يجهَد في أن لا يتذّكر والدته التي كانت قد توفيّت منذ زمنٍ طويل ووالده الذي توارى عن الأنظار منذ عشرة أعوام.

ولكن، في ذلك المساء، لم يستطِع أن يفعل ذلك. راوَدَته صورة والدته التي علّمته الكتابة عندما كان طفلاً من دون انقطاع.

«هذا ليس صحيحاً...»

أطلق تنهيدة فاحَت معها رائحة الكحول من فمه.

كان المستقبل عويصاً وعصيّاً على الفهم حقّاً.

فكّر في الطريق الذي سلكه في النهاية، في حين كان يرغب في أن يصبح كاتباً. حينما خرج من السجن، كانت والدته قد رحلت عن هذه الدنيا. لم يكن قد تخيّل قط أن تكون حياته اليومية كما هي عليه في السنوات الأخيرة هذه: أن يقضي وقته واقفاً على قدميه خلف الصاج الحامي وهو يخبز **الدورياكي**.

ملأ سينتارو كأسه بمشروب الساكي الخالص من دون إضافة أيّ شيء إليه. وأفرَغَه في جوفه في دفعة واحدة، كما لو أنّه يُزيل المرارة من على لسانه. والدته، كما هي في ذكرياته. كانت تستطيع أن تحافظ على كلماتها العذبة من دون أن تخفي تقلّبات مزاجها الكثيرة. أحياناً، كانت تنخرط في مشادّات كلامية حادّة مع والد سينتارو أو أنّها كانت تبكي وتصرخ بعد شجارٍ مع أحد أقاربها. كان سينتارو الطفل قد أُصيب بالذعر من جراء هذه التحوّلات. فجأةً، حينما كانت أمّه التي تحبّ الحلويات تجلس بفرح إلى الطاولة وأمامها قطعة **مانجو** وهي عبارة عن قطع صغيرة من الحلويات تُخبَز بواسطة البخار، أو أمام فطيرة من المعجنات، كان سينتارو يشعر أيضاً بالصفاء والراحة. لا بدّ أنّه كان يريد لو أنّ قطعة الحلوى تلك تبقى

على الدوام على الطاولة. كان يحبّ أمّه حينما تقول له وهي تفرج عن ابتسامة: «إنّها لذيذة، يا سين».

حشوة الفاصولياء الإلهية خاصّة توكي يوشي. لو أنّ أمّه قد تذوّقت، في حياتها، شيئاً منها، تُرى أيّ ردّ فعلٍ كانت ستُبديه؟ تُرى ماذا كانت ستقول؟

اعتقد سينتارو بأنّها كانت ستُبدي إعجابها بها بكلّ تأكيد...

وربّما كان سيُسعدها الأمر ويُفرحها.

ثمّ أضاف: «مائتي ين في الساعة...»

هل هذا صحيح حقّاً؟

إذا اكتفت فعلاً بهذا المبلغ... سوف يمكنني أن أطلب منها المساعدة.

استغرق في التفكير في هذا الاحتمال.

إذا كان قد وضع إعلاناً عن فرصة عمل في واجهة المحلّ، فلم يكن ذلك لأنّه لديه الكثير من العمل. كان ذلك لشعوره بالوحشة، حيث كان طيلة الوقت لوحده مع فطائر **الدورياكي**. باختصار، كان سينتارو يسعى إلى حضور شخصٍ معه لكي يتخلّص من شعور الوحدة ذاك.

هل سوف تعمل الجدّة حقّاً لقاء مائتي ين أجراً لساعة كاملة من العمل؟

أجرى حساباته وقد ألقى الكحول غشاوة على دماغه. كان ذلك يعني تقريباً بأنّه سيجعلها تعمل من دون أجر. ولكي تعدّ حشوة فاصولياء مذهلة! وربّما سوف يتمكّن من تحسين حجم أعماله وبالتالي وارداته. وفي هذه الحالة، سوف يتمكّن على الأرجح من

زيادة حجم مدّخراته الشهرية وبالتالي يقرّب يوم تحرّره من أعباء العمل ويتقاعد.

ولكن... أوقف سينتارو يده التي كانت تمسك بكأس الساكي. تذكّر من جديد منظر الأصابع المشوّهة لتوكي والتي كانت تجعله في حيرة من أمره. إذا ما شاهد الزبائن أصابعها تلك فإنّ ذلك بالتأكيد سوف يجعل رغبتهم في الشراء تفتر وسوف يؤثّر هذا الأمر سلباً على عمله.

في تلك اللحظة، لمعت في ذهنه فكرة عبقرية.

في هذه الحالة، سوف يكتفي بتكليفها بإعداد حشوة الفاصولياء فقط.

نعم. هزّ سينتارو رأسه في إشارة إلى الموافَقة على عملها معه.

سوف يكلّفها بإعداد الحشوة وهذا كلّ ما في الأمر. ربّما سوف يتمكّن من أن يتشرّب بخبرتها ويكتسب براعتها في إعداد الحشوة، فهي، بحُكم تقدّمها في السن، سوف تُصاب بالتعب والإرهاق وتكفّ عن أداء هذه المهمّة. قال سينتارو في غمغمة: «يكفي أن أمنع ظهورها أمام الزبائن».

كان صاحب المطعم يتحدّث مع زبائن آخرين على طاولة أخرى وحينما سمع غمغمة سينتارو، التفتَ إليه. ألقى على سينتارو نظرة متعجّبة. هزّ هذا الأخير كتفيه ورفع قدحه الفارغ: «كأساً من الساكي، من فضلك!»

4

مَضت بضعة أيام.

حينما رفع سينتارو عينيه عن الصاج، كانت السيّدة العجوز ذات القبّعة البيضاء تقف من جديد تحت شجرة الكرز. كانت تنظر باتجاهه وتعلو شفتيها ابتسامة.

«صباح الخير!»

كان سينتارو هو الذي بادر بالتحدّث إليها أوّلاً. ابتسمت توكي من تحت قبعتها ابتسامة عريضة كشفت عن أسنانها. اقتربت بمشيتها المرتبكة متمايلة ومترنّحة.

- لقد فَقَدَت شجرة الكرز كلّ أزهارها.

- هذا صحيح.

رفع سينتارو بدوره بصره إلى الشجرة.

- هذا لكي نتمكّن من الاستمتاع بمنظر الأوراق.

- الاستمتاع بالأوراق؟

- في هذه الفترة، تكون أوراق الشجر في أجمل حالاتها. انظر إليها، هناك.

حاول سينتارو أن ينظر بعينيه إلى المكان الذي أشارت إليه توكي. في قمّة الشجرة، كانت براعم فتية مكتنزة ترتعش وتهتزّ بفعل الرياح.

- إنّها تلوّح لنا بيديها.

فكّر سينتارو وقال في نفسه: «الآن وقد قالت ذلك الكلام، يمكننا النظر إلى الأمور من هذه الزاوية». كانت الأوراق المتناسقة تتمايل وهي تشبه إكليلاً في أيدي الأطفال. هزّ سينتارو كتفيه والتفت من جديد نحو توكي.

- سيّدة يوشي.

- نعم.

- حشوة الفاصولياء التي جلبتِها لي كانت لذيذة.

- آه، لقد أكلتَها إذاً.

- وبالتالي، إذا كنتِ موافقة، هل يمكنكِ أن تأتي لمساعدتي؟

مدّت توكي رقبتها متسائلة:

- كيف؟

- هل يمكنكِ أن تقومي بإعداد حشوة الفاصولياء خاصتكِ هنا؟

- سوف أرى. هل أنت متأكّد؟

تفحّصت توكي سينتارو بعينيها وهي فاغرة الفم.

- بكلّ بساطة، سوف تنشغلين فقط بإعداد حشوة الفاصولياء. لن تقدّمي الفطائر للزبائن.

- حقّاً؟ فعلاً؟

ساد صمتٌ لبعض الوقت لأنّ توكي كانت تنظر إليه محدّقة بثبات، ولكن، بحركة من يده، دعاها سينتارو إلى الجلوس خلف

طاولة المحاسبة. أخذت كرسياً ورفعت قبّعتها، كاشفةً عن شعرها الأبيض الخفيف والمنثور.

- هل يمكنكِ أن تحملي المواد اللازمة لإعدادها؟ إنّها ثقيلة جدّاً، كما تعلمين. إن إعداد هريسة الفاصولياء تتطلّب قوّة بدنية.

- أنتَ منْ ستَقوم بحمل المواد اللازمة، أيّها الرجل الشابّ.

ممم، لمَ لا.

نظر سينتارو، وهو يحاول التهرّب من السؤال، إلى أصابع توكي. كانت الأصابع متصالبة كالعادة بطريقة تخفي تشوّهاتها.

- يمكنكِ أن تمسكي بملعقة من خشب، أليس كذلك؟

- نعم.

- ما الذي أصاب أصابعكِ إن لم يكن في هذا السؤال شيء من التطفّل؟

- آه، هذا...

كانت أصابعها المتصالبة تتشنّج وتنقبض. على الأقل، كان سينتارو يشعر بذلك.

- أُصبتُ بمرضٍ في فترة شبابي، هذه من عقابيل وآثار ذلك المرض. أعتقد أن هذا الأمر سوف لن يطرح مشكلة ولكن هذا صحيحٌ من ناحية المظهر...

- نعم، ولذلك، سوف تعدّين الحشوة وهذا سيكون كافياً.

- ولكن، هل فعلاً سيمكنني أن أعمل معك؟

ضحكت توكي وهي تدير وجهها نحو السماء. ومن ثمّ انقبضت وجنتها اليمنى. بدت كما لو أنّها تخفي شيئاً تحت جلد وجهها. تصوّر سينتارو كما لو أنّها صفائح معدنية قاسية. وربّما لهذا السبب كانت عيناها تبدوان في شكلين مختلفين.

- حسناً، ما اسمك، أيّها الرجل الشابّ؟

هذه المرّة، كان سينتارو هو مَن عليه أن يُجيب عن الأسئلة.

- سينتارو تسوجي.

- سينتارو تسوجي؟ هذا اسمٌ جميل. وكأنّه اسم ممثّل.

- لا في الحقيقة، لنرَ. أيّ فكرة...

بناءً على طلب توكي، كتب اسمه على ورقة.

- إذاً، أيّها الرجل الشابّ، بماذا عليّ أن أناديك؟ السيّد تسوجي، أمّ معلّم؟

- كما تشائين.

- في هذه الحالة... سوف أخاطبك بصفة معلّم. أنت من تعدّ حشوة الفاصولياء هنا، يا معلّم؟

- نعم... أقصد، إه...

بشعور من يُؤخَذَ رهينة، بحث سينتارو عن كلماته ليردّ على أسئلة السيّدة العجوز.

- كلا، لكي أكون صادقاً... حينما أحاول أن أقوم بإعدادها، لا أنجح في ذلك. في بعض الأحيان، يكون لها طعم الحشوة المحترقة.

قالت توكي بعلم: «آه نعم». ألقت نظرة على المواد الداخلة في خلطة الحشوة وعلى الموقد الذي يعمل على الغاز. ولكي يحجب عنها النظر، وقف سينتارو أمامها وقدّم لها كوباً مَن الشاي.

- لمدّة خمسين عاماً، أين كنتِ تعملين؟ في متجر لصنع الحلويات اليابانية؟

- أنا... في الواقع...

- في بيتك؟

لم يكن ذلك يهمّه كثيراً. طالما أنّها كانت تعدّ له حشوة فاصولياء لذيذة، فالأمر بالنسبة إليه سيّان. إذا كان حجم عمله سينمو، سوف يتمكّن من زيادة مدّخراته.

كان هذا كلّ ما يجول في ذهنه. ولم تكن لديه الرغبة في أن يُستجوَب حول ما كان قد فعل سابقاً. فضلاً عن أنّ توكي أيضاً كانت تراوغ وتتهرّب من الإجابة عن الأسئلة.

- لقد حصلت لي أمور ليست بالهيّنة... إنّها قصّة طويلة.

- آه نعم، من دون شكّ.

- وهل أنتَ مالك هذا المتجر؟

- كلّا، يمكننا القول بأنني أقوم بأداء وظيفة صغيرة.

- المالك هو شخصٌ آخر، إذاً؟

- كان المعلم السابق هو مَن فتح المتجر في البداية، الآن زوجته هي التي تملك المتجر.

- إذاً، ليس لديك الكثير من المسؤوليات.

- لا يمكننا أن نقول ذلك حقّاً.

- هل عليّ أن أعرّف نفسي بالمالك أيضاً؟

- في الواقع، في الوقت الراهن، هي ليست في كامل لياقتها وهي تمرّ في الأسبوع مرّة واحدة، بل وأقلّ من ذلك، سوف نرى.

لاحظ سينتارو أنّ وجه توكي قد استرخى قليلاً وبدت عليه علامات الارتياح.

- والمعلّم القديم؟

- لقد توفّي.

- حقّاً؟ هكذا إذاً.

أعطى سينتارو مفكّرة جيب وقلماً لتوكي التي ظلّت شاردة التفكير.

- إذاً، يا مام . . . ، أم، يا سيّدة يوشي، هلا كتبتِ هنا كنيتكِ واسمكِ وعنوانكِ، من فضلكِ؟

تجمّدت توكي وهي تنظر إلى المفكّرة وتردّدت.

«هذا يعني أن أستخدم أصابعي . . .»

قال سينتارو في نفسه بأنّ المشاكل قد بدأت وكاد أن يغمض عينيه لكي يحتفظ بهدوئه. ولكن توكي أمسكت بالقلم وبدأت تخطّ كلّ حرفٍ بعناية ودقّة. وكالأحرف المكتوبة بالحبر الأزرق التي كان قد سبق وأن رآها سينتارو، كانت كتابتها تتّسم بخصوصية متميّزة. احتاجت إلى بعض الوقت لكي تكتب كلّ شيء.

- وماذا عن رقم هاتفك؟ أليس لديكِ هاتف محمول؟

- في الحقيقة، كلا، ليس لديّ هاتف. يمكنك أن تكتب إليّ.

- المسألة لا تكمن هنا . . .

- سوف تسير الأمور، لأنني سوف لن أتأخّر أبداً في المجيء إلى العمل. أنا ما زلتُ أستيقظ من النوم باكراً وقبل العصافير.

- ولكنني قلتُ لكِ بأنّ المشكلة لا تكمن هنا . . .

كانت الورقة تحمل اسم حيّ على أطراف المدينة. كانت الخطوط معمّقة ومضغوطة بشدّة وطُبِعَت على عدّة أوراق من رزمة المفكّرة. لدى قراءة هذا العنوان، شعر سينتارو أنّ أمراً ما يلحّ عليه ولكنّه لم يكن يعلم ما هو.

5

كانت عقارب الساعة تشير إلى الثواني التي تجري. كان سينتارو، وهو يضمّ يديه تحت اللحاف، يتأمّل في السقف الغارق وسط العتمة. كان قد شرب قدحاً من الويسكي قبل أن يستلقي في سريره ولكنّه لم يفلح في الخلود إلى النوم.

أدار رأسه وأمسك بالمنبّه الموضوع عند رأس السرير. وتأكّد، من خلال اللمس، بأنّ المنبّه مضبوط لإيقاظه.

كان على توكي يوشي أن تباشر بالعمل في صبيحة اليوم التالي. كان قد جرى الاتفاق على أن تأتي كلّ يومين مرّة واحدة لكي تقوم بإعداد حشوة الفاصولياء. لم يكن بوسعه أن يصل متأخّراً إلى العمل ولهذا السبب خلد إلى الفراش في وقتٍ مبكّر جدّاً مقارنة مع ما اعتاد عليه.

مَن عساها تكون هذه الجدّة حقّاً؟

كان سينتارو قد عقد العزم على أن يوكِلَ إليها فقط مهمّة إعداد الحشوة، ولكن ظلّ هذا الأمر يشغل باله من دون أن يدري سبب ذلك.

ربّما لأنّ سمَعَها كان ثقيلاً بعض الشيء، كانت توكي يوشي تدلي أحياناً بأقوال غير متناسقة. لكن سينتارو كان يشعر بأنّها كانت تخفي شخصيتها الحقيقية. كانت تفرج عن ابتسامة لطيفة، ولكن في أعماق عينيها تنبعث أحياناً شرارة قوية. كانت تحدّق في سينتارو وتتفحّصه بنظرها بثبات وإصرار.

بعد أن جعلها تكتب عنوانها، شرح لها سينتارو طبيعة عمل المتجر. وكان قد اعترف لها بأنّه استعمل على الدوام حشوة فاصولياء صناعية وبأنّه ينكبّ على العمل في التحضيرات قبل ساعتين فقط من موعد فتح أبواب المتجر أمام الزبائن. حينذاك، رفعت نبرة صوتها قليلاً، قائلةً: «كيف ذلك؟ إذا أردت أن تستخدم حشوة فاصولياء طازجة، عليك أن تباشر بالعمل قبل طلوع الشمس».

- ولكن مكالمة هاتفية تكفي لكي يتمّ تسليم الحشوة لنا.

- ماذا تقول؟ الحشوة أمرٌ أساسي في إعداد الفطائر، يا معلّم.

- آه . . . نعم. ولهذا طلبتُ منكِ أن تأتي إلى العمل معي.

- يا معلم، لو كنتَ أنتَ الزبون، هل كنتَ لترغب في الوقوف في رتل انتظارٍ لكي تتناول قطعة من **الدورایاكي** من هنا؟

- آه . . . كلا.

تعرّض سينتارو لسيلٍ من الانتقادات. كانت توكي تناديه عبثاً بلقب المعلّم، فقد كان من الصعب عليه أن يجادلها في أيّ أمرٍ كان.

في نهاية المطاف، قرّر أن يتّبع تعليمات توكي. سوف تبدأ التحضيرات في الساعة السادسة صباحاً، حينما يضع سينتارو

الفاصولياء على النار لكي تُسلَق. وسوف تنضمّ إليه توكي على متن أوّل حافلة تبدأ بالعمل في الصباح.

قال سينتارو في نفسه وهو يُطلق تنهيدة عميقة باتجاه السقف: «لقد حشرتُ نفسي في عشّ للدبابير».

كان قد مضت عليه أربع سنوات وهو يعمل لصالح دوراهارو من دون أن يأخذ إجازة ليومٍ واحدٍ، ولكن لم يسبق له أن بدأ العمل باكراً في الصباح، بهذا القدر.

لماذا إذاً شغّل هذه السيّدة؟ ربّما يكون قد ارتكب خطأً في ذلك.

علاوة على ذلك، وبخلاف الانطباع الأوّل الذي تشكّل لديه عنها، كانت تبدو مزعجة ومثيرة للأعصاب.

«أوف، هذا فظيع».

سوف لن يباشرا بالعمل إلّا بعد أن يكون سينتارو قد أنجز الكثير من التحضيرات.

كما كان هناك سببٌ آخر لتنهدّاته. كيف أفشى للسيّدة عن اسم المعلّم السابق، والذي بات الآن مالك المتجر؟ هنا كانت تكمن المشكلة.

منذ وفاة المعلّم، كانت صحّة زوجته أيضاً تتراجع تدريجياً. حينما كانت تمرّ على المتجر لكي تتحقّق من الحسابات على سبيل المثال، كانت في غاية العبوس والاستياء. كما كانت قد انقطعت عن تناول **الدورياكي** لأنّها تحتوي على كمية كبيرة من السكّر. كانت نزقة على الدوام مع انشغالٍ مُبالَغٍ فيه بمسائل النظافة. وكان

سينتارو قد تعرّض مراراً وتكراراً للتوبيخ بسبب طريقته في القيام بترتيب المتجر ونظافته.

في الماضي، ولمرّة واحدة فقط، كان سينتارو قد شغّل طالباً معه في المتجر. حينذاك، لم تكفّ مالكة المتجر عن توجيه اللوم إليه بذريعة أنّه لم يسْتَشِرْها في الأمر. ولكي يبلغ الموقف أوجّه، رأت الصبيّ وهو يدخّن سيجارة خلف المتجر. بالطبع، اتّصلت هاتفياً بسينتارو وانهالت عليه بالصياح دون سابق إنذار، وتساءلت ما قيمة ما يفعله الصبي إذا كانت الروائح الكريهة تفوح من فمه؟ ومن ثمّ، وجّهت إليه إنذاراً واضحاً وحازماً: «حينما تريد أن تشغّل أحداً في المتجر، أريد أن أكون حاضرة».

ربّما سيخفي عنها تشغيل توكي يوشي لبعض الوقت.

وهو يتقلّب في سريره، اتّخذ سينتارو قراره. لأنّه في بداية العمل، لم يكن يعلم حتى إن كانت توكي ستكون قادرة على العمل بيديها المعطوبتين.

أصدر طقطقة بلسانه باتجاه السقف. لأنّه، هذه المرّة، راودت ذهنه صورة تلميذات المدارس الابتدائية والإعدادية اللواتي كنّ يتقاطرن على المتجر.

كنّ يتوافدن على المتجر بأعداد كبيرة ويحتكرن المقاعد الخمسة المصنوعة من القش والمصفوفة حول طاولة المحاسبة. علاوة على ذلك، كن يتركن فوضى عارمة خلفهنّ.

خاصّة في أحد الأيام، حينما اشتكت إحداهنّ من عثورها على بتلة من شجرة الكرز في حشوة قطعتها من **الدورایاكي**. وبما أنّ معظم الزبائن كانوا يشترون فطائر **الدورایاكي** ليأخذوها معهم، كانت

الواجهة الزجاجية المتحرّكة لمتجر دوراهارو مفتوحة على الدوام إلى أقصاها. في فصل الربيع، كانت بتلات أزهار أشجار الكرز تتساقط وتختلط في بعض الأحيان مع الحشوة التي على مواقد الطبخ.

في ذلك اليوم، اعتذر سينتارو وقدّم فطيرة **دورایاكي** جديدة للفتاة. واستغلّت الفتيات الأخريات ذلك وصرخن به وزعمن بأنّ هناك بتلة في حشوة فطائرهنّ أيضاً، بل وكانت من بينهنّ فتاة أخرجت هاتفها المحمول لكي تنشر الخبر: **دورایاكي** بحسب الرغبة في متجر دوراهارو!

حينما سيَرين أصابع الجدّة توكي، كيف سيتصرفّن؟ أو بالأحرى، كيف ستتحمّل الجدّة وتقاوم وقاحة هؤلاء الفتيات؟ اعتقد سينتارو أنّ كلّ هذا كان سبباً للأرق الذي استبدّ به. لم يكفّ عن التقلّب في سريره.

«أقسم لك، هذه الفتيات، وكلّ هذا بسبب بتلة من زهرة... وماذا بعد؟»

وجّه ضربة بقبضة يده إلى اللحاف المنتفخ. ثمّ مدّ يده من جديد إلى ساعة المنبّه.

6

في صبيحة اليوم التالي، وصل سينتارو متأخّراً بعض الشيء. كانت توكي يوشي تنتظره تحت شجرة الكرز. اعتذر منها سينتارو وأشارت توكي إلى الشجرة من فوقها:

- لقد نَمَت حبات كرزٍ صغيرة.

- هل وجدتِ حافلة؟ في هذا الوقت الباكر؟

- لا تقلق بشأن ذلك.

ولأنّ توكي وصلت إلى مدخل الخدمة في المتجر من دون أن تضيف أيّ شيء، لم يعُد يسأل عن الأمر ولكن لا بدّ أنّه قد اندهش لكون الحافلات تسير في هذا الوقت الباكر.

دخلا إلى المطبخ حيث كانت فاصولياء **الأزوكي** المنقوعة منذ مساء اليوم السابق قد انتفخت. كان الوعاء الكبير ممتلئاً. كانت كلّ حبّة منها تلتمع مغيّرة الجو حول خطّة العمل. بدا لسينتارو وكأنّه يرى كتلة من الكائنات الحيّة أكثر من كونها أحد المكوّنات الداخلة في تركيبة الحشوة. قالت توكي وهي تقرّب وجهها من الوعاء: «آه، هذا جيّد».

لم تكن فاصولياء **الأزوكي** الشهيرة على غرار فاصولياء أوبيهيرو أو تامبا. نظراً إلى سعر مبيع قطعة واحدة من **الدورایاكي**، لم يكن سينتارو يستطيع أن يسمح لنفسه باستخدام فاصولياء ذات جودة عالية، من إنتاج اليابان. كانت توكي قد طلبت أن يتمّ تجريب أنواع أخرى من الفاصولياء لا تكون بالضرورة من محلّ معروف. وكان سينتارو قد وَجَدَ ذلك في البداية مضجراً ومرهقاً ولكنّه مع ذلك قدّم طلباً بذلك إلى مورّده والذي جلب له، بدايةً، فاصولياء **الأزوكي** من إنتاج كندا.

من حيث الكمية، كان قد اعتمد على كيلوغرامين من الفاصولياء دفعة واحدة. بعد أن قَضَت ليلة كاملة وهي منقوعة في الماء، تضاعَفَ وزنها ليزيد على أربعة كيلوغرامات. كان التحضير يتضمّن، بعد سلقها بالماء، وضعها على نار هادئة في شرابٍ مع محتوى من السكّر المبروش يوازي 70% من وزنها. وبهذه الطريقة، كان يجب الحصول على ما يقارب سبعة كيلوغرامات من مهروسة الفاصولياء الخشنة.

وبما أنّ كلّ قطعة **دورایاكي** تحتاج إلى ما يعادل قرابة عشرين غراماً من حشوة **الآن**، فكان من المفترض أن تكفي الوجبة المعدّة من الحشوة لإعداد ما بين ثلاثمائة وثلاثين وثلاثمائة وأربعين قطعة من **الدورایاكي**. وبما أنّ سينتارو لم يكن يستهلك في اليوم الواحد الكيلوغرامات الخمسة من الحشوة الصناعية التي كان يشتريها من المورّد، فلا بدّ أنّه سيقضي عدّة أيام حتى يتمكّن من إنفاق هذه الكمية من الحشوة، وكان متأكّداً من ذلك.

بعد أن شرعت توكي في تفحّص الفاصولياء بعناية حبّة بحبّة، قالت في غمغمة:

- قبل أن يتمّ سلقها... يا معلّم، هل قمت بمعاينتها قبل أن تنقعها في الماء؟

- ماذا؟

- أقصد، فاصولياء **الأزوكي**.

هزّ سينتارو رأسه.

«لأنّه هناك حبات منها لا تصلح».

أمسكت توكي بأصابعها المشوّهة بحبّة فاصولياء. ثمّ التقطت حفنة من الفاصولياء ووضعتها على راحة يدها وعرضتها أمام عيني سينتارو. كانت قشرة حبّة الفاصولياء قد ظلّت قاسية في بعض الأماكن أو كانت الحبّة قد انفلقت وانفجرت حبّة الفاصولياء.

«ربّما لأنّ الفاصولياء الأجنبية لم يتم تنقيتها وفرزها على نحوٍ جيد، يجب أن تكون يقظاً ومنتبهاً، يا معلّم».

كان التصرّف الذي قامت به توكي حيال الفاصولياء غريباً. كانت تقرّب وجهها من الفاصولياء. تقرّب وجهها كثيراً، تماماً كما لو أنّها تبثّ أمواجاً في كلّ حبّة.

استمرت توكي في التصرّف بالطريقة نفسها بعد أن وضعت الفاصولياء على النار.

في متاجر الحلويات اليابانية، يحمل القدر النحاسي المخصّص لحشوة الفاصولياء المحلّاة اسماً خاصّاً: **ساواري**. كان سينتارو قد حاول مراراً وتكراراً أن يعدّ هذا الطبق؛ وكان دائماً يترك قدر **الساواري** على النار إلى أن تصبح الفاصولياء طرية.

ولكن توكي لم تتّبع الطريقة نفسها في الطبخ. كان منهجها مختلفاً تماماً.

أوّلاً، حينما بدأ الماء بالارتجاف في القدر، أضافت إليه مباشرةً ماءً بارداً. بعد إعادة هذه المناورة لعدّة مرّات، قامت بتصفية الفاصولياء من الماء ومن ثمّ تخلّصت من الماء المغلي. ومن ثمّ وضعت الفاصولياء من جديد في قدر **الساواري**، الذي ملأته هذه المرّة بالماء الفاتر. شرحت توكي بأنّ هذه العملية تجعل الفاصولياء أسهل على الهضم. كما أنّ الماء يعمل على التخلّص ممّا فيها من مرارة وقساوة. ومن ثمّ، ومن خلال تحريكها بوساطة ملعقة خشبية، كانت تجعلها تُطبَخ على نارٍ هادئة. في كلّ واحدة من هذه المراحل، كانت توكي تقرّب وجهها كثيراً من الفاصولياء المغمورة في بخار الماء.

إلى ماذا كانت تنظر إذاً؟ هل كانت فاصولياء **الأزوكي** تخضع لأيّ نوعٍ من التحوّل؟ تقدّم سينتارو بدوره خطوة إلى الأمام وعاين الفاصولياء المختفية تحت غيمة من البخار. ولكنّه لم يتبيّن أيّ تغيّر ملحوظ.

كانت توكي وهي تمسك بين يديها المعطوبتين الملعقة الخشبية غارقة في التأمّل. نظر سينتارو خلسة إلى وجهها وتساءل إذا ما كان عليه أن يُظهر حماستها نفسها لكونه يعمل معها. كان مجرّد التفكير في ذلك يُثبط عزيمته ويُحبطه.

ومع ذلك، ومن دون أن يعرف لماذا، انتهى الأمر بسينتارو إلى أن يستسلم للانبهار بمنظر الفاصولياء في القدر النحاسي. بمنظر حبّات الفاصولياء التي ترتعش في الماء المغلي. لم تنفجر أيّ حبّة من حبّات الفاصولياء. كان لا يزال هناك بعض الماء في القدر حينما أطفأت توكي موقد الغاز من تحته وغطّت قدر **الساواري** بلوحٍ

خشبي. بحسب رأيها، كانت الفاصولياء تُترَك بهذه الطريقة لكي ترتاح. لم تكن كلّ هذه التقنيات معروفة من قبل سينتارو.

لم يستطِعْ أن يتمالك نفسه فقال:

- كلّ هذه العمليات معقّدة.

فأجابت توكي على تعليقه، قائلة:

- هذه مسألة مجاملة وملاطفة.

- للزبائن؟

- كلّا. للفاصولياء.

- الفاصولياء؟

- نعم، لأنّها قد بذلت جهداً كبيراً لتأتي من كندا إلى هنا.

دون طول انتظار، رفعت توكي اللوح الخشبي عن وجه القدر النحاسي. تمعّنت بانتباه وتركيز في فاصولياء **الأزوكي** وصبّت ماءً بارداً في القدر. قالت إنّ ذلك لغَسْلها. وقد سقتها بالماء لعدّة مرّات وهي تحرّكها بأطراف أصابعها إلى أن أصبح الماء الطافي على وجهها نقياً وصافياً. وقد ظلّ وجهها طيلة الوقت قريباً جدّاً من حبّات الفاصولياء. قال سينتارو في نفسه بأنّها تبدو كما لو أنّها تبحث عن الذهب.

قال سينتارو:

- لم يشهد هذا المتجر أبداً شخصاً على هذه الدرجة من العناية الدقيقة والحرص.

- إذا تعجّلنا الآن، سوف يذهب كلّ العمل الذي أنجزناه هباءً منثوراً.

اكتفى سينتارو بالنظر إليها، متصالب الذراعين.

- أخبريني. . . أنا أتساءل منذ البداية ولكن، هل هناك ما يجب أن نراه؟

- ماذا؟

- ما الذي تنظرين إليه وأنتِ تُلصقين وجهكِ بالفاصولياء؟

- أنا أبذل أفضل ما لديّ، هذا كلّ ما في الأمر.

- أفضل ما لديكِ؟

- هيّا، يا معلّم، أمسك بالقدر وارفعه عن الموقد.

بدّل سينتارو مكانه بمكان توكي وأمسك بالقدر بكلتا يديه ومن ثمّ أفرغه في المصفاة الموضوعة في المغسلة. سال الماء كاشفاً عن فاصولياء **الأزوكي** المسلوقة.

انحنى سينتارو إلى الأمام وقال منبهراً:

«أوه، إنّها جميلة!»

كان الفرق في المهارة صارخاً. لم يكن بوسعه سوى أن يرضخ لتلك الحقيقة. في حين كانت الفاصولياء قد تُرِكت على النار لوقتٍ طويل، كانت كلّ حبّة من حبّاته ممتلئة ومحافظة على رونقها وخالية من التجاعيد. بالطريقة التي كان يتّبعها سينتارو، بشكلٍ عام، كانت معظم حبّات الفاصولياء تنفجر وتفقد بذلك كلّ نشوياتها. أمّا الفاصولياء التي كانت تحت بصره الآن فقد كانت كلّ حبّاتها تحافظ على بريقها وهي مصفوفة إلى جانب بعضها في منظر جميل يشعّ ألقاً.

انبهر سينتارو للمنظر، فقال: «هكذا يجب أن تبدو الفاصولياء وقد أصبحت جاهزة. كنتُ أجهل ذلك».

أمام سينتارو المنبهر، ضحكت توكي وهزّت بكتفيها.

- تقول، ها قد أصبحت جاهزة؟ يا معلّم، هل فعلاً سبق لك وأن أعددتَ هريس الفاصولياء؟

- لقد حاولت.

- وهذا يعني أنّك لم تتعلّم في نهاية المطاف.

حان الآن دور سينتارو لكي يعمل. قبل كلّ شيء كان عليه أن يعدّ القَطْر الذي سوف يعطي مذاقه الحلو إلى الحشوة. سكب ليترين من الماء الساخن في القدر النحاسي الذي كان قد أصبح فارغاً الآن ووضعه على الموقد لكي يغلي. وفي داخل القدر، أذاب كيلوغرامين ونصف من مسحوق السكّر.

كانت توكي الواقفة إلى جانبه تشرح له الخطوات الرئيسة. قالت له: «ما أن يذوب السكّر، واصل مزج القطر بتأنٍّ. لا تدعه يغلي بشدّة. أضِف بلطف الفاصولياء المسلوقة. راقب النار بدقّة وحذر عن قرب».

نجح سينتارو إلى حدٍّ ما في تطبيق نصائحها وتعليماتها وفي النهاية بدأ بإنزال الفاصولياء في القطر ليمزجها به.

باشرت توكي في إعطاء تعليمات وأوامر جديدة لسينتارو، قائلة:

«هذه مرحلة حسّاسة جدّاً، لأنّ الفاصولياء تشيط في الحال».

«حافظ على تماس طرف ملعقة المزج مع قعر الوعاء».

في الوقت نفسه، أضافت بعض الملح إلى محتوى قدر **الساواري**.

«انتبه، لأنّه إذا احترق الخليط الآن، سوف يفسد كلّ شيء».

«أمسك بملعقة المزج بشكلٍ مستقيمٍ تماماً».

«حرّك الملعقة بسرعة!»

«لا داعي لتحريك الملعقة في كلّ الاتجاهات».

بدءاً من طريقة الإمساك بملعقة التحريك وحتى درجة إمالتها، كانت تُمطِره بوابلٍ من التعليمات والتوجيهات التفصيلية. كان جبين سينتارو وعنقه يتصبّبان عرقاً، وهذا ليس فقط لأنّه كان يقف أمام مصدرٍ للحرارة.

ولكنّه كان يقول في نفسه بأنّها، في الحقيقة، محقّة في تعليماتها وأوامرها.

في كلّ مرّة كان يحاول أن يعدّ حشوته، كان دائماً يفشل عند هذه المرحلة. كانت تلك العصيدة المصنوعة من السكّر تلتصق بسهولة بقعر القدر. وإذا ما تمّ تخفيف النار تحت القدر منعاً لحرق الحشوة، كانت عملية الطبخ تستغرق وقتاً طويلاً، الأمر الذي كان يُلحق الضرر بقوام الحشوة. للحصول على هريسة خشنة لها مظهر مستساغ ومذاق لذيذ، لا ينبغي على المرء أن يخاف من تسخينها إلى درجة تكفي لتبخير السائل مع التحريك الدائم للملعقة الخشبية بعناية تجنّباً لتَشَكُّل أيّ طبقة محروقة في قعر الوعاء.

كان سينتارو يمسح عرق جبينه بكمّ مريوله وهو ينهمك في تحريك الملعقة الخشبية. وحينذاك، وفي لحظة غير منتظرة، سمع صوتاً يقول:

- هذا جيّد، يمكنك أن تطفئ النار تحت القدر.

- ولكنّ الهريسة لا تزال أشبه بالعصيدة.

- لكن التماسك ممتاز وهذه هي اللحظة المناسبة تماماً لإطفاء النار.

- نعم، ولكن... بهذه الطريقة...

كان محتوى قدر **الساواري** لا يزال مائعاً جدّاً. على الرغم من أنّ سينتارو لم يكن بارعاً في إعداد الحشوة إلّا أنّه كان يعرف تماماً درجة كثافتها. مع هذه الدرجة من الميوعة، سوف تسيل الحشوة من بين شريحتي الفطيرة الصغيرتين.

إلاّ أنّها ما أن أُطفِئت النار من تحتها وهو يواصل مزج الخليط بوساطة الملعقة الخشبية، بدأت الحشوة تتكثّف تدريجياً. مدّت توكي قطعة من القماش على اللوح الخشبي الخاصّ بالفرم.

- سوف نترك الخليط قليلاً ليرتاح أكثر. لكي نجعله يتكثّف ويتعقّد. ومن ثمّ، سوف نعدّ كتلاً صغيرة هنا باستخدام الملعقة الخشبية.

- كتلٌ صغيرة من ماذا؟

- من الهريسة.

- ولكن كيف؟

أخذَت توكي الملعقة الخشبية من يدي سينتارو المرتبك.

«هيّا، يا معلّم، لنأخذ استراحة قصيرة».

7

بينما كانت الحشوة تبرد، دعَت توكي سينتارو إلى أن يدوّن في مفكّرة صغيرة مختلف مراحل التحضير. أجاب سينتارو: «أنا أتعلّم من خلال النظر». فأجابت توكي: «إذاً، هيّا أعِد لي كلّ الخطوات منذ البداية». شعر بشيءٍ من الخجل والإحراج وفَتَحَ مفكّرته.

قالت توكي:

- أنتَ من النوع الواثق من نفسه، يا معلّم.

- في الحقيقة، ليس تماماً.

- لأنّك واثقٌ من نفسك، لا تريد تلقّي الملاحظات. ولكن في مهنة صناعة الحلويات، التفاصيل هي الأكثر أهمية. كيف ستتذكّر كلّ خطوات التحضير من دون أن تدوّن أيّ شيء منها لديك؟

- ممم.

شعر سينتارو بشيء من الخجل والحرَج، وشرحت له توكي من جديد طريقة التحضير، بدءاً من نَقع الفاصولياء في الماء.

- أين تعلّمتِ كلّ هذا؟

- لقد مرّ زمنٌ طويل وأنا أقوم بهذا العمل.

- خمسون عاماً، أليس كذلك؟

- الزبائن الذين يأتون إلى هنا، بينهم الكثير من الأشخاص المسنّين مثلي، أليس كذلك؟

هزّ سينتارو رأسه، ثمّ قال:

- وخاصة طالبات الإعدادية والثانوية. إنّهنّ لا يتوقّفن عن الثرثرة والصياح. إنّه أمرٌ مثير للإزعاج والغضب.

- آه حقّاً... فتيات صغيرات...

غزا الاحمرار فجأةً وجنتَي توكي.

- إنّهنّ فتيات صغيرات ولهنّ الحق تماماً في الصياح والثرثرة، أليس كذلك؟

- أنا أتحملهنّ لأنّهنّ من زبائن المتجر.

- إذاً، أنا أيضاً سوف أتمكّن من الالتقاء بهنّ.

كلا...

كان سينتارو على وشك أن يردّ عليها بالنفي ولكنّه ابتلع كلماته. بكلّ بساطة، لم يكن قد غيّر رأيّه وظلّ متمسكاً بموقفه في أنّ توكي سوف تغادر المتجر حالما تنتهي من تحضير الحشوة. فكّر في نفسه بأنّه ليس من الوارد أن يتنازل بشأن هذه النقطة.

نظرت توكي إلى القدر النحاسي وبدأت بتحريك الفاصولياء بملعقة خشبية.

«لقد أصبحَت تماماً كما يجب أن تكون».

أخذت ملعقة من الحشوة ووضعتها مباشرة على قطعة القماش.

سأل سينتارو:

- هل هذه العملية ضرورية؟

- إنها لا تزال ترشح ماءً وبهذه الطريقة يتمّ امتصاص البلل منها، بحيث ما أن تبرد الحشوة حتى تصبح متماسكة تماماً.

كان بعض البخار يتصاعد من كلّ ملعقة من الحشوة وكان سطح الكتل الموضوعة على قطعة القماش يلتمع وملأت رائحة ذكية وعبِقة المطبخ.

«بعد هذه العملية، يبقى عليك أن ترى إن كانت الحشوة متماسكة جيّداً».

وضع سينتارو مغرفة من الحشوة بين شريحَتَي الفطيرة ووضعَها على الصاج الحامي.

كانت عجينة الشرائح تلك تُدعى عجينة الثلاثة أثلاث وهي عبارة عن مزيجٍ تقليدي، كان معلّمه السابق، حينما كان على قيد الحياة، قد علّمه طريقة وحيدة لإعدادها بشكلٍ صحيح. كان يعدّها بالبيض والسكّر المجروش والطحين. وكان يُضيف إلى هذه المواد الثلاث الممزوجة ببعضها بمقادير متساوية تماماً قليلاً من بيكربونات الصوديوم وجرعة من مشروب الساكي الحلو وقليلاً من الماء لكي يحصل على درجة التماسك المطلوبة في قوام العجينة، ولكن عجينة الثلاثة أثلاث هذه كانت تبقى هي نفسها طيلة السنة. كانت بسيطة وفعّالة من دون مشاكل والتي كانت في العادة في متناول يد أيّ كان.

كانت المشكلة تكمن في طريقة الخَبْز. وبخلاف فطائر **الإيماغاواياكي**، على سبيل المثال، وهي عبارة عن قطع حلوى صغيرة محشوّة بحشوة الفاصولياء المحلّاة بالسكر والتي يتم خَبْزها في قوالب، يتمّ خَبز الحلويات الخاصّة من **الدوراياكي** باستخدام صاجٍ

أملس، توضَع عليه شرائح العجين، الموحّدة الحجم والسماكة، بإيقاعٍ منتظم. تبدو هذه العملية سهلة ولكن بالنسبة إلى عاملٍ مبتدئ، هذه عملية دقيقة وحسّاسة للغاية. إذ يكفي اختلافٌ بسيط في قوام العجينة لكي يختلف حجم وشكل شرائحها وبالتالي، منذ البداية، لا شيء يضمن بأنّ مغرفة العجينة المسكوبة على الصاج سوف تُعطي شريحة متناسقة. فضلاً عن ذلك، ولتعقيد المسألة أكثر، ما لم يتمّ رفع شرائح العجينة عن الصاج في اللحظة المناسبة، سوف تحترق.

يومذاك، وربّما لأنّه كانت تلك المرّة الأولى التي تعلّم فيها كيفية إعداد حشوة فاصولياء جديرة حقّاً بهذا الاسم، أو ربّما لأنّ الوجود الدائم للسيّدة توكي إلى جانبه كان قد حفّزه، نجح سينتارو في خَبْز شرائح عجينة فطائره الصغيرة. كانت مستديرة تماماً وهذا ما كان يحدث معه نادراً.

كان المتجر سيفتح أبوابه بعد ربع ساعة. كانا قد بدآ بالعمل بعد الساعة السادسة بقليل وبالتالي كانا قد عملا قرابة أربع ساعات ونصف. جلس سينتارو وتوكي على مقاعد المطبخ وهما يتمطّيان ويمسّدان ذراعيهما.

كان بعض حشوة الفاصولياء الرائبة التي لا تزال فاترة بين شريحتي عجينة الفطائر الصغيرة المنتفخة والمخبوزة، طازجة. بالنسبة إلى هواة **الدورایاكي**، كانت هذه لحظة مقدّسة.

أشار سينتارو إلى توكي بإشارة من رأسه ورفع **قطعة الدورایاكي** إلى شفتيه.

على الفور، صعد أريج المذاق الطيّب إلى منخريه وفاح من حوله.

كان ذلك أريج فاصولياء **الأزوكي** الطبيعي، دون أن تكون له أيّ صلة برائحة الحشوة الصناعية. كان الشذى يفوح في المكان مثلما كان يتصاعد إلى الأعلى. ولكن كان هناك أيضاً شيءٌ من التعقيد. فقد انتشر أيضاً مذاقٌ حلوٌ خفيف في سقف فم سينتارو.

ابتسم للسيّدة توكي وقضم لقمة جديدة. كان ذلك مذهلاً حقّاً.

قال مؤكّداً وهو يفرك خديه:

- هذا مختلف تماماً.

- ما رأيك بها، يا معلّم؟

- هذه هي المرّة الأولى التي أتذوّق فيها حشوة كهذه.

- حقّاً ما تقول؟

- وأخيراً، استطعتُ أن أتناول حشوة فاصولياء حلوة!

- كيف؟

تحوّل نظر توكي إلى يد سينتارو التي كانت تمسك بقطعة **الدورياكي** التي تحمل آثار أسنانه.

- ماذا تقول؟

أوقفت توكي أيضاً حركتها وهي تمسك بيدها قطعة **الدورياكي** التي كانت قد باشرت بتناولها.

- حسناً، هذا يعني أنّ... سيّدة يوشي...

- ماذا؟

أعادت توكي قطعة **الدورياكي** إلى صحنها.

- في الواقع، من النادر جدّاً ما أتناول قطعة كاملة من **الدورياكي**.

- كيف ذلك؟

كانت توكي تقف فاغرة فمها.

- لماذا؟ لا تقل لي بأنّك لا تحبّها؟

أصدر سينتارو سريعاً إشارة تدلّ على النفي.

- كلا، ليس هذا هو السبب... أنا أتناول منها، ولكن هذا فقط لأنني لا أصبّ اهتمامي كثيراً على السكّر.

- حقّاً؟ فعلاً؟...

- ولكن حشوتك من الفاصولياء مذهلة، أرى ذلك جيّداً. لقد سبق وأن فكّرت في ذلك يوم أمس، ولكن حشوة كهذه... باختصار، هذه أوّل مرة.

- قل لي، يا معلّم. هل تكره الحلويات؟

لم ترفع توكي نظرها عن وجه سينتارو.

- كلا، هذا ليس لأنني أكره الحلويات، وإنّما ببساطة لأنّ قطعة حلوى كثيرة عليّ.

- لماذا، يا معلّم؟

كلّما كان صوت سينتارو يخفت، كان صوت توكي يتضخّم.

- لماذا تعمل في متجر لبيع **الدورياكي**؟

- أوه... سؤالٌ جيّد.

ارتابت توكي وألقت عليه نظرة حانقة.

- كلا، هذا يعني أنّ الأمر قد جرى هكذا دون تخطيط.

- هكذا...

- حسناً، الظروف جعلتني أن...

أمسك سينتارو قطعته من **الدورياكي** وقضم لقمة أخرى منها.

- ولكن بعد ذلك، هنا...

- ماذا؟ أنت لا تفصح عن الأمور على نحوٍ واضحٍ، يا معلّم.

- أنا على وشك أن أفصح عن الأمور ولكن حشوة الفاصولياء التي أعددتِها لذيذة جدّاً بحيث تُنزل عجينة الفطيرة إلى مرتبة أدنى في الجودة. هناك اختلال في التوازن بين الحشوة وعجينة الفطائر.

كانت توكي تخفض رأسها وتبدو على وجهها علامات الاستفهام، فأمسكت بما تبقى من قطعة **الدورایاكي** وتناولتها.

- ما قلتَه الآن، صحيحٌ فعلاً.

- أليس كذلك؟ الفاصولياء لذيذة إلى درجة أنّها تطغى على ما تبقى من مكوّنات الفطيرة. تفقد العجينة المحاطة بها كلّ مذاقها. بل وأشعر بأنّها تُفسِد ما تبقّى من الفطيرة.

بينما كان يتكلّم، كان صوتٌ، في أعماقه الدفينة، يحثّ سينتارو على أن يكون حذراً. لا تزيد من أعبائك في العمل! لكنّ كلماته كانت تسبق تفكيره.

- مع وجود عجينة أفضل، سوف تصبح الأحوال بكلّ تأكيد أفضل...

- ألا يمكنك أن تحسّن نوعيتها قليلاً؟

- سوف أرى. ولكن حسناً، مهما يكن الأمر، فهذه هي المرّة الأولى، منذ افتتاح هذا المتجر، تُستخدَم فيه حشوة لذيذة إلى هذه الدرجة.

- يمكنك أن تجاملني أكثر، يا معلّم... أنا محبطة. لم أكن لأتصوّر أبداً أن شخصاً لا يحبّ الحلويات يبيع **الدورایاكي**.

- ولكنني أخبرتكِ بأنّني أحبّها. انظري، لقد تناولت القطعة كاملة. منذ زمنٍ طويل، لم أستطِع أن أفعل ذلك.

وكما لو أنّه أراد أن يُظهر بأنّه لم يترك أيّ شيء، فرك سينتارو يديه ونفضها لكي يتخلّص من الفتات العالق بهما.

- ولكن، مع ذلك، هذه خسارة.

قال، وهو يتظاهر بأنّه يرفع كأساً إلى شفتيه:

- في الأساس، في الحقيقة، هذه هي المسألة.

- في هذه الحالة، كنت ستفعل خيراً لو أنّك عملت في حانة للمشروبات والمأكولات الخفيفة.

لم يردّ سينتارو عليها بأيّ كلمة ونهض من مكانه لكي يرفع الستارة الحديد لباب المتجر.

8

لقد تغيّرت حشوة الفاصولياء في متجر دوراهارو.

كان سينتارو يتساءل في نفسه إن كان يجب الإعلان عن ذلك من خلال الكتابة على واجهة المتجر؟ ولكنّه في هذه الحالة ربّما سيُعرّض نفسه للملاحظات. ربّما يقول أحدهم: والحشوة التي كنت تستخدمها حتى الآن، ماذا كانت؟ فقرّر أن يمتنع عن الإعلان عن ذلك.

ولكن، منذ اليوم الأوّل، أصبح الفارق واضحاً وجليّاً. وكانت طالبات المدارس الإعدادية والثانوية اللواتي كنّ في العادة يُثرن الصخب والضوضاء، يلتزمن الصمت والهدوء على نحوٍ غريب. كنّ ينظرن إلى سينتارو بتفحّص ويقلن: «تفضّل، لقد أصبح الوضع أفضل من ذي قبل». مكتبة

لقد انقلب الوضع رأساً على عقب وباتت الفاصولياء أفضل الآن وهذا من دون أن يذكر توكي.

وكذلك لاحظ بعض الزبائن الذين اشتروا **الدورایاكي** وأخذوها معهم إلى البيت التغيّر الحاصل وسألوا: «هل غيّرتم المورّد الذي كان يزودكم بالحشوة؟»

حينما وصلت توكي إلى المتجر في المرّة التالية، أخبرها بالأمر. ابتسمت مبتهجة وقالت: «هذا أفضل!» لكنّها لم تُظهر أيّ غرور بسبب ذلك.

- لكن حجم الأعمال لم يتغيّر. طالما أنّ الزبائن يقومون بإبداء المجاملات، يمكنهم أن يشتروا المزيد من الفطائر.

- إنّه أمرٌ جيّد أن يأتوا إلى المتجر.

- ومع ذلك، إنّ حشوة فاصولياء كهذه لا تتوفّر غالباً.

- الحياة ليست...

- أعلم ذلك.

كانت توكي تقف إلى جانب سينتارو، وفي يدها ملعقة خشبية، وتستغرق، كما كانت تفعل دائماً، في تأمّل فاصولياء **الأزوكي** في الوعاء الكبير.

كانت حشوة الفاصولياء الرائبة التي أعدّتها توكي ذات جودة فائقة بالتأكيد. بدا لسينتارو أنّ تصرّفها خلال مراحل الإعداد هو الذي ضمن تلك الجودة.

قبل كلّ شيء، كانت تولي عناية فائقة لفاصولياء **الأزوكي**. كما لو أنّها قد نسيت العطب الموجود في يديها، كانت تنجز كلّ عملية من عمليات التحضير بدقّة متناهية. كان وجهها على الدوام قريباً من الفاصولياء. وبما أنّ توكي كانت ترغب في أن تجرّب أنواعاً أخرى من الفاصولياء غير التي كانت تنتجها كندا، حصل سينتارو من مورّده على فاصولياء الشاندونغ المنتجَة في الصين وأخرى مزروعة في الولايات المتّحدة الأميركية. قامت توكي بإعدادها بمنتهى الإتقان.

كان كلّ اختلافٍ في نوعية الفاصولياء يُبعِث روائح عطرة حادّة ولكنها مختلفة بعض الشيء، كما كان لكلّ نوعٍ منها بريقٌ خاصّ به. أبدت توكي ملاحظة حول هذا الأمر وقالت، مندهشة: «هذا أمرٌ مثيرٌ للاهتمام، أليس كذلك؟»

تغيير نوعية الفاصولياء كان يعقّد عمليات التحضير. في البداية، وجد سينتارو بأنّ هذا الأمر مملٌّ ومرهق، ولكنّه بدأ هو الآخر، وبطريقته الخاصّة، يهتمّ بسلق الفاصولياء. بما أنّ لكلّ نوعٍ من **الدورایاكي** خصوصيّته وتميّزه، لماذا لا نقوم ببيع مجموعة من **الدورایاكي**، حسب المنطقة المنتجة لفاصولياء **الأزوكي**؟ أو ربّما سنربح أموالاً أكثر، إذا ما قمنا ببيع حلويات تعتمد كليّاً على حشوة الفاصولياء المحلّاة، مثل **يوكان** -وهي حشوة فاصولياء هلامية- أو **كينتسوبا** -وهي عبارة عن حشوة فاصولياء مغلّفة بطبقة رقيقة من العجينة المشوية-، على سبيل المثال؟ تخيّل ذلك على نحوٍ مثير.

ولكن، لم يكن بوسعه أن يزيد أكثر عبء العمل عليه.

ألزَمَ نفسه من دون أيّ استراحة بأن يقوم بالتحضير، وهي مهمّة لم يكن قد اعتاد على القيام بها. كانت أيام العمل مُضنية. كما ينبغي بالطبع أخذ التعب الجسدي بالحسبان. والذي يُضاف إليه السخط الذي يبديه على نفسه وكذلك صراعاته وجدالاته الداخلية. لو أنّه انخرط جدياً في هذا العمل، ربما كانت الفاصولياء ستفتح أمامه عالماً مثيراً. بدأ سينتارو يشكّ في ذلك. وهذا ما خلق في داخله مشاعر جديدة. ولكن في الوقت نفسه، كان جزءٌ منه يثور. تُرى هل كان يُعيد الاتصال بذلك الزمن الذي كان يطمح فيه لأن يصبح كاتباً؟ هذا سؤالٌ آخر ولكن كان عليه على الأقلّ أن ينهي علاقته مع تلك

الحياة التي يقضيها خلف الصاج الحامي. كان هذا أمراً ضرورياً لا مناص منه.

ربّما بسبب هذه الحالة الذهنية، أو لأنّه فعلاً لم يُخلَق للقيام بهذا العمل، كان قوام حشوة الفاصولياء التي يعدّها سينتارو لوحده، أثناء غياب توكي عن العمل، غير متماسكٍ بما فيه الكفاية. وحينما كان يبدو له بأنّه قد حقّق بعض التقدّم، كان يحصل في المرة التالية على حشوة لها نكهة العجينة المحروقة. في بعض الأحيان، كان يشتغل كثيراً على الفاصولياء فتغدو ليّنة ولزجة، أو على العكس من ذلك، يتركها تطرح الكثير من البخار فتغدو جافّة وتتحوّل إلى ما يشبه الطحين. ورغم كلّ شيء، بما أنّه كان قد تخلّى عن سطول الحشوة الصناعية، عندما كانت تنقصه الحشوة المعدّة من قبل توكي، كان عليه أن يخلط بها بعضاً من حشوته التي أعدّها بنفسه. حينما كانت توكي تتذوّق هذا الخليط، كان سينتارو يشعر بنفسه وكأنّه تلميذٌ يقوم بواجبه المدرسي.

أثناء حالات التذوّق هذه، كانت توكي، المنتصبة مثل حرف الألف، ترفع ملعقة من الحشوة إلى فمها، فتشيح ببصرها إلى نقطة بعيدة وتقول: «هناك شيء ما ملتبس في النكهة»، وهي تنظر إلى مكان آخر. ومن دون أن توجّه المزيد من النقد، كانت تضيف: «ولكن هذا مثيرٌ للاهتمام». في حين كانت مُوَسوَسة للغاية في أثناء تحضير الحشوة، كانت بخلاف ذلك تماماً حينما يتعلّق الأمر بالنتائج، كانت تبدو مستمتعة حتى بتنوّع واختلافات الملمس.

- كنتُ أعتقد بأنّه سينبغي عليّ أن أعيد صنع كلّ شيء.

- ومع ذلك، هي أفضل من تلك التي يجلبها مورّدك.

- أنتِ تفاجئينني.

- هذا لأنّ فاصولياء **الأزوكي** في أفضل حالاتها.

ما أن يخفّ التوتّر، كانت توكي تبدو غير مبالية في طريقتها لرؤية الأمور وكذلك في التعبير عن رأيها. كان ذلك يناسب سينتارو تماماً، ولكن في الوقت ذاته، كان مصدراً للحيرة والارتباك. كان ينزعج حينما تنتهي توكي من إعداد الحشوة. كان يردّد لها عبثاً بأنّها ليست بحاجة إلى الظهور أمام الزبائن، بعد فتح أبواب المتجر. كانت توكي تتأخّر لساعة أو ساعتين في المطبخ. بالتأكيد، كانت هناك أسباب قاهرة لهذا الأمر. لم تكن شابّة. وكانت معوّقة. وعلى مرّ الأيام، ظلّت توكي على نحوٍ متزايد ولأوقاتٍ أطول جالسة في مقعدها في مؤخّرة المطبخ. كانت تقول: «أنا متعبة»، «كليتاي...»، وكانت تُبقي فمها مفتوحاً وهي ساهية ومستغرقة في التأمّل. في تلك اللحظات، كانت تبدو أنّها قد فقدت قدرتها حتى على شرب كأسٍ من الماء، كانت تجلس بلا حراك ومريولها على ركبتيها. درجة صَمَمها تزداد أيضاً، فحينما تمّ بثّ إعلانٍ في الشارع التجاري، رفعت توكي وجهها نحو سينتارو وسألت: «ماذا قلت؟»

في ظلّ هذه الظروف، لم يكن بوسع سينتارو أن يطلب منها الرحيل. فقد وصلَ أوائل الزبائن. أطلق سينتارو صرخة ألم لأنّه وإن حَرصت توكي، على الرغم من كلّ شيء، على أن تتوارى خلف السلالم، إلّا أنّها لم تغادر المتجر. حينما وقف زبون، وبين ذراعيه طفلٌ رضيع، أمام الواجهة ذات الأبواب الجرارة، استرقت النظر وصرخت «أو لا لا!» وتململت. وحينما ظهرت مجموعة من

الأطفال، سُمِع صوتها وهي تقول: «يا معلّم، قدّم لهم شيئاً صغيراً». في تلك الحالات، كان سينتارو ينتهي إلى رفع نبرة صوته: «سوف تعودون، أليس كذلك؟» حينذاك، كانت توكي تفتح باب الخدمة وتنصرف خلسةً.

كانت درجات الحرارة قد ارتفعت. وكان الطقس حارّاً بعد ظهيرة ذلك اليوم.

أطلق سينتارو دمدمة خفيفة وهو يضع يده على الثلّاجة. لم يكن هناك فعلاً رتل يقف في الانتظار ولكنّ الزبائن كانوا يتقاطرون على المتجر من دون انقطاع. ولأنّ الحشوة التي خلَطَها صباحاً كانت على وشك أن تنفد، كان يتهيّأ لأن يُخرج كمية إضافية منها. ولكنّ الثلّاجة كانت فارغة. وكان عليه أن يحضّر كمية جديدة منها لكي يقدّمها للزبائن المقبلين، حيث كانت الشمس لا تزال مرتفعة في السماء.

اعتذر سينتارو من العديد من الأشخاص الذين كانوا ينتظرون، وعلّق على الواجهة الزجاجية، اللوحة الخشبية التي تُعلن: «لقد نفدت المخصّصات لهذا اليوم». كان المعلّم السابق قد اشترى تلك اللوحة الإعلانية من دون أن يحتاج إليها. كانت مرميّة بين الأغراض المهمَلَة على الدرج. وقد تذكّر سينتارو بأنّها لم تُستخدَم ولا مرّة.

تساءل في نفسه إن كان قد خُدِع، فراجع الورقة التي كتب عليها المقادير، ولكنّه لم يلاحظ أيّ شيء غير مألوف. وكانت حاوية القمامة الموضوعة إلى جانب الصاج تكاد تطفح بقشر البيض.

راجَعَ في عجلة حجم الأعمال ورقم الواردات. على نحوٍ

إجمالي، كانت ثلاثمائة قطعة من **الدورارياكي** قد بيعت. كان ذلك رقماً قياسياً في حجم المبيعات.

بعد أن أنزل الستارة الحديد لباب المتجر، راح سينتارو يتجوّل في الشارع التجاري الذي كانت الشمس المائلة للمغيب تلقي عليه أولى أشعتها. على الرغم من التعب الذي كابده في العمل، كان جسده يتّقد حيوية. ذهب مباشرة إلى مطعم **سويا** ليشرب فيه كأساً بمفرده.

لم يكن قد اختار هذا العمل بنفسه وبإرادته. وكان يرغب في أن يَستعيد بأسرع وقتٍ ممكن حريّته. كانت هذه أغلى أمنياته. ومع ذلك، كان يشعر بالرضا كما لو أنّه قد تجاوز مرحلة. كان ذلك يثير الاضطراب والتشوّش في داخله. كان يرغب في الوقت ذاته بأن يحقّق انتصاراً مدويّاً ولكنه كان يشعر بأن الأمور تتعقّد... لم يعُد يعلم تماماً إلى أين وصل به الحال.

ما العمل؟

علاوة على ذلك، كان عليه أن يتّخذ قراره مباشرة. فكّر سينتارو وهو يشرب.

تُرى هل سيُواصل تعليق الإعلان المكتوب على اللوحة الخشبية حينما تنفد الحشوة؟ أم أنّ عليه أن يغتنم الفرصة ويفكّر في فتح أبواب المتجر في المساء أيضاً؟ بدا له أنّ لكلٍّ من الخيارين بعض الفوائد وبعض العيوب. إذا ما ازداد حجم الواردات من العمل، سوف تزداد حصّته من الواردات أيضاً. وسوف يتمكّن بالتالي من زيادة مبلغ أقساط ديونه لمالكة المتجر. ولكن من جهة أخرى، كان على وشك أن ينهار تحت عبء العمل. وكان يرى بأنّه لا يُعطي

لنفسه حقّها. كان يمضي كلّ نهاره فقط في إعداد **الدورایاكي**. كانت الأيام تمضي في تكرار الحركات نفسها.

ولكن... فكّر أيضاً في نفسه.

كلما عَمِل أكثر، تحرّر أسرع من سجنه الذي هو صاج الخَبْز. في هذه الحالة، ألا ينبغي عليه أن يعمل دون كلل أو ملل بغية تحقيق هدف رئيس ألا وهو توفير بعض المال؟ ولهذا السبب قد أرسل الربّ الكريم له هذه الجدّة. كانت تحضّر حشوة فاصولياء استثنائية لقاء أجرٍ زهيد. أليست هذه فرصة حقيقية؟

غمغم سينتارو من بين لحيته: «ربّما حانت اللحظة». ثمّ بعد أن ألقى الكحول ضبابة على ذهنه، فكّر في الجوانب العملية.

كان الشارع التجاري كئيباً، ولكنّه مع ذلك يضجّ بالحيوية لما يقارب عشرين ساعة: بدءاً من نهاية فترة ما بعد الظهيرة، حينما كان العائدون من أعمالهم يتسوّقون حاجياتهم يلتقون في ذلك الشارع. في طوكيو، كانت بعض الأكشاك تخصّص فترة ما بعد الظهيرة للتحضيرات، لكي تفتح أبوابها في بداية السهرة وتبقى مفتوحة حتى وقتٍ متأخرٍ من الليل. كان عددٌ مذهلٌ من العاملين والموظّفين، من الرجال والنساء، يرغبون في تناول الحلويات بعد شرب كأسٍ من الكحول. في هذه الظروف، كان من الغباء حقّاً أن يغلق الحانوت بابه في الليل.

يجب أن تبقى المتاجر مفتوحة على الأقلّ حتى الساعة الثامنة أو التاسعة مساءً. في كلّ الأحوال، إذا كان سينتارو يريد أن يجتذب زبائن جدد، كان من غير الوارد أن يغلق في المستقبل باب متجره قبل الساعة التي يعود فيها الجميع من العمل.

ولكن في هذه الحالة، مَن سيقوم بإعداد حشوة الفاصولياء التي سوف تزداد الحاجة إليها على نحوٍ كبير؟

اصطدم سينتارو بهذه المشكلة.

من غير المعقول لامرأة في السادسة والسبعين من عمرها والتي تجلس بين الفينة والأخرى تَعَباً أن تعمل لوقتٍ إضافيّ.

9

هل كان من الممكن تحضير المزيد من الحشوة؟

طرح سينتارو هذا السؤال على توكي بعد عدّة أيام من وضع إعلان «لقد نفدت مخصّصات اليوم»، على واجهة المتجر.

ولم تُجِبْ هذه الأخيرة لا بالسلب ولا بالإيجاب وإنّما اكتفَت بأن حدّقت فيه بثبات دون أن تتفوّه بكلمة. ثمّ ابتسمت وقالت:

- هذا جيّد، يا معلّم.

- بفضلكِ، ازداد عدد الزبائن كثيراً.

- هل تريد المزيد من الحشوة؟

- نعم، في أقرب وقت.

- في هذه الحالة، يجب عليّ أن أمدّ لك يد المساعدة.

وافَقَت توكي على أن تحضّر المزيد من الحشوة دون أدنى اعتراض. بعد أن تناقشا في الأمر، قرّرا أن يحضّرا عشرة كيلوغرامات من الحشوة في كلّ دفعة.

- سوف يكون لديك المزيد من العمل، يا سيّدة يوشي.

- فكّر بنفسك، هذا أمرٌ جيّد.

- كيف تشعرين بنفسك، من الناحية البدنية؟ هل ستحتملين عبء هذا العمل الإضافي؟

- أنت سوف تتكفّل بالعمل الذي يتطلّب قوّة بدنية، أليس كذلك يا معلّم؟

- مممم، نعم.

- إذاً، ما رأيك أن نبدأ منذ اليوم؟

توارت توكي مثلما كانت تفعل حينما تقف أمّ مع طفلها أمام الواجهة الزجاجية ذات الباب الجرّار.

اكتشف سينتارو ما يعنيه أن يكون المرء تحت ضغط العمل الزائد. في الأيام التي كان العمل فيها جيّداً، كان يضع دون توقّف شرائح العجينة على الصاج حتى دون أن يكون لديه الوقت الكافي ليتمطّى. من حينٍ إلى آخر، كان عليه أن يهتمّ بأمر تلبية طلبات الزبائن. كان يقود جبهة صنع **الدورایاكي** وتلبية طلبات الزبائن في آنٍ واحد.

ومع ذلك، ظلّ يواصل العمل من دون عطلة أو إجازة. كما أصبح يستغني في معظم الأحيان عن جهود توكي ولا يُحضِرُها إلى المتجر. وكما لو أنّه ملتصقٌ بالصاج، كان يعمل منذ الصباح الباكر وحتى حلول الليل.

كانت أيامه تمضي بهذه الطريقة. كانت المبيعات ترتفع أحياناً وتنخفض أحياناً أخرى، لكن حجم العمل والواردات ظلّ جيّداً بشكلٍ عام.

أمام المتجر، بدأت شجرة الكرز تتبلّل بفعل الأمطار الموسمية الغزيرة وتلتمع أوراقها المرصّعة بقطرات الماء بلونٍ أخضرَ داكن.

كانت تلك رطوبة مفيدة للأشجار. ولكنها كانت تدلّ، بالنسبة إلى الحلويات الطازجة المصنوعة دون حافظة، على قدوم فصلٍ حسّاسٍ من فصول السنة.

إن درجات الحرارة المرتفعة والرطوبة هما أعداء حشوة الفاصولياء. فالحشوة التي تحتوي على الكثير من السكّر، كالتي يتمّ استخدامها في صنع رقائق **موناكا**، على سبيل المثال، يمكنها أن تبقى كما هي، أي أنّها تحافظ على نفسها. بينما الحشوة المنفوشة التي تُستخدم في صناعة **الدورایاكي والمانجو** فتتأثّر سلباً وتفسَد. وتبعاً للظروف، كان يحدث أن تفسد خلال نصف يوم.

كما كان سينتارو حريصاً وحَذِراً في عملية خَبْز شرائح العجين. فإذا ما أعدّها في وقتٍ مبكّرٍ جدّاً، كانت تتشرّب بالرطوبة وتلتصق ببعضها، فتصبح غير صالحة للاستعمال. ولكي يتجنّب هذا الأمر، كان الحلّ الوحيد هو أن يعدّ الشرائح أوّلاً بأوّل وهو يقدّم الطلبات لحشود الزبائن. خلال موسم الأمطار، كانت الأمور كلّها أكثر تعقيداً.

ولكن بفضل حشوة الفاصولياء التي تعدّها توكي، لاقى **الدورایاكي** نجاحاً كبيراً. حتى حينما كانت الأمطار تهطل، كان الزبائن يحملون مظلّات واقية ويقفون في طابورٍ أمام الواجهة الزجاجية الجرّارة للحصول على طلبهم. ففي حين كان المتجر، في السنوات السابقة، في هذا الفصل يكاد يُغلِق أبوابه لقلّة المبيعات، أصبحت الأيام في هذه السنة زاخرة بالعمل.

وفي هذه الفترة تقريباً، بدأ سينتارو يعاني خلف الصاج من حالات الدوخة والشعور بالغثيان.

كانت الحرارة المنبعثة من الصاج تُضاف إلى العبء الثقيل للعمل الكثير.

كان القيظ الخاصّ بهذا الفصل يندفع عبر النافذة المفتوحة ويلفع سينتارو. جهاز التكييف كان يعمل ولكن سينتارو كان يقف خلف صفيحٍ ساخنٍ حارق. بقع وهالات من العرق الناضح تشكّلت على مريوله الخاصّ بالعمل. كان قد اعتاد أن يشرب الماء بكميات كبيرة في أثناء خبزه لشرائح العجين. وكانت شهيته للطعام تتناقص تدريجياً ويوماً بعد آخر. لم يعُد يجلب حتى السندويشات التي كان يشتريها عادة من السوبر ماركت. وعلى الرغم من كلّ شيء، ظلّ يعمل بشكلٍ يوميّ دون عطلة، مثل ممسوسٍ.

في اليوم الذي علّق فيه سينتارو مرّة أخرى الإعلان: «نفدت المخصّصات»، على الرغم من أنّ المطر كان يهطل، شعر بأنّ جسده أثقل من أيّ وقتٍ مضى. عند العودة إلى بيته، انهار في المطبخ وبقي مطروحاً على الأرض لبعض الوقت. ولم يذهب إلى سريره إلّا بعد أن غبّ كمية كبيرة من الويسكي.

في اليوم التالي.

كان سينتارو جالساً في مطبخ دوراهارو، صامتاً لا ينبس ببنتِ شفة. في الوعاء النحاسي الموجود أمامه، كانت هناك حشوة الفاصولياء التي أعدّها بنفسه. كانت على وشك أن تتعقّد. لم يعُد عليه سوى أن يعدّ كُريات الحشوة بوساطة الملعقة الخشبية وستكون الوجبة الإضافية جاهزة.

حاول من دون جدوى أن يُكمل الخطوات التالية، فقد أصبح

عاجزاً عن الحركة. لم يعُد جسمه يطاوعه. غامراً بالهواء البارد لجهاز التكييف، ظلّ ببساطة متجمّداً في مكانه. لم يعُد بوسعه أن يرفع حتى إصبعاً.

في ذلك اليوم، لم يفتح المتجر.

لقد انتهى به الأمر بأن نام في مقعده، ويبدو أنّه حينما فتح عينيه، كانت عقارب الساعة تشير إلى ما يقارب الساعة الثانية عشرة ظهراً. تحرّك أخيراً في مقعده ولكن من دون أن ينجح في السير إلى باب المتجر ورفع ستارته الحديد. نهض لاهثاً وقام بتغطية حشوة الفاصولياء المحضّرة. وقبل أن يضعها في المجمّدة، تهاوى ثانية وجلس في مقعده.

نزع مريوله وغادر المتجر.

وبينما كانت السماء مغطاة بالغيوم حتى الصباح الباكر، كان الإسفلت يعكس الآن حرارة شديدة.

داخ سينتارو بسبب ضوء الشمس، فلجأ إلى ظلّ شجرة الكرز.

انطلق زيزٌ، جاء قبل أوانه، في صريرٍ صاخب.

مستنداً بيديه إلى اللحاء الخشن لجذع الشجرة، وقف سينتارو بمشقّة وصعوبة على قدميه. كان عرقٌ مزعجٌ يتصبّب من كلّ أنحاء جسده. مستنداً بظهره إلى جذع شجرة الكرز، نظر إلى الأوراق وهي تتأرجح في الهواء. أمّا قمّة الشجرة الخضراء الداكنة، فلم يكن بوسعه سوى أن ينشدّ إليها بالنظر.

حينذاك، تراءى له وجه أمّه على نحوٍ متقطّع كما لو أنّه يظهر من بين أوراق الشجرة. حينما كان خلف قضبان السجن، كانت قد زارته لعدّة مرّات. كانت أمّه التي بدت وكأنّها قد شابت فجأةً تلتزم

الصمت دائماً وهي تقف على الجانب الآخر من الشبكة الفاصلة.

فجأةً، أوشك سينتارو على أن يجهش في البكاء. ولأنّ دموعه كانت جاهزة لتنهمر لأدنى سبب، تجنّب الشارع التجاري الذي كان يجذب الكثير من المارّة وسلك الطريق المحاذية للسكك الحديد. شاهدَ العديد من القطارات تمرّ وهو يشعر كما لو أنّه محصورٌ. بعد مضي برهة، تخوّف من المكوث هناك، فانطلق نحو الحيّ السكني.

كانت السماء صافية تماماً والشمس ترسل أشعتها المبهرة. كان صفاء المشهد يُشير في نظر سينتارو إلى قلقه الخاصّ. كانت الأيام الضائعة تتراكم عند قدميه وتتشابك فيهما. فكّر سينتارو في نفسه ورأى بأنّه لم يكن سوى خرقةٍ. سار في الأزقّة واحداً تلو الآخر. كان صوتٌ يهمس في الهواء: مُتْ!

بعد أن هامَ على وجهه في الشوارع والأزقّة إلى درجة لم يعُد يعرف من أين مرّ، عاد سينتارو أخيراً إلى بيته. وانهار وهو بكامل ثيابه ملقيّاً على سريره.

كان يحسّ بأنّ دماءً تتجمّع في صدره وتنبعث منه حرارة منتشرة.

مُتْ. هيّا، مُتْ.

غرق سينتارو في ذلك الصوت كما لو أنّ الصوت يبتلعه. كان يلهث كما لو أنّه يغرق. على الرغم من كلّ شيء، تراءى له حلمٌ. رأى نفسه يتصبّب عرقاً ولاهثاً وهو يُصارع في مكانٍ ذي ملامح غير واضحة.

10

كان جرس الهاتف يرنّ.

رفع سينتارو رأسه. على الجانب الآخر من الستائر، كان النهار قد حلّ. نظر إلى ساعة المنبّه ووجد أنّ الساعة قد تجاوزت الثامنة صباحاً. لماذا كان رنين الهاتف يلاحقه، بل ولماذا حلّ النهار أصلاً؟ لم يفهم الشيء الكثير في ذلك. لكنّ الرنين لم يتوقّف. نهض سينتارو وذهب إلى الهاتف الموجود في المطبخ.

- يا معلّم، ما الذي حلّ بك؟

كان ذلك صوت توكي.

دمدم سينتارو بجوابٍ، وأعادت توكي سؤالها:

- ما الذي حلّ بك؟

- آه. . .

- هل أنت بخير؟

في الذهن المشوّش لسينتارو، ظهر المشهد على طول السكك الحديد وبنية جذع شجرة الكرز إلى السطح من جديد.

- آه، أنا

ولأنّه كان قد سلّم نسخة احتياطية من مفتاح المتجر إلى توكي، ربّما تكون قد فتحت أبواب المتجر وبدأت بالعمل لوحدها.

- هل لديك عطلٌ في ساعة المنبّه؟ هل تشعر بأنّك لستَ على ما يُرام؟

- عفواً.

أراد أن يقول بأنّه سوف يأتي إلى العمل في الحال، ولكن الكلمات لم تكن تخرج من فمه وكانت تنحصر في حلقه.

أجاب باختصار فقط:

- أشعر أنني لستُ على ما يُرام تماماً.

- ممّا تشكو؟

- لا أدري... أعتقد أنني متعب ومرهَق.

- هل سوف تتحسّن حالك؟

- ربّما لن آتي إلى العمل.

التزمت توكي الصمت لبرهة ثمّ قالت:

- صحيح، لم تتوقّف عن العمل طيلة الفترة الماضية. خُذ قسطاً من الراحة.

- أنا آسف.

- بما أنني قد بدأتُ العمل بتحضير هريسة الحشوة، سوف أعود حالما أنهي التحضير.

- أنا آسف. هل يمكنك القيام بذلك بمفردكِ؟

- نعم بالطبع. ولكن أخبرني، ماذا لو أنّك أخذت يومين أو ثلاثة أيام من الإجازة؟

فكّر سينتارو في نفسه بأنّه إذا ما أخذ إجازة طويلة، تُرى ألا يجازف ذلك بعدم عودته إلى العمل أبداً؟ قاطع حديث توكي، قائلاً:

- سوف أكون في المتجر غداً. آه، حينما تنتهين من التحضيرات، عودي إلى بيتك، من فضلكِ سيّدة يوشي.

- نعم، سوف أفعل ذلك، في الواقع...

قطعت توكي حديثها كما لو أنّها تتردّد في الكلام.

قال لها سينتارو فقط: «عفواً، ولكنني أعتمد عليكِ». ثمّ أغلق سماعة الهاتف.

صباح اليوم التالي، ذهب في وقت أبكر من العادة إلى متجر دوراهارو. لكنّه حينما وصل إلى باب المتجر، كانت الستارة الحديد لباب المتجر نصف مرفوعة، تاركة الروائح الزكيّة تفوح في الهواء.

- سيّدة يوشي!

- آه، عفواً!

- ماذا تفعلين هنا، في هذا الوقت الباكر جدّاً، يا سيّدة يوشي؟

- قلت لنفسي أن آتي وأعدّ العجينة نيابة عنك.

- كيف ذلك؟

كانت توكي قد باشرت العمل بمفردها، وفي يومٍ كان من المفترض ألّا تأتي فيه إلى العمل في الحالة الطبيعية. شارداً بعض الشي، انحى سينتارو أمامها، معتذراً:

- أنا آسف لما جرى يوم أمس.

- كيف تشعر بحالك الآن؟

وفي الوقت الذي ظلّت توكي تراقب الفاصولياء التي كانت تغلي في القدر النحاسي، ابتسمت له ابتسامة خفيفة، فقال:

- أعتقد أنّني سوف أتحسّن.

- ومع ذلك، ليس من المعقول ألّا تأخذ قسطاً من الراحة.

- ممم، سوف أفكّر في هذا الأمر.

اعتذر منها سينتارو وارتدى مريوله. كان يتهيّأ لكي يزرّرها حينما توقّف فجأة عن الحركة.

في الليلة الماضية، على الهاتف، كانت توكي قد أخبرته بأنّها قد وضعت الفاصولياء لكي تُسلَق. وبالتالي من المفترض أن تكون الحشوة المطلوبة لعمل اليوم جاهزة مسبقاً. وبالتالي، لماذا تقوم بإعداد الحشوة هذا الصباح أيضاً؟

- سيّدة يوشي، لقد أعددتِ الحشوة، البارحة. أين هي؟

- آه، البارحة...

أشاحت توكي ببصرها عن القدر النحاسي ولكن من دون أن تنظر على الفور إلى سينتارو وجهاً لوجه. وحينما استدارت، قامت بحركة خفيفة من كتفيها وقالت:

- هذا يعني أنّ... لقد تردّدت، كما تعلم. لقد أعددتُ الحشوة ومن ثمّ أخذتُ قسطاً من الراحة. ومن ثمّ بدأ الزبائن بالمجيء.

- كيف ذلك؟

- بما أنّه كان هناك زبائن، البارحة... لم يكن لدي الخيار، فبقيتُ في المتجر ولم أذهب إلى البيت.

- حقّاً؟ ماذا؟

رفع سينتارو رأسه وسأل مندهشاً:

- بقيتِ في المتجر؟ ولكن. . . ماذا فعلتِ بشأن الستارة الحديد لباب المتجر؟

- لا أحبّها أن تكون مغلقة بالكامل. وبالتالي، رفعتها بعض الشيء، مثلما هي عليه اليوم، وفجأةً ناداني زبون.

- ولكنّكِ كنتِ قد وعدتِني بأنّكِ ستعودين إلى البيت حالما تنتهين من إعداد الحشوة!

شعر سينتارو بأنّ العرق يتصبّب من تحت إبطيه.

- وبالنسبة إلى العجينة، ماذا فعلتِ؟

- آه، بالنسبة إلى العجينة . . . لقد خبزتها بنفسي.

- قمتِ بخبزها؟ هل استطعتِ أن تفعلي ذلك؟

- حسناً. . . نعم. أنا آسفة.

- آه، اعتذاركِ . . .

وضعت توكي الملعقة الخشبية من يدها وأشارت بإصبعها إلى طاولة الحسابات.

- ومن ثمّ. . . ولأنني لم أعرف كيف أمسك بدفتر الحسابات، فقد كتبتُ هنا عدد قطع **الدورایاكي** التي بعتُها.

- ماذا صنعتِ. . .

كانت عبارة عن لوحٍ بكلّ بساطة. وقد كتبت عليه بكتابتها الخاصّة ذات الخطوط المنحنية حجم المبيعات والفوائد. كانت قد باعت كمية جيّدة من **الدورایاكي** وحقّقت أرباحاً جيّدة.

- هل قمتِ بكلّ هذا العمل لوحدكِ؟

- تعبتُ كثيراً. لم أتوقّف طيلة النهار.

- حقّاً، فعلتِ كلّ هذا لوحدكِ؟

- نعم. لوحدي. آه، ولكنّي رفعت الستارة الحديد للباب بمساعدة آخر زبونٍ غادر المتجر. . .

كيف تدبّرت أمرها؟ بماذا تشبَّه شرائح العجينة التي خبَزَتْها؟ هل استلمت المدفوعات وأودعتها في الصندوق بأصابعها المشوّهة؟ ماذا كان رأي الزبائن وردّ فعلهم عند مشاهدتها والتعامل معها؟

كان سينتارو يطرح في نفسه هذه الأسئلة وهو مرهقٌ ومنهك ويكاد أن ينهار تماماً.

ردّدت توكي:

- عفواً؟

- لا شيء. . . لقد فاجأتِني. كان يمكنك أن تخبريني بذلك، على الأقلّ.

- نعم. ولكنّك كنت سترفض، يا معلّم.

كانت توكي قد انتهكت شروط الاتفاق بكلّ وضوح، ولكنّ سينتارو أدرك بأنّه ليس في موقفٍ يتيح له أن يوجّه لها اللوم والعتاب. أمسكت توكي من جديد بالملعقة الخشبية وهي منفعلة مثل طفلة تمّت المشاجرة معها.

- ولكنّكِ إذا كنتِ قد بعتِ كلّ هذا لوحدك. . . لا بدّ أنّك كنتِ متعبة.

- نعم، كنتُ متعبة.

- ومع ذلك جئتِ إلى المتجر في هذا الوقت الباكر من هذا الصباح.

- نعم، لقد جئتُ باكراً.

وإذ لم يعد سينتارو يدري ما يفعله، بدأ يربّت على خدّيه على نحوٍ خفيف، من دون أن يعلم تماماً سبب قيامه بهذه الحركة. ارتعشت توكي، من دون أن تنشغل بالأمر، فأمسك سينتارو بالكوب الذي يُستخدَم في كيل المقادير.

- عفواً.

- فلنكفّ عن الحديث حول هذا الموضوع. كم لدينا من الفاصولياء، اليوم؟

- آه، كيلوغرامان، الوزن الصافي.

أجرى سينتارو الحساب ذهنياً وسكب في كوب المقادير السكّر لكي يقوم بإعداد القَطْر.

- من فضلك.

- ما الذي أصابك؟ هل تفعل هذا لكي تستعيد أنفاسك؟

- كلا.

لماذا كان يربّت على خدّيه؟ لم يكن سينتارو نفسه يعلم سبب ذلك.

في ذلك اليوم، كانت توكي فرِحة طيلة النهار. وهي تقوم بتحريك فاصولياء **الأزوكي** بوساطة الملعقة الخشبية، ثرثرت باستفاضة.

- من أين أنت، يا معلّم؟

- من تاكاساكي.

- منذ أن غادرتَ مدينتك، عشت باستمرار في طوكيو؟

- نعم، أقصد، قمتُ ببعض الأسفار بين مدن مختلفة.

تنهّدت توكي وقالت:

- آه، أحسدك على ذلك.

- ولكن كلا. صحيحٌ أنّ... لقد تسكّعتُ في الكثير من الأماكن.

- حقّاً؟ أين حدث ذلك؟

- أوه، بشكلٍ رئيس في منطقة كانتو.

حينما كنتُ صغيراً، كنتُ أعيش في محافظة آيتشي.

- محافظة آيتشي؟

- نعم. على محور إيدا، انطلاقاً من مدينة تويوهاشي... إنّها فعلاً منطقة ريفية.

في حركةٍ لم يكن من الممكن أن تفكّر فيها في الأوقات الطبيعية، أشاحت توكي ببصرها عن فاصولياء **الأزوكي** لكي تنظر إلى سينتارو.

- كانت أشجار الكرز رائعة، هناك.

- آه حسناً، عن أيّ قرية تتحدّثين؟

- ممم، حسناً...

التزمت توكي الصمت لبرهة.

- حسناً، هناك رابية ونهرٌ يجري في الأسفل منها. ومن الرابية وحتى النهر، هناك الكثير من أشجار الكرز. لا نجد في أيّ مكان آخر أشجاراً تضاهي في جمالها أشجار تلك المنطقة.

لسببٍ تعرفه هي، لم تُفصح توكي عن اسم ذاك المكان.

- هل تعودين إلى هناك في بعض الأحيان؟

- كلا، كان ذلك منذ عشرات السنين.

هزّت توكي رأسها وأدارت بصرها نحو الوعاء النحاسي.

- يا معلّم، ما هي أطباقك المفضّلة؟ أيّ خصوصية لها؟

- في تاكاساكي؟

- الأطباق الخاصّة... بينتو **داروما**، هذا كلّ شيء. إنّها وجبة كاملة نجدها في المحطات، هو نوعٌ من البينتو يُدعى **إيكيبين**.

وهو يسكب ماء القطر في قدر كبير، أفرج سينتارو عن ابتسامة قصيرة. فكّر بأنّ توكي كانت تطرح أسئلة طلاب المدرسة الابتدائية. لكن في هذه الحالة، كان ذلك يناسبه تماماً.

- البينتو **داروما**، هناك منها ما هو أبيض وما هو أحمر. أتساءل إن كان المحتوى مختلفاً.

- **الإيكيبين** لطيفة حينما نتناولها أثناء السفر.

- وأنتِ، يا سيّدة يوشي، ما هي أطباقكِ المفضّلة؟ الآيتشي هي نوع من المعكرونة بتوابل الميسو اليابانية، أهذا ما تفضّلين؟ أم معكرونة **الكيشيمين**؟

هزّت توكي يدها أمام وجهها في إشارة لنفي ذلك.

- حقّاً كانت حياة ريفية. كنّا نحضّر أوراق أشجار الكرز من خلال نقعها بمحلولٍ ملحي. وكنّا نشرب المنقوع بعد تخفيفه بإضافة الماء الساخن إليه. هكذا كانت الحياة في ذلك المكان.

- ولهذا، يعتقد المرء بأنّه يعيش في بلدٍ أجنبي.

- يابان تلك الفترة ويابان هذه الأيام، بَلدان مختلفان.

هزّ سينتارو رأسه وهو يوقد النار تحت القدر الكبير.

- لقد تغيّر كلّ شيء. كلّ شيء.

- كيف ذلك؟

انتصبت توكي وتفحّصت سينتارو من قمّة رأسه وحتى أخمص قدميه.

- كلّا، ولكن... هذا يعني أنّ... أنا...

- ماذا؟

- حسنٌ... أنا مدينٌ ببعض الديون لهذا المتجر.

- أوه، يا للهول!

- كيف أشرح لكِ... لقد مررتُ بظروفٍ سيئة.

- هل أنت مدينٌ بمبلغٍ ضخم؟ يا معلّم، ألا تسدّد شيئاً منه الآن؟

- كلا... معلّمي القديم هو من سدّد ديوني. ولهذا السبب أعمل هنا في المتجر. آه، راقبي جيّداً القِدر، من فضلكِ.

بعد أن لفت سينتارو انتباهها، تفحّصت توكي سريعاً محتوى طنجرة **الساواري**.

- لماذا أنت مدينٌ بكلّ هذه الديون، يا معلّم؟

خفض سينتارو عينيه على القدر الكبير. في قاع الماء، كانت فقاعات صغيرة تبدأ بالتراقص.

- أخجل من ذلك، ولكنني لم أقُم بتدبير شؤون حياتي دائماً كما ينبغي. كنتُ أتقدّم من دون أن أعرف كيف أتوقّف، إذا ما دعَت الحاجة. ومع ذلك، كنت في السابق أريد أن أصبح كاتباً. ولكنني لم أنجح في أيّ شيء أقدمتُ عليه. في كلّ الأحوال، في هذه اللحظة، لا أكتب حتى سطراً واحداً. أرى أنّ هذا سببه الكسل فقط. والأنكى من ذلك، لم أصبح كذلك معلّماً محترفاً في صنع **الدورایاكي**.

- ولكنّك تعمل كلّ يوم.

- نعم.

أطفأت توكي النار تحت القدر النحاسي. ولكنّها، من دون أن تنكبّ على تصفية الفاصولياء المسلوقة، ظلّت تتأمّلها في القدر. ثمّ التفتت إلى سينتارو وقالت:

- سوف نواصل العمل معاً. سوف أستمر في مساعدتكَ.

كان محتوى القدر الكبير أمام سينتارو يغلي الآن بعنف ويشكّل فقاعات كبيرة الحجم.

- كلا، لقد ساعدتِني بما فيه الكفاية بهذه الطريقة. أنتِ بالنسبة إليّ مثل حليفة قويّة أظهرت حضورها. إنّ قول هذا يعني أنّ القَدَر لا يرحم أبداً.

كان سينتارو يتهيّأ للإمساك بوعاء السكّر، حينما ردّت توكي وقد خَفَت صوتها قليلاً:

- أيّ قَدَر؟ القَدر ليس عبارة عن كلمة تُلفَظ بخفّة.

- لا أدري.

- القدر ليست كلمة ملائمة للشباب.

بإحساس مَن يجلب التوبيخ لنفسه، خفض سينتارو عينيه.

قالت توكي:

- أنا... في فترة من الفترات، بقيتُ حبيسة.

قطعت توكي حديثها وهزّت فجأةً رأسها، ثمّ بدأت تملأ بالماء القدر النحاسي. كما لو أنّها ندمت على الكلمات التي أفلتت منها.

- عفواً. أنتِ تهتمين بأمري، وأنا...

قالت توكي من دون أن تنظر إلى سينتارو:

- أنا آسفة. لا تهتمّ بذلك بعد الآن.

11

بدأ فصلٌ جديد.

بين أوراق شجرة الكرز، كانت الزيزان تستمرّ في صريرها. عند غروب الشمس، الذي كان يصبح أبكر وقتاً على نحوٍ تدريجي، كانت تهبّ الآن نسمة خفيفة منعشة.

متجر دوراهارو يتهيّأ لكي يعيش صيفاً من دون موسمٍ سيئ.

عادةً، خلال فترات العطلة الطويلة، كان هناك عددٌ قليل من طلاب المدارس الإعدادية والثانوية. ولكن الحال لم يكن كذلك في تلك السنة. على العكس من ذلك تماماً، كانت الفتيات يأتين يومياً تقريباً إلى متجر دوراهارو ويجلسن إلى طاولة تقديم الطلبات. كنّ منجذبات إلى فطائر **الدورياكي** والمشروبات المنعشة ولكن أيضاً إلى حضور توكي الأمر الذي فاجأ سينتارو على ما يبدو.

كانت تلك حالة طالبات المدرسة الإعدادية العائدات في مجموعات من دروس التقوية التي كنّ يتلقيّنها. كنّ يتحلّقن حول طاولة تقديم الطلبات ويقلن بأعلى صوتهن: «لقد تعبنا من الدراسة»، بحيث تسمع أصواتهنّ توكي الجالسة في خلفية المتجر. وكانت هذه

الأخيرة تبتسم لهنّ وهي جالسة في مقعدها. سألتهنّ:

- حسناً، وماذا لو تقمن بتسلية أنفسكنّ طيلة نهارٍ كامل؟

أبدت الفتيات حسرتهنّ وقلن:

- حينذاك، سوف نتعرّض لتوبيخ أهالينا حال وصولنا إلى البيت.

- إذاً، اذهبن في الحال. إذا كنتنّ ترغبن في أن تمضي الأمور على خير.

- هل تمزحين؟

- كلا. أنا جادّة فيما أقول.

- إيه، هنا، يتمّ دفع طالبات المرحلة الإعدادية نحو الانحراف!

كانت توكي، مع الاحتفاظ ببعض المسافة بينها وبين الفتيات، تبدو وكأنّها تبحث عن اللحظة المناسبة لكي تتكلّم معهنّ. كان سينتارو يشعر بذلك. حينما كانت أصواتهنّ النابضة بالحياة تتعالى في الشارع التجاري، كانت توكي تذهب بتثاقلٍ إلى مقعدها الموجود في مؤخرة المتجر. ولكن ابتسامة خفيفة كانت ترتسم على وجهها.

- أشعر بالملل والضجر كثيراً في بيتي. لا أريد أن أعود إليه!

كانت الفتيات يتناقشن فيما بينهنّ حينما سمعن فجأةً هذه الصيحة تُطلَق بقوّة. أجابت توكي فوراً وبحزم:

- في هذه الحالة، عليكِ أنتِ أن تجدي ما تتسلّين به.

علّقت الفتاة، متسائلة:

- ولكن كيف ذلك؟

فاقترحت عليها توكي:

- ماذا لو عملتِ معنا هنا في المتجر؟

اعترض سينتارو، الواقف أمام الصاج الحامي:

- سوف تتوقفين عن العمل، هل هذا صحيح؟

لم يكن سينتارو يرغب في أن يمزح. كان الأمر يتعلّق بطالبات في المرحلتين الإعدادية والثانوية يأتين لشراء قطعة من **الدورياكي** ويشغلن المكان طيلة ساعتين، وكان ذلك أمراً مرهقاً وشاقّاً. كان يتحرّق رغبة في أن يقول لهنّ بأنّهنّ قد تكلّمن بما فيه الكفاية وأنّه عليهن أن ينصرفن إلى البيت. ومع ذلك، كانت توكي تزجّ بنفسها في حديثهنّ وتعتقد بأنّ دورها يكمن في إغناء النقاش بينهنّ.

منذ اليوم الذي أخبرته فيه توكي بأنّها قد بقيت في المتجر، غيّر سينتارو رأيه. كان يتركها تتصرّف على هواها وحسبما تشاء. كانت أجرتها الساعيَّة زهيدة للغاية، ولذلك كان يحسب لها كلّ الساعات التي تقضيها في المتجر. ومع ذلك، لم يكن هذا الأمر يُجيز لها أن تتعاطى مع الزبائن وتختلط بهم.

لم تكن هذه المسألة هي الوحيدة التي تشغل بال سينتارو وتُقلقه. حينما كان الزبائن يلمَحون توكي في مؤخّرة المتجر، كان بعضهم يُغيّرون في طريقة تعبيرهم. هذا الأمر يصحّ أيضاً بالنسبة إلى طالبات المرحلتين الإعدادية والثانوية اللواتي يجلسن إلى طاولة تقديم الطلبات. كان بعضهنّ يلجأن فجأة إلى الصمت أمامها. كانت ومضة خاطفة تعبر عيونهنّ.

بين الفتيات اللواتي كنّ يأتين نادراً في مجموعات، كانت هناك طالبة في المرحلة الإعدادية يُطلق عليها لقب واكانا. لم تكن هي

بنفسها تذكر أصل هذا اللقب، ولكن حسب زميلاتها الأخريات، كانت قد سرّحت شعرها ذات مرّة بطريقة تشبه بعض الشيء تسريحة واكام، الفتاة الصغيرة في فيلم الرسوم المتحركة **سازايه-سان**. في تلك الفترة بالضبط، كان والداها قد انفصلا عن بعضهما في نهاية دعوى قضائية «ومنذ ذلك الحين، غيّرت طريقة تسريحتها وشخصيتها»، على حدّ قول زميلاتها في المدرسة.

لم تكن واكانا ثرثارة وكثيرة الكلام. وهي تتناول قطعتها من **الدورایاكي**، كانت تتفحّص مطبخ المتجر بعينيها الواسعتين المبللتين. كانت نظرتها الشاردة تثير القلق والاضطراب وكان يحدث أحياناً، وهذا أمرٌ نادر، أن يسألها سينتارو بقلق: «ماذا يحدث لك؟»

حتى حينما كان يسألها، كانت واكانا تلتزم الصمت ولا تجيب بكلمة واحدة. كانت والدتها تعمل خلال الليل ولم تكن أحوالهما المادية ميسورة وكانت واكانا تعثر عندها على ألبسة داخلية رجّالية في حين كانتا تعيشان لوحدهما؛ وقد أسرّت إلى سينتارو بكلّ هذا حينما قدّم لها، ذات يوم، قطعة **دورایاكي** خاصّة.

هذه القطع الخاصّة من **الدورایاكي** لم تكن مخصّصة لواكانا، وإنّما كانت توكي تصنعها من حينٍ إلى آخر. كانت تحشو بحشوة **الآن** أو بالكريمة الطازجة شرائح العجين التي تركها سينتارو. حينما كانت الفتيات اللواتي تتحدّث معهنّ بقلبٍ منشرح يأتين إلى المتجر، كانت توكي تقدّمها لهنّ وهي تقول: «هذه ضيافة مجّانية».

كان ذلك يُثير استياء سينتارو. حاول عبثاً أن يُفهِمَ توكي ذلك، فقد ظلّت تفعل ذلك ولم تتراجع.

- ما الجدوى ممّا تفعلينه؟ من الأفضل أن نرمي هذه الفطائر.

كانت واكانا لا تكفّ عن كيل المديح لقطع **الدورایاكي** الخاصّة وتقول: «**هذه أفضل قطع الدورایاكي**». كانت توكي، وهي تكاد تطير فرحاً، تضيف إليها ملعقة من العسل.

ذات يوم، وبعد أن التهمت قطعة من تلك **الدورایاكي** المتميّزة، طرحت واكانا السؤال على توكي:

- آه... ما الذي حدث لأصابعك، سيّدة يوشي؟

التفت سينتارو؛ كانت توكي قد صالَبَت يديها للتوّ، كما لو أنّها أرادت أن تخفي أصابعها.

- حسناً، كما ترين، في الحقيقة، تبقى معقوفة باستمرار. هذا من جرّاء مرضٍ أصابني حينما كنت صغيرة.

- أيّ مرضٍ هذا؟

بدا لسينتارو أنّ وجه توكي قد تجمّد.

- كان مرضاً رهيباً.

لم تضف توكي أيّ شيءٍ آخر. هزّت واكانا برأسها من دون أن تطرح عليها المزيد من الأسئلة. ربّما لم تعُد تدري ما تقوله، فقضمَت من قطعتها من **الدورایاكي** وأخذت تمضغ بصمت. كان سينتارو يشعر بأنّ صخب المضغ هذا وحده ما يتحرّك جيئة وذهاباً بين توكي وواكانا.

منذ ذلك اليوم، لم تعُد تأتي واكانا إلى المتجر.

كانت توكي، وهي تغسل الأطباق والمعدات، تتحدّث غالباً عن طالبات المرحلتين الإعدادية والثانوية اللواتي كنّ يتردّدن على المتجر.

فلانة قد استعادت أخيراً البسمة. ربّما سيكون حالها أفضل في بيتها. وتلك الأخرى، يبدو أنّها تعاني من عذاب الحبّ. لقد رأيت صديقاتها وهن يواسينها. صحيحٌ أنّ الزمن قد تغيّر، ولكنّ الكلمات لا تزال هي نفسها في هذه الأزمنة. في الواقع، لقد أظهرت لي فلانة هاتفها النقّال من أحدث طراز. أنا متأكّدة من أنّك بنفسك لا تمتلك مثل هذا الهاتف، يا معلّم. سوف يعيش الأطفال مع هذه الأشياء، في هذه الأيام. أتساءل في نفسي كثيراً، تُرى أيّ عصر ينتظرنا.

خلال سير هذه الأحاديث، كانت توكي تذكر أحياناً واكانا. كانت تقول: «لم تأتِ إلى المتجر، في المدّة الأخيرة». وكان سينتارو وهو يزيل آثار احتراق العجين من على الصاج الحامي يعلّق قائلاً:

- تلك الفتاة سيئة التهذيب؟

- لماذا تقول هذا؟

- لأنّها سألتكِ بطريقة غير مهذّبة عن أصابعكِ!

- لقد فعلتَ أنت الشيء نفسه، يا معلّم.

- أنا، كان سؤالي من أجل العمل. كان من الضروري أن أستعلم عن هذا الأمر.

- ولكن... هذا النوع من التصرّف...

- ماذا إذاً؟

- أسأل نفسي، أحياناً...

رفع سينتارو وجهه. لم يفهم ردّ فعل توكي. قالت:

- التظاهر بعدم رؤية شيء هو تصرّفٌ رشيدٌ بكلّ تأكيد. ولكن هل هذا أمرٌ جيد أم من الأفضل طرح السؤال بكلّ صراحة...

- ممم، هذا أمرٌ معقّد.

- لقد لاحظت واكانا ذلك. أقصد مشكلة أصابعي. أعرف ذلك. طرحت هذه الفتاة الصغيرة عليّ السؤال لأنّها اعتقدت بأننا قد أصبحنا قريبتين من بعضنا.

- هل تعتقدين ذلك؟

- نعم. وبالتالي، لا تجعل من هذا الأمر سبباً للحديث عنها بسوء.

- ماذا؟ هل أنا أُسيء إليها؟

أفرجت توكي عن ضحكة خفيفة وشعَرَ سينتارو بأنّه أكثر راحةً.

- أنتِ تحبّين الطفلات، إذاً، يا سيّدة يوشي. أمّا أنا، فحينما يتقاطَرن إلى هنا في مجموعات، أجد صعوبة...

- أنا... في السابق، كنتُ أرغب في أن أصبح مدرّسة.

- معلّمة مدرسة؟

- نعم، لمَ لا... كنتُ أريد أن أدرّس اللغة اليابانية في المدرسة.

- آه، كان ذلك بعد الحرب، كانت اليابان بلداً فقيراً، في تلك الحقبة.

بصورة غريزية، حاول سينتارو أن يمهّد لتوكي.

- لم يكن ذلك فقط في قريتي، كان الجميع فقراء، كما تعلم.

- مدرّسة اللغة اليابانية، قلتِ؟

طرح السؤال ثانية، كما لو أنّه أراد أن يتأكّد.

- كنتُ أحبّ الشِعر. كنتُ أحبّ أشعار هاينه وهاكوشو

كيتاهارا. . . منذ أن كنتُ صغيرة، كنتُ أقرأ المجموعات الشعرية التي كان أخي الكبير يحتفظ بها في غرفته.

- هكذا إذاً. كنتِ طفلة من هذا النوع، يا سيّدة يوشي؟

- في تلك الفترة، لم تكن هناك متعة أخرى سوى تخيّل ما يختبئ خلف الكلمات. كنتُ أحبّ أن أُعْمِل خيالي. فجأة، علمتُ بأنّك كنت تريد أن تصبح كاتباً.

- هذا كلامٌ من الماضي البعيد.

- ولكن أحلام الماضي تبقى، أليس كذلك؟ لم أكن أتصوّر بأنني سأحظى بالفرصة في الحياة لأتحدّث وأتناقش مع فتيات صغيراتٍ بهذه الدرجة من الرقّة واللطف. وبالتالي، أنا سعيدة.

- أهؤلاء فتياتٌ لطيفاتٌ ورقيقات؟

- نعم. لم أستطِع أن أصبح مدرّسة، ولكنني أشعر الآن بأنني أستمتع بجرعة صغيرة من تلك السعادة. شكراً لك لأنّك جعلتني ألتقي بهنّ.

- كلا، من فضلكِ. أنتِ مَنْ تقدّمين لي المساعدة.

وفي الوقت الذي كان يزيل بوساطة فرشاة آثار العجين المحترق عن الصاج الحامي، استحضر سينتارو واكانا: تعالي قريباً لزيارتنا!

12

انتهت العطلة المدرسية الطويلة وارتدت الفتيات الصغيرات اللواتي كنّ يتجمّعن في متجر دوراهارو لباسهنّ الموحّد. طالما كانت الشمس تسطَع، كان الجوّ لا يزال ثقيلاً في بعض الأحيان، ولكن مع اقتراب غروب الشمس، كانت الرطوبة تطغى على الجو. حينما كانت شجرة الكرز ترتعش بفعل الرياح، كانت الأوراق الخضراء المائلة إلى الاصفرار قليلاً تتساقط واحدة تلوَ الأخرى أمام المتجر.

في ذلك اليوم، وبعد الانتهاء من أعمال التنظيف والترتيب في المتجر، التقط سينتارو الأوراق المتراكمة في أخدود سكّة الستارة الحديد لباب المتجر. من خلفه، جاء صوتٌ يناديه.

- آه، أهذه أنتِ، يا سيّدتي.

- أنا آسفة على المجيء في هذا الوقت المتأخر.

وهو يقود معلّمته نحو مقعدٍ عند طاولة المحاسبة، فكّر سينتارو سريعاً.

كانا يتقابلان كلّ أسبوع للتحقّق من الحسابات والتحويلات

المالية. في بعض الأحيان، كان ذلك يتمّ في المتجر، وفي أحيانٍ أخرى، كان سينتارو ينتقل إلى بيت المعلّم المرحوم. ولكن في كلّ الأحوال، كان ذلك يتمّ بعد الاتفاق على موعدٍ مسبَق. وبخلاف كلّ التوقّعات، كانت مالكة المتجر مشغولة جدّاً وكانت تذهب كلّ يوم إلى المستشفى. وكذلك لم يكن من المُتاح اللقاء في كلّ لحظة مع سينتارو الذي كان يعمل من دون توقّف. كانت المسائل المتعلقة بالحسابات يتمّ تناولها من حيث المبدأ حينما لم يكن هناك زبائن، أيّ بعد إغلاق باب المتجر.

كان هذا النظام الذي يشتمل على تحديد موعدٍ مسبَق يناسب سينتارو ويتيح له الفرصة لكي يرتّب أموره. حينما كانت مالكة المتجر ترغب في المجيء، كانت تتّصل دائماً هاتفياً في الليلة التي تسبق الموعد. وكان ذلك يتيح الفرصة أمام سينتارو لكي يقوم بأعمال التنظيف والترتيب وإعداد الحسابات. والأهمّ من كلّ ذلك، كان يمكنه أن يتفادى لقاءً بينها وبين توكي يوشي.

لماذا إذاً، فجأةً... انتاب سينتارو إحساسٌ باطنيّ مزعج. قبل لحظاتٍ من وصول المالكة، كانت توكي لا تزال تغسل الصحون والأدوات. لو أنّ صاحبة المتجر قد وصلت قبل ذلك بساعة واحدة، لتقابلتا وجهاً لوجه.

أسندت عكازها إلى طاولة الحساب وأشارت إلى الأكواب، قائلة: هل ستقدّم لي كوباً من الشاي؟

وضع سينتارو الغلاية على موقد الغاز.

قالت مالكة المتجر:

- أنا آسفة لإزعاجك في وقت العمل.

- لا عليكِ. ما الذي حصل؟

كانت مالكة المتجر، وهي جالسة في مقعدها، تتفحّص المتجر بعينٍ ثاقبة؛ وبدا عليها الانزعاج على نحوٍ مفاجئ وحدّقت في سينتارو.

- حسناً، هناك إشاعة، ولكن... السيّدة التي تعمل هنا...

- آه، السيّدة يوشي.

- تُدعى يوشي؟

لقد تحقّقت مخاوفه أخيراً. استدار سينتارو ووضع يده على مقبض الغلاية.

- لقد علمتُ بذلك من إحدى معارفي. هل هذه السيّدة تعاني من إعاقة في أصابعها؟

أغمض سينتارو عينيه للحظة، ثم قال:

- آه، نعم، بعض الشيء... وما معنى ذلك؟

- وتعاني أيضاً من شللٍ في وجهها، على ما يبدو، أليس كذلك؟

هزّ سينتارو رأسه كما لو أنّه ليقول ليس لديه أيّ فكرة عن هذا الأمر.

حسب قريبتي هذه... آسفة، ولكن، حتى وإن لم يكن هذا سوى إشاعة، هذا مزعجٌ بالنسبة إلى عمل هذه السيّدة العجوز... قد يكون هذا مرض الجُذام.

- الجذام؟

- الآن، يُدعى هذا بداء هانسن.

داء هانسن...

أدار سينتارو هذه الكلمة في فمه وأحسّ بأنّ الدم يتدفّق فجأةً إلى وجهه.

قالت مالكة المتجر:

- وبالتالي أثار هذا الأمر قلقي. لقد جئتُ قبل ساعة من الآن ولكي أكون صريحة معك، قمتُ بمراقبة المتجر من الشارع.

- بدلاً من هذا التعقيد، ربّما كان من الأفضل أن تدخلي إلى المتجر بطريقة طبيعية، أليس كذلك؟ بهذه الطريقة، كنتِ ستستطيعين الالتقاء بالسيّدة يوشي.

هزّت مالكة المتجر رأسها ولكنّ النظرة التي كانت تلقيها على سينتارو أصبحت أكثر قسوةً.

- ولكن ربّما كان هذا الأمر سيُحرجك. بما أنّك استطعت، حتى الآن، أن تُخفي الأمر عنّي.

- كيف ذلك؟ كلا بالتأكيد، ماذا تقولين؟

هزّ الماء المرتجّ مقبض الغلاية في يد سينتارو. ولكن هزّات أخرى كانت تجتاح جسده.

- في الحقيقة، لم أرَ جيّداً ولكن بدا لي أنّ أصابعها كانت غريبة بعض الشيء.

- ولكن هذا الأمر ليس مزعجاً إلى هذه الدرجة.

- نعم، ولكنّ هذا يُزعج الزبائن. وهذا أمرٌ سيئ في عملٍ تجاري.

- ممم...

- إذا كان لديكَ ما تقوله، أخبرني به.

- كلا، لا أعرف أيّ شيء خاصّ عن هذا الموضوع... مهما

يكن الأمر، بفضل حشوة الفاصولياء الرائبة التي تعدّها السيّدة يوشي، ازدهَرَ عمل المتجر. هذه المرأة تعدّ حشوة الفاصولياء منذ خمسين عاماً.

دون أن ينتظر إلى حين أن يغلي الماء حقّاً، ملأ سينتارو إبريق الشاي.

- كما أنّ الأطفال يحبّونها أيضاً.

- آه نعم. إنّها تجيد العمل بالتأكيد، ولكن...

- تماماً. وهذا ليس بالأمر السهل أبداً.

- كم عمرها؟

أجاب سينتارو، وهو يملأ كوباً من الشاي. قال وهو يُفرج عن ضحكة خفيفة:

- حوالي خمسة وسبعين سنة. مقارنة بعمرها، هي محافظة على لياقتها ونشاطها.

- إنّها في سنّي نفسه تقريباً.

أمسكَت مالكة المتجر بكوب الشاي وأطلقت صرخة صغيرة:

- آه!

- ماذا هناك؟

- هل هي أيضاً تشرب الشاي بهذا الكوب؟

هزّ سينتارو رأسه، نافياً ذلك.

قالت المالكة:

- يُقال بأنّ حالات العدوى نادرة في هذا الداء، ولكن هذا لا يجوز على الإطلاق، يا سينتارو. إناء شربٍ تستخدمه امرأة مصابة بداء الجذام، إذا ما صحَّ ذلك!

- بالتأكيد، ولكن... ما تعانيه يداها هو من جرّاء عواقب مرضٍ أصابها في شبابها المبكر. لقد تعافَت منه منذ زمنٍ بعيد حسبما أخبرتني.

- بالطبع هذا ما قالته هي. ولكن، هل أنتَ على دراية بذلك، يا سينتارو؟ في داء الجُذام، حينما يُصاب المرء على نحوٍ خطير بهذا المرض، يفقد أصابعه.

- السيّدة يوشي لم تفقد أصابعها. أصابعها موجودة.

- أين تسكن هذه المرأة؟

في محاولة منه لتهدئة انفعاله، استدار سينتارو ووضع يده على صدره. كانت المفكّرة التي دوّنت فيها توكي المعلومات الشخصية المتعلّقة بها موضوعة على الرفّ في مؤخّرة المتجر. راح يجلبها وفتحها قبل أن يناولها لمالكة المتجر.

أغمضت هذه الأخيرة عينيها، مستغرقة في الصمت.

سألها سينتارو:

- ماذا هناك؟

على الرغم من أنّه لم يكن هناك أحدٌ من حولهما، تحدّثت المالكة بصوتٍ خفيض:

- هناك حيث تقيم هذه المرأة، يتمّ عزل المصابين بالجُذام. هناك حيثُ يوجد المصحّ.

استند سينتارو بيديه إلى لوح التحضير. نظر، في صمت، إلى الأحرف والرموز التي كانت توكي قد خطّتها. ردّد في داخله: إنّه ذلك الحيّ فعلاً. إنّه ذلك الحيّ فعلاً.

في المرّة الأولى التي شاهد فيها عنوانها، قالت له شيئاً ما.

حينذاك، لم يربط بين اسم الحيّ والمصحّ. ولكنّه فهم الأمر الآن: كان العنوان في ذلك الحي الذي يوجد فيه المصحّ الذي سمع به مراتٍ عديدة.

- هذه الكتابة الملتوية...

- كلا... لقد أخبرتكِ بأنّها قد شُفيت.

- لا أدري ما هو عليه الوضع اليوم، يا سينتارو. ولكن في الماضي، كان يتمّ الحجر الصحي على المصابين بهذا الدّاء. لقد رأيتُ بعض المصابين بالجذام حينما كنتُ طفلة صغيرة. في فناء المعابد، على سبيل المثال. كان لبعضهم وجهٌ مرعب. كما لو أنّهم وحوش. حينما كانوا يمرّون في مكانٍ ما، كانت الدوائر الصحيّة تقوم بتعقيم كلّ شيء.

- ولكن، يا معلّمتي...

أمسك بالكوب الذي أعادته إليه وذهب لكي يضَعه في المجلى.

- أسمح لنفسي بأن أؤكّد، ولكن إذا كان العمل في المتجر يسير في النهاية سيراً حسناً، فهذا بفضل السيّدة يوشي. لأنّها تأتي في الصباح الباكر لكي تقوم بتحضير حشوة الفاصولياء.

ألقت مالكة المتجر نظرة خاطفة على القدر النحاسي الموضوع على موقد الغاز وعلى وعاء فاصولياء **الأزوكي** المنقوعة في الماء.

- أعرف ذلك جيّداً. ولكن، مثلاً، إذا ما تحدّث الشخص الذي أخبرني عنها حول إصابتها بهذا الداء، سوف يُصبح المتجر منبوذاً ويعفه الزبائن، أليس كذلك؟ إذا ما كان هناك في أيّ وقت من الأوقات مريضٌ جديد مصابٌ بالجذام في الأنحاء ووصلت العدوى إلى هنا...

- مَن كشف هذا الأمر؟

- كلا، لا يمكنني أن أخبركَ بذلك.

سكتت مالكة المتجر وتفرّست في وجه سينتارو.

- سينتارو، وماذا عنك، أنت الذي تقضي وقتك معها؟ أنت أيضاً، تُعرِّض نفسك إلى خطر الإصابة بالعدوى.

لم يستطِع سينتارو أن يستمر في النظر في عينيها؛ فأدار عينيه نحو وعاء الفاصولياء المنقوعة في الماء.

- باختصار... بالنسبة إلى السيّدة يوشي، هل انتهى أمرها؟

واصَلَت مالكة المتجرة حديثها بنبرة آمرة:

- عوِّضها وكافئها بسخاء إذا ما تطلّب الأمر، ولكن فلتترُك العمل في المتجر. إمّا أن تقدّم هي استقالتها، أو أن يقوم المتجر بتسريحها.

- ولكن، في هذه الحالة، كيف سنتصرّف بشأن حِشوة الفاصولياء؟

- ليس لك سوى أن تتكفّل بنفسك بهذا الأمر. بما أنّك قد عملتَ معها، لا بدّ أنّك تستطيع أن تتدبّر أمورك، أليس كذلك؟

هل سوف ينجح في ذلك؟ لم يكن سينتارو واثقاً. كان تصرّف توكي مع فاصولياء **الأزوكي** يبقى يفاجئه في كلّ مرّة. فالفرق بينهما جذري.

- ماذا إذاً؟ لستَ قادراً على ذلك؟

- كلا، المشكلة لا تكمن هنا.

- ما المشكلة، إذاً؟

- السيّدة يوشي وأنا نجحنا إلى حدّ ما في تسيير أمور المتجر.

الآن، يتقاطر الزبائن إلى المتجر، بل ويقفون في طابور للحصول على طلبهم. كما أنّ هناك شابّات يعتمدن على وجودها في المجيء إلى المتجر. وأنتِ تريدين أن أطردها من العمل؟

- وأنا كذلك، لا أطلب منك هذا الأمر بطيب خاطر. ولكن المسألة ليست بيدنا، طالما يتعلّق الأمر بمرض، بل وبمرضٍ رهيب. وهناك أناسٌ أصبحوا على علمٍ بهذا الأمر.

لم تتزحزح عن موقفها وأصرّت على طرد توكي. لم يعارضها سينتارو برفضٍ واضحٍ وصريح ولكنّ لم ينسَ أن يضيف: «امهليني بعض الوقت، من فضلك».

تكدّر مزاج مالكة المتجر وأصبحت أكثر إلحاحاً.

- كان عليك أن تتصّل بي لكي أحضر مقابلة تشغيلها، كنّا قد اتفقنا على ذلك.

ثمّ أشارت إلى زاوية من المطبخ وقالت مع حركة من ذقنها:

- ناولني هذا، هناك!

كانت تشير إلى عبوة الرذاذ المطهّر للمطبخ.

ناولها سينتارو العبوة وقامت بتعقيم يديها. تناثر رذاذ ناعم من الكحول في الجوّ وطغى وانتشر حتى بلغ فاصولياء **الأزوكي** التي كانت توكي قد نقعتها في الماء.

- أنت تعلم أنني أفهمك يا سينتارو. أنا أفضّل لو أنني لا أطلب منك ذلك، ولكن على المرء أن يتعلّم قبول تقديم التضحيات. لأنّ زوجي قد أمّنك أنت على المتجر. أنت من تديره. لا يمكنك أن تسمح لنفسك بأن تكون عاطفياً، يجب عليك أن تُظهر الحزم والصرامة. ومن ثمّ، لا تنسَ أنّ عليك ديوناً.

خفض سينتارو عينيه بهدوء من دون أن يوافق على كلامها، ولم يرفع رأسه قبل أن تغادر مالكة المتجر.

في تلك الليلة، لم يجد إلى النوم سبيلاً.

لأوّل مرّة، كان قد استلقى في سريره من دون أن يشرب وظلّ يتأمّل في السقف الغارق في العتمة. بعد انقضاء برهة، تبيّن له بأنّه لم يكن يعرف شيئاً عن داء هانسن.

ولأنّه لم يستطع أن ينام بأيّ طريقة كانت، ألقى باللحاف وأنار المصباح على الرفّ المثبّت على الجدار حيث يوجد حاسوبٌ مغطّى بالغبار. شغّل سينتارو للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل هذا النمط القديم من الحواسيب واتّصل بالإنترنت؛ إذ كان لا يزال يستخدم الحاسوب التماثلي ولم يكن قد غيّره. كتب في خانة محرّك البحث: «داء هانسن».

ظهرت قائمة طويلة من النتائج على الشاشة. لم يدرِ سينتارو من أين يبدأ. لم تكن لديه الرغبة على نحوٍ خاصّ في أن يرى الصور المرعبة للمصابين بهذا المرض. لكنّه لو تردّد وماطل، لما أقدَم على هذا البحث. تفحّص أوّلاً النتائج، حسب الترتيب. بدا أن المحتوى مختلف ومتنوّع. عثر على شروحات تاريخية حول المرض وتقارير وأبحاث طبية وكفاح المرضى القدامى الذين نجحوا في إلغاء القانون الخاصّ بالوقاية من الجذام وردود الفعل المختلفة على هذا النصر ومقالات صحفية تسلّط الضوء على المسألة وصفحات ذات صلة خاصّة بوزارتي الصحّة والعمل، وإلى آخره من مواضيع متعلّقة بالمرض.

اختار سينتارو بعض المواقع التي بحث فيها. كانت كلّ المقالات تصبح معقّدة حينما تظهر مصطلحات طبية، ولكنه استطاع، من خلال قراءة الأجزاء الأكثر توفّراً من المقالات، أن يُدرك تقريباً كلّ ما كان يرغب في معرفته.

قبل كلّ شيء، عرف بأنّ كلّ الأشخاص الذين يعيشون في مصحّات اليابان قد تعافوا من المرض. حتى وإن أُصيب أحدهم، بالصدفة، بهذا المرض فإنّ الأدوية الحالية تتيح الشفاء الفوري والتامّ، من دون أن تتشكّل أي بؤرة للعدوى. بداية، علِم بأنّ هذا المرض لا يُعدي إلّا نادراً وأنّه لم يسبق أن أُصيب أيّ فردٍ من الكادر الطبي في اليابان بالعدوى. فقط في مرحلة كانت الظروف الصحيّة فيها سيئة ولم يكن هناك أيّ علاج، تم اعتبار المرض على أنّه عضالٌ ولا أمل في الشفاء منه وتمّ الحجر الصحي على المرضى بموجب القانون. علاوة على ذلك، وبسبب عقابيل المرض وبخاصّة فقدان الأطراف، أصبح ضحايا هذا المرض عرضة للتمييز. ولكن هذه الأعراض كانت تظهر فقط على المرضى الذين تُركوا لفترة طويلة لمصيرهم دون اهتمامٍ أو علاج؛ أمّا إذا تمّ تقديم العلاج المناسب والضروري، فلم يكن يبقى أي أثرٍ أو ندوبٍ في أعقاب المرض.

أغلق سينتارو الحاسوب. لا شكّ في أنّه قد رأى صوراً من الصعب مشاهدتها، لكن فيما يخصّ توكي، أحسّ بأنّه قد أصبح أكثر راحة.

لم تكن ناقلة للعدوى.

كانت المصحّات لا تزال موجودة، ولكن لم يعُد هناك مرضى مصابون بهذا المرض.

حتى وإن كانت توكي قد أُصيبت في الماضي بالجُذام، حسبما أشارت مالكة المتجر، كان يستطيع أن يؤكّد بأنّ ذلك لم يعُد يطرح أيّ مشكلة في الوقت الراهن. ولديه أقوى سبب لذلك، إذ كانت توكي قد تحدّثت عن «مرضٍ أصابها حينما كانت فتاة صغيرة». وكانت سنوات طويلة قد مرّت منذ شفائها التامّ من ذاك المرض.

لم يكن من الضروري صرفها عن العمل. أصبح سينتارو مقتنعاً بذلك.

إذاً، ما الذي كان بإمكانه أن يفعل؟

هل يقوم بطباعة بضع مقالات من الإنترنت لكي يَعرضها على مالكة المتجر ويحاول إقناعها؟ كان الجُذام مرضاً جرى استئصاله تقريباً في اليابان. وقد شفيت توكي منه تماماً منذ عشرات السنين، ولم تكن في أيّ حالٍ من الأحوال مصدراً للعدوى. هل كان عليه أن يشرح لها كلّ هذا؟

لكن سينتارو لم يكن متأكّداً من أنّ هذا الهجوم في سبيل الدفاع عن توكي سيكون حاسماً. فعلى الرغم من أنّ هذا المرض لم يعُد مصدراً للخوف من وجهة النظر الطبية، إلّا أنّ أصابع توكي سوف لن تُشفى بالرغم من ذلك. هذا ما كان يُزعج الناس. بالتأكيد، قد لا يكون هذا كافياً لتغيير رأي مالكة المتجر.

في هذه الحالة، كيف ينبغي عليه أن يتصرّف؟

تستطيع توكي أن تغادر المتجر، في المرحلة الأولى. اعتبر سينتارو أنّ هذا احتمالٌ وارد. يتمّ صرفها على نحوٍ مؤقّت، ولكن ما أن تستقيل من العمل، سوف تستطيع أن تعود حسبما يناسبها لكي تعلّمه كيفية صنع حشوة الفاصولياء. ولكن ما الجدوى من هذا

الحلّ؟ كان سينتارو سيتمكّن من أن يقدّم لمالكة المتجر التغيير المطلوب، وخلال هذه المدّة، سوف يبذل كل جهوده لكي يرتقي إلى مستوى توكي.

ولكن حينما فكّر بالأمر عميقاً، لم تعجبه هذه الخطّة أيضاً. حتى إذا كان الأمر يتعلّق بطردٍ شكليّ من العمل، ما هي الأسباب التي سوف يقدّمها لتبرير هذا القرار؟ لم يكن يرى طريقة لتبرير هذه الحركة التي سيقوم بها. ثمّ أنّه كان يسعى هو نفسه إلى ترك هذا المحل. هل كان عليه أن يتشبّث بهذه الفكرة، إلى حين أن يتغلّب على المشكلة؟

من دون أن يتمكّن من ترتيب أفكاره، ظلّ يحدّق في السقف الغارق في العتمة.

13

في نهاية المطاف، لم يتمكّن سينتارو من اتّخاذ أيّ قرار.

تابع العمل خلف الصاج من دون أن يتّخذ القرار لا في مصير توكي ولا في مستقبل المتجر. لم يتفوّه بكلمة واحدة مع توكي حول الموضوع، ولا غيّر من تصرّفه معها. وقد احتفظ لنفسه بحديثه مع مالكة المتجر وكذلك أبحاثه على الإنترنت حول مرض هانسن.

ولكن هذا الأمر لم يُحرّره من القلق الشديد الذي كان يؤلم معدته. سوف تعود مالكة المتجر وتؤكّد على الأمر. لم يكن ذلك سوى مسألة وقت. حينذاك، بأيّ كلمات سوف يُقنعها؟

أيّ مصيبة! وماذا لو قدّم هو أيضاً استقالته في الوقت نفسه؟ هل سوف يستسلم؟ كان ذلك ممكناً. ولكنه رأى حينذاك وجه المعلّم السابق وهو يقول له: «سوف أتكفّل بالمال، وأنت سوف تساعدني في المتجر».

بعد خروجه من السجن، كان سينتارو يعمل في حانة، حينما ظهر المعلّم السابق في الصالة وقدّم له هذا العَرض.

إذا كان سينتارو قد وجد نفسه خلف القضبان فذلك لأنّه كان قد

أُدين بتهمة تتعلّق بتشريعات حول قنّب الحشيش. بالتأكيد كانت تلك المرّة الأولى التي يُدان فيها سينتارو، ولكنّه كان قد تورّط في بيع تلك المادّة. ومع أنّه لم يكن المذنب الرئيس، إلّا أنّه كان متورّطاً في الجريمة مع منظمات ياكوزا الإجرامية. وكان قد تلقّى مبالغَ لا يُستهان بها من الأموال. ولهذا السبب لم يُمنح أيّ تأجيل لتنفيذ الحكم بحقّه. خلال سنتين كاملتين، قضى وقته في السجن وهو يتأمّل جدران الزنزانة. فقط خلال عمليات الاستجواب القاسية التي كانت تجري، كان سينتارو قد احتفظ حتى النهاية ببعض الأسماء لنفسه ولا يَكشف عنها.

أحد تلك الأسماء التي لم يُبح بها أثناء التحقيقات كان اسم المعلّم القديم.

كانت التحقيقات عبارة عن ثرثرة وإفشاء أسرار من دون تحفّظ، تماماً كما لو أنّه كان يتباهى بعلاقاته مع منظمات ياكوزا الإجرامية، ولكنّ، بالنسبة إلى سينتارو، كان هذا الشخص قد احتفظ على الرغم من كلّ شيء بشيءٍ من النزعة الإنسانية اتجاهه. بعد خروجه من السجن، قال له:

«لقد أحسنتَ حمايتي».

في المساء الذي وافق فيه سينتارو على أن يساعده المعلّم في متجر دوراهارو، كانا قد التقيا مصادفة في عرض الشارع. وبكى المعلّم بحرقة أمامه. وشربا معاً إلى حدّ الثمالة حتى مطلع الصباح. وكان المعلّم قد أُصيب بداء التشمّع بالكبد بسبب إفراطه في الشراب. كانت بشرته أشبه بفطائر **الدورایاكي** التي كان يخبزها. وفي النهاية، قرّر أن يذهب إلى المستشفى حينما أصبح يتقيّأ دماً،

وتوفّي هناك على الفور. كان قد أُصيب بتمزّق في الأوعية الدموية. وقد حدث ذلك خلال السنة الثالثة من عمل سينتارو في متجر دوراهارو.

بعد انتهاء مراسم العزاء، توسّلت إليه مالكة المتجر:

- استمرّ في إدارة المتجر، من فضلك. كان زوجي قد طلب مني أن أُسند إليك إدارته إذا ما أصابه مكروه. وقد ترجّته بصوتٍ يُخالطه البكاء وهي تضع يديها على السجّاد وتنحني أمامه.

من دون أدنى شكّ، كان هذان الزوجان قد أنقذاه من حياة بائسة بعد خروجه من السجن. وبعد أن أجرى كلّ حساباته، لم يكن من الوارد أن يستقيل قبل أن يسدّد ديونه بالكامل. كان سينتارو يدرك ذلك تماماً.

آه... أطلق تنهيدة نحو الصاج.

إذا ما انحاز لإحداهما، فإنّه سوف يُلحِق الأذى بالأخرى. إذا ما ساعد الثانية، فإنّه سوف يُلحق الضرر بالأولى. بادئ ذي بدء، كان هو مَنْ لا يستحقّ الشيء الكثير.

كان محاصَراً تماماً.

كان سينتارو يقوم بخبز فطائره، تائهاً. يقوم بخبزها بحشوة الفاصولياء ويبتسم للزبائن أمام واجهة المتجر. ومن ثمّ، وعلى غرار المعلّم المرحوم، كان يَسكر كلّ مساء.

مرّت الأيام من دون أن يتمكّن من حسم أمره في أيّ شيء كان.

حلّ الفصل الذي كانت المدينة تختفي فيه تحت رذاذ المطر

المتواصل. في الشارع، كان المارّة، وفي أيديهم مظلّة، يرتدون الآن سترة من الصوف أو بلوزة. وكانت شجرة الكرز الموجودة أمام المتجر تفقد أوراقها المصفرّة قليلاً.

تجلّى التغيير فجأةً. وعندما لاحظ سينتارو ذلك، كان الوضع قد أصبح خطيراً.

بعد أن حدّقا طويلاً في دفتر الحسابات في هيئة قلقة، غمغم سينتارو وهو يسأل توكي:

- هل تعتقدين أنّ هذا التدهور في مبيعات المتجر بسبب الأمطار الخريفية؟

كان عليه أن يتحقّق من كمية الفاصولياء. لم يكن هذا هو السبب، إذ كان هناك مخزون كبير من حشوة **الآن** في المجمّدة. لم يكن هناك حاجة لكي يتمّ إعداد حشوة طازجة.

لسببٍ لم يدركه، لم يكن حجم المبيعات في الأسبوع جيّداً. وكانت المبيعات في الأيام الثلاثة الأخيرة على نحوٍ خاصّ كارثية.

من خلال الباب الزجاجي السحّاب، نظرت توكي إلى السماء المكفهرّة ومن ثمّ إلى الشارع.

- فقط لو أنّ الجوّ يتحسّن قليلاً.

- في هذا الجوّ، لا أحد لديه الروح المعنوية.

إذا كان سينتارو قد سعى إلى أن يختم الحديث بهذه الصيغة، فذلك ربّما ليخمد قلقه.

لأنّ تعثّر المبيعات كان واضحاً. وبقدر ما كان النهار يقصر، كانت القائمة تتقلّص وتنكمش باضطراد.

- حينما يتوقّف المطر، سوف يتردّد الزبائن علينا من جديد.

- إذا ما تحسّن الجو، نعم.

ولكن في قرارة نفسه، كان سينتارو قلقاً. لأنّه حينما كان يستذكر الزبائن الذين كانوا يرتادون المتجر في فصل الأمطار، كان يصبح غير مقتنعٍ بتفسيرهما لتراجع مستوى العمل. في تلك الأوقات، وعلى الرغم من الحرارة والرطوبة، كانا قد نجحا في تحسين حجم المبيعات. كان الزبائن يقفون في طابورٍ أمام المتجر حتى في الأيام الماطرة، مشكّلين سلسلة متناسقة من المظلات الواقية من المطر. إذاً، ما الذي يحدث؟ عادةً، موسم **الدورارياكي** يبدأ في مثل هذه الأوقات، حينما يبدأ الطقس بالتحوّل نحو البرودة.

من جهة أخرى، كانت الأزمة الاقتصادية تمنحه أيضاً مادةً للتأمّل والتفكير. كان الشارع قد أصبح يضمّ الكثير من المحلّات والمتاجر التي أقفلت أبوابها وتوقّفت عن العمل. وفقط في الأسبوع الماضي، كان بائع السمك الذي صمد لسنوات طويلة قد انتهى إلى إغلاق باب متجره. وقد بات الشارع يخلو يوماً بعد آخر ويزداد قفراً. ومع كثرة هطول الأمطار واكفهرار السماء على نحوٍ يومي، بات الجميع يشعرون بالكآبة. وبالتأكيد لم يكن هذا الأمر يمنح الرغبة للناس لكي يتبضّعوا.

- هذا صحيح، حتى أنا بنفسي لم أشترِ أيّ شيء منذ مدّة...

كانت توكي تنظر إلى الخارج ساهية، فالتفتت وقد بدا عليها القلق والحيرة.

- سيّدة يوشي، هل قمتِ بالتسوّق، في الفترة الأخيرة؟

بدت يوشي وكأنّها لم تفهم ما أراد سينتارو أن يقصده.

ردّدت قائلة:

- تسوّق؟

- نعم. لأنني كنتُ أقول في نفسي بأنّ المتجر لا يسير على نحوٍ جيّد ولكنني عندما فكّرت في الأمر، اكتشفتُ بأنني أنا أيضاً لم أشترِ أيّ شيء منذ فترة.

عبَرَت ومضةً وجه توكي التي هزّت رأسها. ولكنها غمغمت:

- أنا، تسوّق؟

وابتعدت عن الواجهة الزجاجية مديرة ظهرها إلى سينتارو، لكي تعود إلى مؤخرة المتجر.

في ذلك المساء، وصلت صاحبة المتجر، بعد مغادرة توكي.

وهي جالسة إلى طاولة المحاسبة، كانت تتفحّص دفتر الحسابات، في صمت؛ فانتصبت واقفة وأطلقت تنهيدة عميقة.

- سينتارو!

في المطبخ، انتصب سينتارو واقفاً بدوره. مكتبة

قالت مالكة المتجر:

- كنتُ قد طلبتُ منك بأن تصرفها عن العمل بسرعة، أليس كذلك؟

هزّ سينتارو رأسه، وهو يقف متصلّباً مثل وتد.

- لقد جئتُ لعدّة مرّات إلى الحي. هذا متجري، ولكنني لم أُظهر نفسي لك حتى لا أسبّب لك الإحراج وأفقِدك ماء وجهك. ولكنّها ما زالت هنا وتعمل في المتجر. السيّدة يوشي هذه، لا تزال تعمل في المتجر، أليس كذلك؟

- نعم ولكن، فيما يتعلّق بمخاوفك وقلقك... لا مشكلة مع السيّدة يوشي، إنها متعافية من المرض تماماً.

- إذا كانت متعافية، لماذا تذهب إلى المصحّ؟ لماذا لا تقوم بفعل أيّ شيء؟

- حسناً، هذا لأنّ...

- هل طرحتَ عليها السؤال؟

تلعثم سينتارو ببعض الكلمات.

احتدّت صاحبة المتجر وقالت:

- كيف هذا؟ لا تقل لي بأنّك لم تطلب منها بعد أن تترك العمل. ألم تتأكّد بنفسك بأنّها كانت مُصابة بالجذام؟

- كلا...

- ولكن ما الذي تفعله؟

جعل صوتها الحادّ الهواء يهتزّ في المتجر.

- سيّدتي، انتظري قليلاً، من فضلكِ.

- أنتظر ماذا؟ لقد سبق وانتظرتُ كثيراً.

- أوه، فيما مضى، ربّما كانت السيّدة يوشي مصابة بهذا المرض، مرض هانسن... ولكنّها الآن متعافية، وحالها الآن كحال جميع الناس ولا تختلف عنهم.

- بالتأكيد هي ليست مثل جميع الناس، إذ لديها أصابعَ معقوفة.

- إنّه مرضٌ تمّ القضاء عليه تقريباً في اليابان. لم يعد هناك مرضى مصابون بهذا الداء في المصحّات.

- ما هذه الأضاليل؟ يا له من كلامٍ خلّاب! أنت لست طبيباً، بقدر ما أعرف، أليس كذلك؟

- إذاً، هل تريدينني أن أطرد من العمل شخصاً غير مريض فقط لأنّه كان مريضاً في الماضي؟

- هنا، هذا متجر لتناول الطعام. إنّها مسألة صورة ومنظر لائق. هل تتصوّر أن نحتفظ بشخصٍ في المتجر يسبّب الهلع عند الزبائن؟

مرّرت مالكة المتجر إحدى يديها على وجهها الذي كان قد احمرّ تماماً.

- أنا آسفة لأن أشير إلى ذلك، ولكن حتى الآن، أنت عشتَ بطريقة أو أخرى بفضل متجري. مَن قدّم لك يد المساعدة، حينما كنت في ضيقٍ ومأزق؟ سينتارو، ألا تتصوّر بأنّ أمر المتجر يخصّك أيضاً؟ إذا لم تقُم بطرد هذه السيّدة من العمل، سوف أكون مضطرّة للتخلّي عنك، هل فهمت؟

- ولكن، أوه...

- هنا، هذا المتجر الذي افتتحه زوجي. أنا المالكة لهذا المتجر.

- سيّدتي...

- أعرف. أنت أيضاً في وضعٍ حسّاس. ولكن ما هذا التدهور في حجم العمل والواردات؟ لماذا الآن بالضبط تنهار المبيعات بهذا الشكل الكبير؟ ألا تعتقد بأنّ الإشاعة قد سرَت في المنطقة بأنّ امرأة مريضة تعمل هنا في المتجر؟ إذا كانت هذه هي الحالة، فالمتجر قد أفلس.

- كلا. لو كان الأمر كذلك، لسمعتُ أنا أيضاً الحديث عن هذه الإشاعة. سيّدتي، بكل تأكيد، السبب يكمن في هذا المطر الذي يهطل من دون توقّف. علاوة على الأزمة الاقتصادية، إذا ما ظلّت تُمطر من دون انقطاع...

- مهما يكن الأمر، تصرّف بطريقة تجعلها تنصرف عن العمل لدينا.

أخذت مالكة المتجر نفَساً مفاجئاً وزمّت شفتيها. ثمّ التزمت الصمت طويلاً. بدت وكأنّها تنتظر جواب سينتارو. ولكن، بما أنّ هذا الأخير لم يقل شيئاً، فقد عِيْل صبرها. قالت بنبرة حادّة:

- أعتمد عليك في هذا الأمر.

ثمّ غادرت المتجر.

14

تحت شجرة الكرز، كانت صراصير الليل تُصدر صريرها. وأصبح صوت وقع الخطى في الشارع واضحاً.

كانت تلك أمسية خريفية هادئة؛ وكانت النجوم تُشاهَد للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل.

كانت النار قد أُطفئت تحت الصاج، ولكن جبين سينتارو كان لا يزال يتصبّب عرقاً.

- ألم تغيّري رأيكِ؟

هزّت توكي، الجالسة على كرسيّ، رأسها.

- كلا. لقد اتّخذتُ قراري. على كلٍّ حال، لقد بدأتُ أتعب.

- في هذه الحالة، تعالي، على سبيل المثال، لمرّة أو مرّتين في الشهر، من فضلكِ.

- كلّا...

- لَم تُخبريني بكلّ شيء بعد.

على الجانب الآخر من الستارة الحديد للباب والمُسْدَلَة إلى

مستوى النصف، علَت أصواتٌ، لا شكّ أنّها كانت أصوات طالبات في الثانوية وهنّ يعدن من النادي المدرسي خاصّتهنّ.

- ألا تعتقد بأنّ المتجر قد أُغلق؟ اتركه.

ظهرت سيقانٌ كانت تلوح من تحت التنانير القصيرة من أسفل الستارة الحديد لباب المتجر. قال سينتارو:

- لقد انتهينا، اليوم. أنا آسف.

يا للهول، إنّه أمرٌ تافه... ابتعدت خطوات الفتيات.

- إنّهنّ فتيات نادي التنس.

لمعت نظرة توكي لبرهة. ولكنها خفَضَت رأسها مباشرة. أنْزَلَت يديها المتصالبتين مرّة أخرى على مريولها الموضوع على ركبتيها.

- هنّ أيضاً يُفكّرن مثلي. لا بدّ أنّهنّ سيأتين لزيارتنا بين حينٍ وآخر.

هزّت توكي رأسها نافية.

- لماذا يا سيّدة يوشي؟

- لا شكّ في أنّه إذا كنّا، في هذه الفترة الأخيرة، لم نعُد نبيع أيّ شيء... فهذا بسبب ما حصل لي في السابق.

- ليس من المؤكّد...

- برأيي، بلى.

- لا يُعرَف شيء عن ذلك.

- مع أنّني قد تعافيتُ منذ أكثر من أربعين عاماً.

في هذه الحالة، لا تتحدّثي عن الاستقالة. هذا ما كان سينتارو يريد أن يقوله لها، أو ربّما اعتقد أنّ هذا ما كان عليه أن يقوله. لكن

الكلمات لم تخرج من بين شفتيه. مرّت صورة وجه مالكة المتجر في ذهنه.

ألقَت توكي نظرة عطوفة على سينتارو، وهو غارقٌ في صمته.

- الأمر ليس خطيراً، يا معلّم.

- هذا لأنني لستُ حرّاً في اتخاذ قراراتي أيضاً. ولكنني أتحمّل جزءاً من المسؤولية.

سحبت توكي المريول على ركبتيها وأمسكت بحواشيه بأصابعها المشوّهة.

- مسؤولية ماذا؟

- السيّدة يوشي!

- نعم.

- ربّما لا ينبغي عليّ أن أطرح سؤالاً مباشراً إلى هذه الدرجة، ولكن، مرضكِ... هل هو داء هانسن؟

- نعم. ولكن أنا أيضاً، كنتُ أقول بأنّه سيكون عليّ أن أوضّح الأمور، ذات يوم.

آه...، تنهّد سينتارو، ولكنّه لم يضِف شيئاً.

- ما أن كان يتمّ طرح هذا التشخيص، حتى تنتهي حياتك. في الماضي، هكذا كان الحال مع مرضٍ من هذا النوع.

كان سينتارو ينظر إلى أصابع توكي التي كانت لا تزال تقبض على المريول.

- بل كان يخال للناس بأنّ الأمر كان بمثابة عقابٍ إلهي. كان البعض يقول بأنّ هذا المرض يصيبنا لأننا كنّا سيئين في حياتنا السابقة. كانت حالة واحدة تكفي لأن تحضر الشرطة والدوائر

الصحية وتقوم بتعقيم كلّ شيء من الأعلى إلى الأسفل. كانت العائلات التي يُصاب أحد أفرادها بهذا المرض هي الأخرى تقضي أوقاتاً رهيبة وعصيبة للغاية. كان ذلك بمثابة عارٍ رهيب.

- ولكنكِ تعافيتِ يا سيّدة يوشي، أليس كذلك؟

هزّت توكي رأسها بقوة، مؤكّدة.

- وصل آنذاك دواء أعجوبة من الولايات المتّحدة الأميركية. ولكن المرض ترك بعض الآثار على بعض الأشخاص، مثلما حصل لي حيث تشوّهت أصابع يديّ.

- لقد استعلمتُ عن المرض وقرأت عنه قليلاً. هل كان الحَجْر بالفعل... كليّاً؟

رفعت توكي أحد حاجبيها فقط تعجّباً، وسألت:

- آه حقّاً، استعلمت عن الموضوع؟

- آه نعم، على الإنترنت...

- لقد رأيت ذلك. كان يُسمى العزل التامّ. كان من المستحيل على المريض أن يُغادر النطاق المحدّد له طيلة حياته. وهذا القانون لم يُلغَ إلّا منذ فترة قريبة، هل تعلَم ذلك؟

- أنا آسف للإصرار على السؤال، ولكن لم تعودي...

- منذ أربعين عاماً أُعلِن بأنني سليمة ومعافاة من المرض. أؤكّد لك ذلك. ولكن لم يكُن لي الحقّ في أن أخرج إلى المدينة وأتحرّك بحرية كما هو الحال الآن. حينما ظهر المرض، لم أكن آنذاك سوى...

عند هذه الكلمات، صمتَت توكي. ثمّ رفعت المريول ومسحت به زوايا عينيها.

تأسّف سينتارو:

- العفو، السيّدة يوشي.

- كنتُ بالكاد في عمر هؤلاء الفتيات الصغار اللواتي يأتين إلى هنا...

لم يعُد سينتارو قادراً على أن يلقي بنظره سوى على ركبتَي توكي، فخفض عينيه وأصبح ينظر إلى أرضية المطبخ.

- السيّدة يوشي...

- بعد ذلك، بقيتُ محبوسة طيلة الوقت.

- وهل ما زلتِ في المصحّ؟

- نعم. في تينشوين.

كان هذا هو نفسه اسم المؤسسة التي سمع سينتارو الحديث عنها من قبل الناس. كانت لديه فكرة غامضة عن موقعها، مع أنّه لم يكُن قد سبق له وأن اقترب منها.

- المكان ليس قريباً من هنا. في الأوقات التي لا تسير فيها الحافلات، ماذا تفعلين؟

- لا تشغل بالك بذلك، يا معلّم...

- لا تقولي لي بأنّكِ تستقلين في هذه الحالات سيارة أجرة؟

- دعكَ من هذا الأمر، كما قلت لك.

أفرَجَت توكي عن ابتسامة شاحبة.

- سيارة أجرة... بما أدفعه لكِ لقاء أجرة ساعية. أنا آسف.

- دعكَ من هذا، كان الأمر لطيفاً جدّاً.

- ومع ذلك...

- كلا، حقّاً. لأنّه في الفترة السابقة، كنتُ على قناعة بأنني سوف لن أستطيع طيلة حياتي أن أخرج من المصحّ إلى المدينة. ومع ذلك، استطعتُ أن آتي إلى هنا بحريّة وأن ألتقي مع الكثير من الناس. لأنك منحتني فرصة العمل هنا.

هزّ سينتارو رأسه في حركة سريعة وقال:

- بل أنتِ من قدّمتِ لي المساعدة

- ماذا تقول؟ قبل كلّ شيء، أنا امرأة عجوز. ومن ثمّ، انظر إلى حالة يديّ المشوّهتين ووجهي أيضاً فيه شللٌ جزئي. ولكنك منحتني فرصة العمل هنا على الرغم من كلّ هذا. كما أنّك سمحت لي بأن أهتمّ بأمر الزبائن، بهؤلاء الفتيات الصغيرات اللطيفات. لقد حلمتُ دائماً بهذا النوع من العمل. إذاً، أنا راضية. في كلّ الأحوال، كانت لدي النية بأن أطلب منك أن تدعني أغادر. في الفترة الأخيرة، بدأتُ أتعب فعلاً. لقد جاء الأمر في الوقت المناسب تماماً.

مسحت توكي لعدّة مرات عينيها بأطراف مريولها وخفضت رأسها، بشعره الأبيض، كثيراً.

- شكراً.

- أرجوكِ، أنا من أشكركِ.

- هيا، سوف أنصرف.

من كرسيها، أجالت ببصرها في داخل المتجر، توقفت نظرتها للحظة على الطبق الذي كان يحتوي على الفطائر الفاسدة. ثمّ طوت من جديد مريولها ووضعته على طاولة التحضير وضَّبت شالها الرقيق في حقيبة يدها ونهضت.

- ألقِ تحية الصباح نيابة عنّي على واكانا وعلى الفتيات الصغيرات.

- إذا ما جاءت، سوف أنقل إليها تحياتكِ.

فتحت توكي باب الخدمة في المتجر وخرجت.

اندسّ سينتارو إلى جانبها كما لو أنّه يريد أن يرافقها. في الشارع، تحت إشراقة الإنارة العامّة، كانت شجرة الكرز التي تفقد أوراقها تبدو ظاهرة بوضوح.

- حينما أتيت للمرّة الأولى إلى هنا، كانت الشجرة مزهرة، ولكنّها الآن تبدو حزينة كثيراً.

- الرياح صارت باردة أيضاً.

- تُرى هل سأرى أشجار الكرز وهي مزهرة، في السنة القادمة؟

- بكل تأكيد نعم. لا يزال لديّ الكثير ممّا أتعلّمه منكِ، يا سيّدة يوشي.

من دون أن تردّ، ابتسمت توكي وردّدت مراتٍ عديدة:

- شكراً جزيلاً.

- شكراً لكِ أيضاً.

بحركة منها، أوقفت سينتارو الذي بدا وكأنّه يستعدّ للحاق بها.

- لنفترق هنا.

في صمتٍ، لاحقها بنظراته وهي تبتعد في الشارع المظلم. إذاً، هل كانت قصيرة القامة إلى هذه الدرجة؟ تساءل سينتارو للمرّة الأولى وهو ينظر إلى طيفها وهي مديرة ظهرها. كانت هي من تحدّثت أوّلاً عن تقديم الاستقالة. واكتفى سينتارو بأن وافقَ عليها. ومع ذلك، كان يشعر كما لو أنّه قد طرد أمّه.

عاد إلى المطبخ، ووجهه لا يزال مرهقاً.

كانت عبوة البخّاخ المعقّم موضوعة على طرف طاولة المحاسبة. انقضّ سينتارو عليها وأمسك بها ورماها إلى خلف الستارة الحديد لباب المتجر.

15

تقدّم فصل الأمطار أكثر. على الرغم من التكنيس المستمرّ صباحاً ومساءً، كانت الأوراق المتساقطة من شجرة الكرز تتكدّس أمام باب المتجر. ونتيجة تساقط الأوراق، بدأت الأغصان العارية للشجرة تظهر بوضوح. كان المارة يمضون في طريقهم وكان سينتارو يراقب هذا المشهد بنظرة كئيبة وقد تثاقَل رأسه بسبب الصداع الناجم عن شرب الكحول.

في الفترة الأخيرة، كان يُفرط في شرب الكحول. كان يرتاد خمّارات لم يسبِق له أن دخَلَ إليها. لم يكُن يثير الصخب والضوضاء ولكنّه كان يظلّ يشرب إلى أن يثمل ويترنّح سُكراً. بالطبع، لم تكن ساعة المنبّه مريحة بالنسبة إليه أبداً. وكأنّ الأفكار التي كانت تَشغل باله وتُقلق راحته ترافقه إلى سريره وتُنهكه.

بعد مرور بعض الوقت، لم يعُد يستطيع أن ينهض من فراشه في الموعد المطلوب من أجل الذهاب إلى المتجر لتحضير الحشوة. بعدما كان يستيقظ في الساعة السادسة صباحاً، أصبح ينهض من فراشه في الساعة السابعة ومن ثمّ الثامنة، بل وحتى التاسعة. ووصل

به الأمر، في بعض الأيام، إلى أن يذهب إلى المتجر قرابة منتصف الظهيرة.

لم يكن هناك أيّ شيء يُبقي على الأمل في عودة الزبائن إلى المتجر.

كان سينتارو يتخيّل بأنّ الشارع برمّته كان يدفعه حتى شجرة الكرز التي بدت وكأنّها تبتعد عن المتجر.

- في ذاك اليوم، كان لفطائر **الدورياكي** طعم العجينة المحترقة.

من بين الزبائن الذين ظلّوا أوفياء ودأبوا على الاستمرار في المجيء إلى المتجر، لم يتردّد البعض في إبداء تذمّرهم.

ربّما كان عليه هو أن يرمي تلك الفطائر الفاسدة في حاوية القمامة. ربّما كان سينجح في ذلك تحت تأثير دافعٍ مفاجئ. كان يفكّر في ذلك الأمر أحياناً، من دون أن يتصرّف فعلياً. لم يكن هناك أيّ شيء يحفّزه على ذلك وكان يكتفي بأن يستغرق في كآبته وهو يحرّك فقط عينيه لكي يراقب العالم المحيط به.

ذات مساء، وبينما كانت الرياح تهزّ أغصان شجرة الكرز، عادت واكانا، للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل. كان سينتارو يتهيّأ لإغلاق أبواب المتجر وقد أطفأ النار من تحت الصاج.

كانت واكانا، وهي ترتدي سترة قصيرة، تحمل طرداً كبيراً جدّاً بحيث كان جذعها يختفي خلفه: كان شيئاً أشبه بصندوقٍ، مغلّفٍ داخل قطعة من القماش الأخضر الشاحب. بعد أن ألقت التحية

باقتضاب على سينتارو، وضعَت الطرد على إحدى الكراسي الموضوعة حول طاولة المحاسبة.

- ما هذا الذي جلبتِه؟

- آه...

- المتجر مغلق.

هزّت واكانا رأسها، من دون أن توحي بأنّها ستُغادر المتجر.

أمسك سينتارو بفطيرة **دورایاكي** من الواجهة الزجاجية الحامية وناولها لها.

- لا تَبقي واقفة هناك، اجلسي.

- عفواً.

كان صوت واكانا يخرج همساً. قالت:

- آه... السيّدة يوشي ليست هنا، أليس كذلك؟

- كلا.

خفَضَت واكانا عينيها على فطيرة **الدورایاكي**، ومن ثمّ نظرت إلى سينتارو.

- ماذا هناك؟

- آه... هذا أمرٌ محرج، ولكنني... لا أملك نقوداً.

ردّ سينتارو وهو يضحك:

- ماذا تقولين؟ هذا لا يهمّ في شيء. طالما أنّ المتجر مغلق.

- شكراً.

انحنت واكانا وهي تنهض قليلاً عن كرسيها وأمسكت بقطعة **الدورایاكي** بيديها. وضع سينتارو قطعة أخرى منها في الصحن.

- ما هذا الطرد الذي جلبتِه؟

أعادت واكانا، التي كانت تتهيّأ لقضم قطعة **الدورارياكي**، رأسها إلى الخلف وسحبته بين كتفيها.

- بالضبط.

- ماذا يعني، بالضبط؟

- هذه هي المشكلة بالضبط... لقد هربتُ من البيت.

- هربتِ من البيت؟

هزّت واكانا رأسها في إشارة إلى التأكيد على ذلك. ثمّ مدّت يدها نحو الطرد الموضوع إلى جانبها.

- هذه عبارة عن ستارة.

كشف القماش المُزاح عن قفصٍ للعصافير. تحرّك طائر ذو ريشٍ أصفرَ فاقع.

- ليس له أيّ مكان ليذهب إليه.

- هذا كناري.

- يُدعى مارفي. أعتقد أنّه طائر كناري أصفر الصدر. وقد جئتُ أطلب منك خدمةً.

قال سينتارو في نفسه: «لم يكن ينقصني سوى هذا».

ثمّ، وعلى نحوٍ غريزي، تنحنح وقال:

- لقد مرّ وقتٌ طويل وأنتِ لم تأتي إلى المتجر. إذاً، جئتِ تطلبين خدمة...

- حسناً، هذا وعدٌ بين السيّدة يوشي وبيني.

- كيف ذلك؟

ألقت واكانا نظرة على القفص وأطلقت كلمة «آه...» وهي مترددة.

- لا تقل لي بأنّه سوف يكون عليّ أن. . .

- أعتقد أنّه قد تعرّض لهجوم مِن قِبَل قِطّ. قبل ما يقارب ستّة أشهر، كان مارفي ينزف دماً ويتلوّى على الأرض في كلّ اتجاه. اعتقدتُ بأنّه لن ينجو من هذه الإصابة، ولكن لأنني لم أكُن أستطيع أن أتركه هناك، أخذته معي إلى البيت. وهناك، تعافى من جراحه. كنتُ أدهن يومياً جراحه بالمرهم الطبي. قلتُ في نفسي بأنّه، في كلّ الأحوال، سوف يموت، ولكنّه تعافى تماماً.

- ممتاز. . .

لكنّ. . . أشارت واكانا إلى القفص وقالت:

- مارفي، طائرٌ ذكر. فجأةً، ما أن تعافى من جراحه، بدأ يغرّد من حينٍ إلى آخر. وهذا الأمر مثير للخشية.

- لماذا؟

- لأنّ بيتي عبارة عن شقّة، ومن الممنوع أن أحوي فيه الحيوانات. أمرتني أمّي أن أطلقه قبل أن يذهب الجيران ويشوا بنا عند مالك الشقّة. ولكن بدا وكأنّ جناحيه قد تجمّدا بعد تعرّضه للحادث ولم يَطِر مارفي بطريقة جيّدة. تركته حرّاً في حركته داخل المنزل لكي أرى، فطار قليلاً ثمّ سقط أرضاً. ولكنّ أمّي لم تتركني، منذ ذلك الصيف، وظلّت تلحّ عليّ كلّ يوم وتطلب منّي أن أطلق سراح الطائر. سوف تستمرّ درجات الحرارة بالانخفاض، أليس كذلك؟ وسوف يصبح الطقس أكثر قسوة على نحوٍ متزايد. لا أتصوّر أنّ طائر كناري يستطيع أن يقاوم هذا الطقس ويعيش في الخارج. علاوة على ذلك، ولأنّه لا يستطيع أن يطير بشكلٍ جيّد، أعتقد بأنّه

سوف يتعرّض من جديد إلى هجومٍ من قِبَل قِطّ أو غرابٍ أسود. أرى أنّ إطلاق سراحه على الرغم من معرفة كلّ هذا هو عبارة...

فتح سينتارو الصنبور وملأ كوباً من الماء وبدأ يَسقيه على جرعات صغيرة. كان الماء يترك عليه تأثير جرعة من الدواء المرّ.

- وماذا عن هذه الخدمة التي جئتِ تطلبينها منّي؟

- في الواقع، كان لديّ شعورٌ مسبقٌ بأنّ الأمور سوف تسير بهذه الطريقة وكنتُ قد تكلّمت عن هذا الأمر مع السيّدة يوشي، هنا في المتجر نفسه.

- هنا في المتجر؟

- نعم. آه... حينما أخذتَ استراحة بسبب حالة الكآبة التي ألمّت بكَ.

- بسبب حالة الكآبة التي ألمّت بي؟

- هذه كلمات السيّدة يوشي.

كان الوقت في نهاية موسم الأمطار، حينما غاب عن المتجر. مرّر سينتارو إحدى يديه على جبينه.

- وماذا قالت السيّدة يوشي؟

- حسناً... قالت بأنّه في حال لم يعُد بوسعي أن أحتفظ بالكناري، أنتَ سوف تهتمّ بأمره.

- أنا؟

- نعم.

في القفص، رفرف الكناري بجناحيه في علامة على تذمّره. قفز من مكانه راسماً مثلّثاً في الهواء وزقزق في صوتٍ أجشّ. لم يكن ذلك صوت تغريد طائر الكناري كما كان سينتارو يعرفه.

ربّما لم يكن ذلك فصل التغريدات المتناغمة.

- السيّدة يوشي تبالغ بعض الشيء. اسمعي، هذا أمرٌ مؤسف، ولكنني أنا أيضاً أقيم في شقّة وليس لديّ مكانٌ لكي أحوي حيواناً.

- هي أيضاً أخبرتني بهذا الأمر. في هذه الحالة، حسبما قالت هي، ربّما توافق على إبقائه هنا في المتجر.

- السيّدة يوشي قالت لكِ هذا؟

- نعم.

- هذا كلامٌ أُطلِق على عواهنه.

كاد سينتارو أن يُطقطق بلسانه في إشارة إلى الاستنكار أمام واكانا.

- لا يمكن إيواء حيوانٍ هنا في المتجر أيضاً. ثمّ أنني لستُ أنا مالك هذا المتجر حتى أتصرّف كما يحلو لي. بشكلٍ عام، إنّ إيواء حيوانٍ في مكانٍ يقوم الناس بتناول الطعام فيه أمرٌ معقّد وغير مرغوب فيه.

- حقّاً؟

- أعتذر منكِ.

بدت على واكانا علامات الشعور بالإحباط. كانت تنظر إلى الكناري في القفص وفمهما نصف مفتوح.

- واكانا؟ هل تعلمين لماذا توقّفت السيّدة يوشي عن العمل في هذا المتجر؟

ماذا سيقول لطالبة في المرحلة الإعدادية؟ إذا كان عليه أن يتراجع عن سؤاله، كان عليه أن يفعل ذلك الآن.

تردّد سينتارو للحظة، ولكنّه لم يستطع أن يكبح نفسه.

- واكانا، لقد سألتِ السيّدة يوشي، أليس كذلك؟ سألتِها لماذا أصابعها كانت على تلك الحالة.

كانت نظرات واكانا مثبتة على الكناري وهي تجول نحو اليمين ونحو اليسار. أومأت برأسها في إشارة إلى تأكيدها على ذلك.

- لقد أخبرتكِ بأنّها كانت قد أُصيبَت بمرضٍ في شبابها، أليس كذلك؟

- نعم.

- في ذلك اليوم، هل كانت تلك المرّة الأولى التي تنتبهين إلى أصابعها؟ أم أنّكِ لاحظتِ ذلك من قبل؟

رفعت واكانا بصرها نحو سينتارو.

- كنتُ أعرف ذلك من قبل.

- إذاً، لماذا طرحتِ عليها السؤال؟

زقزق الكناري.

- لأنّه بدا لي أنّ هذا أفضل.

تحت الإضاءة الخافتة، كانت عينا واكانا الكبيرتين والمبلّلتين، وهي علامتها المميّزة، تتوسّعان.

- أنا أرى. حسناً. إذاً، دعني أقول لك...

كانت السيّدة يوشي تشعر بالقلق والانزعاج لأنّ حجم الأعمال والواردات في المتجر كان ينخفض باستمرار. وكانت تتساءل إن لم يكن ذلك بسببها هي.

- هذا اسمه مرض هانسن، أليس كذلك؟

هزّ سينتارو رأسه ببساطة ولزم الصمت.

- ولكن كيف فهمت ذلك؟

- لم أتحدّث سوى إلى شخصٍ واحدٍ فقط عن أصابع السيّدة يوشي.

- مع منْ تحدّثتِ؟

خفَضَت واكانا عينيها نحو قطعة الدورایاكي في صحنها. ثمّ رفعت وجهها ببطْء.

- مع أمّي.

اجتاحت زوبعة الشارع. وأصدرت الأوراق المتساقطة قرب الواجهة الزجاجية الجرّارة خشخشة صاخبة.

- آه حقّاً، مع أمّكِ؟

- نعم. ويبدو أنّها جاءت حينذاك لوحدها إلى المتجر.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- من هنا، إذا ما ذهبنا بعيداً بالحافلة، هناك مصحٌّ للأشخاص المصابين بداء هانسن، أليس كذلك؟ قالت لي بأنّها ربّما تكون إحدى النزيلات في هذا المصحّ. وقالت لي بأنّه عليّ ألّا أعود أتردّد على هذا المتجر.

كان الكناري يقفز بشكلٍ دائري كما لو أنّه يريد أن يشير إلى أنّ القفص يضيق به.

كانت أوراق شجرة الكرز تتساقط الواحدة تلو الأخرى.

قال سينتارو بهدوء وهو يحرص على ألّا تتغيّر طريقة تعبيره:

- آه حسناً... فهمت...

ولكنّ الكلمات هربت منه، وتابع:

- ووالدتكِ، هل تعتقدين بأنّها قد تحدّثت عن مرض السيّدة يوشي مع شخصٍ آخر؟

- لا أدري. ولكن نظراً إلى طبيعة العمل الذي تقوم به في المساء، ربّما تكون قد تحدّثت عن ذلك مع شخصٍ آخر حينما كانت ثملة. مع رجلٍ من الحيّ، على سبيل المثال.

ظلّت واكانا جامدة في مكانها بلا حراك، ونظرتها منصبّة على داخل المطبخ.

استأنف سينتارو الحديث، قائلاً بصوتٍ خافت:

- ليس هناك سوى أمّك... كان هناك زبائن ينظرون إلى السيّدة يوشي بطريقة غريبة، هذا أمرٌ مؤكّد. والآن، انخفض عدد الزبائن بشكلٍ كبير. كما لو أنّ الإشاعة قد انتشرت.

- هذا مثيرٌ للاشمئزاز.

كانت نبرة صوت واكانا تضمر شيئاً من التوبيخ، كما لو أنّها لم تشعر بأنّها معنيّة بالأمر. تساءل سينتارو في داخله عن كيفية الردّ، فابتلع نتفاً من الحديث الذي كان على طرف لسانه.

- هذا هو حال الناس. ولهذا السبب ليس من الوارد أن نحتفظ بهذا الكناري هنا في المتجر. في النهاية، سوف يتوجّس الجميع من إنفلونزا الطيور، أليس كذلك؟ قبل عشرة أعوام، ربّما كانت الأمور مختلفة، ولكن الآن، سوف يُنظَر بطريقة سيئة إلى مسألة وجود طائر في محلّ لتناول الطعام.

- تعتقد ذلك؟

لامست واكانا بإصبعها قضبان الحديد لقفص الطائر. قفز مارفي.

- أعتقد أنّه سيكون هناك زبائن سوف يرتادون المتجر بسبب وجود طائر كناري فيه.

هزّ سينتارو رأسه رافضاً هذا الرأي.

- الأمر ليس بهذه السهولة.

خفضت واكانا رأسها.

- ولكنني أقول...

- ماذا؟

- أنا أتحدّث عن الناس كما لو أنني لستُ معنية، ولكن في هذه الحالة... لقد فعلتُ ما هو أسوأ.

كانت واكانا تداعب في صمت قضبان الحديد لقفص الطائر. قفز الكناري ونقر بمنقاره على مكانٍ قريبٍ من إصبعها. سحبت واكانا إصبعها، وأدارت وجهها أخيراً نحو سينتارو الذي قال:

- لأنني لم أقف إلى جانب السيّدة يوشي حينما أرادت أن تستقيل من العمل.

- ماذا تريد أن تقول؟

- لقد علّمتني كلّ ما يتعلّق بإعداد حشوة فطائر **الدورایاكي**.

ساد صمتٌ لبرهة، ثمّ غمغمت واكانا:

- لا أدري، ولكن في هذه الحالة، ماذا لو تنطلقان من نقطة الصفر من جديد؟

- الانطلاق من نقطة الصفر من جديد؟

- نعم.

- هل أنت غاضب لأنّه ليس هذا ما كنتَ تريده؟

- أنا أعتقد...

هذه المرّة، جاء دور سينتارو لكي يخفض رأسه.

- ماذا لو بدأتما من نقطة الصفر من جديد؟

- الأمر ليس بهذه البساطة. . .

- هل لديك رقم هاتف السيّدة يوشي؟

نهضت واكانا. أجاب سينتارو، كما لو كان محشوراً في الزاوية:

- ليس لديها هاتف، على ما يبدو.

ولكن لديّ عنوانها.

- هل تعلم أنّها، في تلك المرّة، قالت لي بأنّها، كحلٍّ أخير، تريد أن تهتمّ بأمر مارفي، في حال لم تستطِع أنتَ فعل ذلك؟

- حقّاً؟

- نعم بالفعل. هذا ما قالته لي. في ذلك اليوم، شاهدنا القمر معاً. كان البدر ظاهراً فوق شجرة الكرز أمام المتجر. قالت لي السيّدة يوشي بأنّ البدر جميل، فلنتأمّل فيه معاً. . . واقترحت عليّ هذا الأمر ونحن نتأمّل في القمر. بالنسبة إليها، كان هذا وعداً بيننا نحن الثلاثة، القمر وهي وأنا.

- وعدٌ مع القمر. . . ولكنّ المكان الذي تعيش فيه السيّدة يوشي هو بلا شكّ مصحّ.

- ولكنّها وعدتني بذلك.

- في هذه الحالة، يمكننا أن نكتب إليها.

أشرقَ وجه واكانا. كان سينتارو في مرمى نيران عينيها الواسعتين المبلّلتين.

في نهاية المطاف، اتّخذ القرار بأنّه سوف يحتفظ بطائر الكناري بانتظار تلقّي الجواب من توكي. عاد إلى بيته وهو يصلي لكي لا يذهب أحدٌ ويشي به عند مالكة المتجر.

16

بدا سياج أشجار البهشية وكأنّه لا يريد أن ينتهي أبداً.

على الشارع الرئيس الواسع الذي كان يشهد حركة سيرٍ مكثّفة، في زاوية شارعٍ هادئ، كانت تنتصب لوحتان طرقيتان. كُتِب على الأولى: **المركز الوطني للتوثيق حول مرض هانسن**. وعلى الثانية: **تينشوين**. انطلاقاً من هناك، كان الجانب الشرقي للشارع حيّاً سكنياً. كان السياج الأخضر من أشجار البهشية يمتدّ إلى ما لا نهاية، وهو أشبه بحدودٍ فاصلة.

سار سينتارو إلى جانب واكانا. في ذلك الشارع، قلّما يلتقي المرء بمارّة آخرين. كان سياج أشجار البهشية الذي يبدو وكأنّه لا نهاية له يذكّر سينتارو بالمكان الذي كان قد زاره في الماضي. كانت زقزقة العصافير فقط تصل إليهم بحدّة. وكما لو أنّه يردّ على العصافير، زقزق مارفي في قفصه.

- هذا السور الشجري لا ينتهي.
- هذه أشجار البهشية، أليس كذلك؟ هذه الأوراق المدبّبة.
- نعم، شجرة الميلاد.

- يبدو أنّها غُرسَت بكثافة شديدة لكي يتمّ منع هروب المرضى.
- يتعلّق هذا الأمر بالماضي، أليس كذلك؟
- نعم، ولكنّ السور لا يزال موجوداً.

كانت واكانا أيضاً، بعد أوّل حديثٍ لهما حول المرض، قد بحثت في الإنترنت وجمَعَت بعض المعلومات عنه. كانت قد راكمَت لديها بعض المعارف حول سياسة الحَجْر على مرضى الجُذام، في الماضي.

بينما كانا يتقدّمان على طول السياج، ترك سينتارو أطراف أصابعه تلامس أوراق أشجار البهشية الكثيفة جداً. كانت الأوراق المدبّبة توخز يده على نحو مؤلم. بدا له ذاك الألم أكثر إزعاجاً من قضبان السجن التي كان قد أقام خلفها.

كان السياج النباتي ينقطع من وقتٍ لآخر وقد بدا أنّ تلك الفتحات في السياج هي آثار المداخل القديمة الخاصّة بالخدمة. ولكن حتى في هذه الفتحات، كانت نباتات كثيفة ترتفع وتحجب الرؤية نحو الداخل.

سارا على طول السياج لمسافة طويلة. وأخيراً، ظهر لهما باب المركز الوطني للتوثيق حول مرض هانسن.

تابعا سيرهما في طريق مهجورٍ يبعث على الحزن والكآبة، ولكن في مدخل مركز التوثيق كان الهدوء يسود أيضاً، حيث كانت أشعة الشمس المتسرّبة عبر أوراق الأشجار تسقط على المباني المحيطة بفناء المركز. كما كان صمت الضوء والظلّ يشيران إلى هدوء المكان.

أمام مركز التوثيق، كان ينتصب تمثال أمٍّ وطفلها، في اللباس الخاصّ بالمرضى.

تُرى هل كانت الأمّ وحدها مصابة بالجذام، أم الطفل الذي معها أيضاً؟

فيما مضى، كانت أمّهات مطرودات من قراهنّ مع أطفالهنّ يتشردن بلا شكّ في بلدات غريبة لأنّهنّ كنّ قد أُصبن بعدوى هذا المرض. ربّما كان هذا التمثال مخصصاً لإشاعة الهدوء والسكينة في أرواحهنّ. أحسّ سينتارو، وهو يدرك بأنّه يوجد في مكانٍ محمّلٍ بعبء ماضٍ ثقيل، أحسّ بأنّ التشنّج يَنال من ظهره.

إلى جانب مرأب مركز التوثيق، كانت هناك لوحة إعلانية عليها مخطط الأقسام الداخلية لمصحّ تينشوين. كان متوقّعاً أن يعثرا على توكي في المخزن. بحسب المخطّط، كان المخزن يقع وسط مبنى المركز تقريباً، بالقرب من قاعة الاجتماعات والحمّامات. كما كانت هناك مجموعة من البيوت تقع في صفوف منسّقة بشكلٍ منتظم، يحمل كلّ بيتٍ منها اسماً محدّداً من قبيل «أوب» أو «فينوس».

«لا يزال الوقت باكراً بعض الشيء».

بناءً على طلب واكانا، نظر سينتارو إلى ساعة يده. بالفعل، كان قد بقي لهما بعض الوقت قبل أن تحين ساعة موعدهما مع توكي.

- في هذه الحالة، ما رأيكِ أن نتجوّل قليلاً داخل المركز؟

- اتّفقنا.

على الرغم من أنّها هزّت رأسها بالموافقة، بدت واكانا مرهوبة. كان سينتارو يَتفهّمها. فقد شعر بالشعور نفسه من الرهبة.

كان عالماً يبدو له، حتى قبل قليلٍ من الوقت، غريباً تماماً. وها هو الآن يمتدّ أمام ناظريه.

كان القانون الخاصّ بالوقاية من الجُذام قد أُلغي في عام 1996. في تلك السنة، حصل المرضى السابقون على حقّ الخروج بحرية من المصحّ. كما أنّ ذوي المرضى، الذين كان من المحظور عليهم الدخول إلى داخل سور الأشجار البهشية، استطاعوا أن يدخلوا بحرية إلى داخل المصحّ الخاصّ بالحجر الصحي على المصابين بداء الجذام.

ولكن على الرغم من ذلك، وخلال أكثر من قرن، لم يكن هذا المكان قد توقّف عن ابتلاع أناس ولفظِ آخرين. خُيّل لسينتارو بأنّه يشعر، خلف ذاك الهدوء الفريد، بتنهّدات وحسرات مغروسة بعمق في الأرض.

طاف سينتارو وواكانا في مركز التوثيق وسارا بمحاذاة سورٍ يمتدّ على طول المبنى. كان يمتدّ على طرفي السور صفٌّ من أشجار الكرز الرائعة، على الرغم من أنّها كانت مجرّدة من أوراقها. لا بدّ أن المنظر كان أكثر روعة في فصل الربيع.

ولكن لم يكن هناك أيّ أثرٍ لحضورٍ بشريٍّ في المكان. عدا عن زقزقة العصافير، لم يبلغ أيّ صوتٍ إلى مسامعهما.

- يا له من مكان هادئ!

صاغ سينتارو هذه الجملة بشكلٍ متعمّد. لكنّ واكانا اختارت صفة «مخيف» لإطلاقها على المكان.

جلسا على مقعدٍ قريبٍ من الممرّ بين صفّي أشجار الكرز.

وضع سينتارو قفص الكناري على الأرض وتفحّص المكان الخالي تماماً. كانت بيوتٌ من طابقٍ واحد ومتماثلة تصطفّ إلى جانب بعضها على نحوٍ متناسقٍ للغاية. كان هذا المنظر غريباً بالنسبة إليه، مثل مبانٍ أو أكواخ بلدٍ بعيد.

كانا قد استسلما للهدوء حينما لاحت لهما من بعيد دراجة هوائية. كانت تسير على طريقٍ تعبر المجمّع، على الطرف الآخر من الممرّ. وبما أنّه كان بوسع أيٍّ كان أن يدخل إلى المجمّع، ربّما يكون سائق الدراجة الهوائية أحد الجيران أو مريضٍ سابقٍ يُقيم هنا في المجمّع.

اقتربت الدراجة الهوائية منهما. كان رجلٌ مسنٌّ يقودها وهو يعتمر قبّعة ذات حواشٍ عريضة. كيف هو وجهه؟ تساءل سينتارو في نفسه فجأةً. هل عليه أن ينظر إلى وجهه أم لا؟ تردّد. خفضت واكانا رأسها. رفع سينتارو رأسه.

لدى مرور الدرّاجة الهوائية، التقت نظرته مع نظرة السائق. كان وجهه طبيعياً تماماً. كان في وجهه أنفٌ ولم يكن هناك أي شيء يترك مجالاً للافتراض بأنّ فيه أيّ شلل. اكتفى الرجل بأن ألقى عليهما نظرة، كما لو أنّهما كانا يشكّلان مشهداً نادراً.

أدار سينتارو نظرته عن الدرّاجة الهوائية التي ابتعدت وتساءل عمّا كان يفعله. لماذا حرِص على أن يرى وجه هذا الرجل؟ لقد فاته ذلك. حينما سيدخلان إلى المجمّع ويذهبان إلى المخزن، لا شكّ أنّ أغلبية الأشخاص الذين سوف يلتقون بهم سيكونون مرضى سابقين. وبسبب العواقب الثقيلة التي تركها المرض، قد يكون مظهر بعضهم غير طبيعيّ.

إذاً، تُرى ألم يكن مستعدّاً بعد للقائهم؟

كلا، لم يكن الأمر يتعلّق بكونه مستعداً أم لا، ولكن ألم يكن يسير في الطريق الخاطئ؟ كان الأمر أكثر من مجرّد مسألة موقف، وإنّما مسألة أنّه لا يزال في، داخله، ضائعاً.

- مع هكذا هدوء، يتساءل المرء...

- المسألة هي أنّ هذا هو حقّاً المكان الذي يعيشون فيه. هذا المكان حقيقي.

أدارت واكانا نظرها نحو صفّ البيوت المتراصفة.

- نعم، هذا صحيح. لأنّ في هذا المكان، الأمر ليس عبارة عن معلومات على شبكة الإنترنت، وإنّما حقيقة وواقع.

- لا يزال الوقت باكراً بعض الشيء، ولكن بما أنّ السيّدة يوشي تأتي دائماً قبل موعدها، ما رأيك أن نذهب إلى هناك؟

- اتّفقنا.

غادر سينتارو وواكانا مقعدهما وأخذا يمشيان، تبعاً للتوجيهات الموجودة في المخطّط. كان الدرب المُحاط بالأشجار الذي سلكاه في البداية ينسجم مع محيط مصحّ تينشوين. راحا يدخلان أخيراً إلى مجمّع المصحّ ويسيران نحو المخزن.

بدا أنّ كلّ البيوت المؤلّفة من طابقٍ واحد موزّعة بين ثلاث أو أربع عائلات، مثل بيوت **ناغايا** المشتركة في الماضي. كان الغسيل المنشور يتأرجح تحت مظلات بعض البيوت، في حين كانت بيوت أخرى تُبقي ستائرها مُسدَلة بإحكام. هدوءٌ كبيرٌ يسود في كلّ مكان، ولم يكن يُسمَع حتى صوت تلفازٍ أو مذياع.

وفي تلك اللحظة، تعالى صوت أغنية من جهاز تسجيل من مكانٍ ما.

مدّت واكانا إصبعها وقالت:

- آه، مَن هناك...

على الجانب الآخر من صفّ البيوت، شاحنة فريدة الشكل تسير مسرعةً. كان صوت الأغنية يصدر عن جهاز التسجيل في تلك الشاحنة. انتقلت الشاحنة إلى الشارع الذي كان سينتارو وواكانا يسلكانه والتفّت ببطء وتابعت طريقها بالاتجاه المعاكس لهما.

- لماذا؟

حتى قبل أن تعبّر واكانا عن ذلك بصوتٍ مرتفع، كان سينتارو قد طرح السؤال على نفسه.

في مؤخرة الشاحنة، هناك سكّة حديد مثبّتة، يتمسّك بها ثلاثة عمال، وقوفاً. لم يكن سينتارو يدري في ماذا تُستخدَم هذه المركبة، ولكن ما أثار انتباهه هو طيف هؤلاء الرجال. كانوا يرتدون من قمّة الرأس وحتى أخمص القدم نوعاً من البدل الواقية بلونٍ أبيضَ ناصع.

سألت واكانا:

- لماذا يلبسون بهذه الطريقة؟

احتار سينتارو وأجاب عن سؤال واكانا بأوّل ما خطر في ذهنه.

- لأنّ المكان هنا عبارة عن مصحّ... مستشفى... وبالتالي، فهُم حذرون جدّاً من كلّ أنواع الميكروبات.

- ولكن، ماذا عن مارفي؟

- فعلاً، هذا صحيح. مستشفى تقبل بوجود الحيوانات...

- ولكن، أخبرتني السيّدة يوشي بأنّ الحيوانات مقبولة هنا.

ألقى سينتارو من جديد نظرة على الاتجاه الذي سلكته الشاحنة والعمال الذين يرتدون البدل الواقية.

إذا كان مرض هانسن قد أوشك على الاختفاء تماماً في اليابان، يبدو أنّه من العبث اتخاذ هكذا تدابير احترازية. استغرق سينتارو في التفكير في هذا الأمر. في المقالات التي كان قد بحث عنها على شبكة الإنترنت واطّلع عليها، كان يُقال بأنّه لم يتمّ التأكّد من أيّة حالة عدوى بالمرض بين الكادر الطبي في اليابان. في هذه الحالة، يمكن للأشخاص الذين يعملون هنا أن يلبسوا أيضاً بطريقة اعتيادية تماماً، أليس كذلك؟ تُرى هل كان محقّاً في اصطحابه لطالبة في المرحلة الإعدادية إلى هذا المكان؟ استبدّ القلق بسينتارو حول هذه الأسئلة.

- آه، هناك أناس!

كانا يمرّان بين الحمّامات وقاعة لعبتي الغو والشطرنج اليابانيتين حينما توقّفت واكانا وأشارت إلى الناس.

كان ذلك المكان هو المخزن من دون أدنى شكّ. أمام مبنى أشبه بسوبر ماركت جمعية تعاونية، كان يقف عددٌ من الأشخاص وبدا واضحاً أنّهم منخرطون في حديثٍ صاخب.

- إنّهم يضحكون.

عبّرت واكانا بكلمات بسيطة عن المشهد الذي رأته. وعلى نحوٍ غريب، تلاشى في تلك اللحظة التوتر الذي كان يسيطر على سينتارو قبل ذلك. فكّر في نفسه بأنّ هذا الأمر يعدّ تطوّراً غريباً. وبدأ توتّره الناجم عن فكرة لقائه بالمقيمين في المصحّ يهدأ لأنّه رآهم.

ومثلما لاحظت واكانا، كانوا يضحكون. كانت لهم جميعاً هيئة مسالمة.

صادف سينتارو وواكانا، وهما في طريقهما إلى المخزن، العديد من الأشخاص.

كانت امرأة من بينهم تستند إلى عكاز. ورجلٌ آخر يقود دراجة هوائية. وشخصٌ آخر أيضاً يحمل في يديه أكياس أدوية. إن الحالة الصحية لكلّ منهم مختلفة عن الآخر. بيد أنّ النقطة المشتركة بينهم جميعاً هي تقدّمهم في السنّ. نظر أحدهم بثبات إلى مارفي داخل القفص. وكانت هناك مجموعة من الأشخاص الذين يضعون نظّارات سوداء، ربّما كانوا من ضعاف البصر.

لكي تستطيع واكانا أن تسمعه، اقترب سينتارو بهدوء منها وهمس في أذنها:

- جميعهم، تقريباً، في سنّ السيّدة يوشي.

وصلا إلى أمام المخزن. كان بابه مفتوحاً على مصراعيه. لم يكن هناك أيّ شيء يميّزه عن سوبر ماركت عادي. إلى اليمين، كانت تمتدّ رفوف المواد الغذائية واللوازم اليومية. إلى اليسار، كانت هناك عدّة طاولات مستديرة وإلى جانبها جهاز أوتوماتيكي لتوزيع المشروبات يستند إلى الجدار.

وأخيراً، كانت توكي يوشي تجلس إلى واحدة من الطاولات بقرب النافذة لوحدها.

17

حتى قبل أن يدعوها سينتارو، نهضت توكي من مكانها ببطء. كانت نظراتها تجول بين واكانا وسينتارو. وهي تطرف بعينيها، صالبت يديها المشوّهتين على صدرها.

- سيّدة يوشي!

ألقى سينتارو عليها التحيّة وانحت له توكي.

- لقد مضى وقتٌ طويل! وأنتِ أيضاً يا واكانا.

- نعم، هذا صحيح.

- حقّاً. لقد مرّ زمنٌ طويل وأنا لم ألتقِ بكِ.

ابتسمت توكي ابتسامة كبيرة لواكانا وفتحت لها يديها ومن ثمّ عادت وصالبتهما.

- شكراً على مجيئكما إلى هنا. شكراً لكما.

- أرجوكِ، نحن مَن علينا أن نشكركِ.

رفع سينتارو القفص لكي يُريها الكناري.

- أنا آسف لأنني جلبتُ لكِ مصدراً للإزعاج والمضايقات.

- يا له من طائر أصفر جميل!

- أعتقد أنّ هذا طائر كناري أصفر الصدر. آه، اسمه مارفي.

أصبح صوت واكانا أكثر حدّة وهي تشرح بأنّه بات من المستحيل عليها أن تُبقي مارفي في بيتها.

- هذا يعني أنني لم أكُن أعتقد بأنّه سيباشر بالتغريد.

- إذاً، من الآن فصاعداً، سوف أهتمّ أنا بأمره. مثلما كتبتُ لكما ذلك.

تفحّصت توكي داخل القفص ونادت:

- مارفي؟

- ولكن، ممم... هل من المسموح الاحتفاظ بالحيوانات هنا؟

طرح سينتارو هذا السؤال على توكي، التي هزّت رأسها في إشارة إلى تأكيد ذلك. قالت:

- نعم. أنا أيضاً كان لديّ طائرٌ هنا. طائر كناري.

- حقّاً، ما تقولين؟

- آه، ممتاز.

وأخيراً شعر كلّ من واكانا وسينتارو بالارتياح.

- في الحقيقة، هناك أنواعٌ مختلفة من القواعد والقوانين التي تُطبّقُ هنا في الحيّ... الكلاب ممنوعة هنا، لأنّ أحد الأشخاص تعرضّ للعضّ منها، كما أنّ نباحها صاخبٌ ويسبّب الإزعاج. القطط مسموحٌ بها هنا، ولكن لكلّ منزل قطّ واحدٌ فقط، أمّا بالنسبة إلى العصافير والحيوانات الصغيرة فليست هناك أيّ مشكلة. وبالتالي، سوف أهتم بأمر مارفي.

- شكراً جزيلاً. هذا يساعدنا كثيراً.

- ولكن لماذا تشعران بالقلق؟

تلعثم سينتارو:

- في الواقع، هذا يعني أنّ...

توقّف لبرهة ثمّ استأنف كلامه، قائلاً:

- قبل قليل، ونحن في الطريق إلى هنا، شاهَدنا شاحنة غريبة. كان ثلاثة عمّال يقفون في صندوقها الخلفي. يرتدون نوعاً من البِدل الواقية...

نظر سينتارو إلى واكانا كما لو أنّه يريد الحصول على تأييدها. واصلَت واكانا حديثها، قائلة:

- نعم. مثل الألبسة الخاصّة بروّاد الفضاء.

- وفي الحال، اعتقدتُ بأنّه لا بدّ أنهم يرتدون هكذا ألبسة لأنّ هذا المكان عبارة عن مستشفى. تساءلتُ في نفسي إن كان، في هذه الحالة، بوسعنا أن نجلب معنا طائراً إلى هذا المكان.

لم يذكر سينتارو قلاقله الأخرى وهي -إذا كان الناس يرتدون هنا ألبسة من هذا النوع، فهذا لأنّه لا يزال هناك مخاطر انتقال العدوى، وهي فكرة أقلقته بعض الشيء-. ومع ذلك لم يستطع أن يُخبر توكي بهذا القلق الذي يعتمل في داخله.

- آه، تلك الشاحنة. هذا أمرٌ مختلف.

هزّت توكي رأسها.

- لا بدّ أنّ تجهيزات وألبسة مَن كان فيها قد أقلقتكم، هذا أمرٌ مؤكّد. ولكن الآن، عمال النظافة وحتى الذين يعملون في المستشفى لا يرتدون هذه الألبسة. هذه الشاحنة مخصّصة لنقل وجبات الطعام.

- النقل؟

ردّدت واكانا هذه الكلمة.

- نعم. إنّها الشاحنة المخصّصة لتوفير الطعام. يتمّ تسليم وجبات في الصباح وعند الظهيرة وكذلك في المساء إلى الذين يحتاجون إليها. إنّهم يرتدون جميعاً ألبسة بيضاء مثل طبّاخي المطاعم العادية. أمّا الآن وقد لفتُّما انتباهي إلى الأمر، هذا صحيح. إنّهم الوحيدون هنا الذين لا يزالون يلبسون هذا النوع من الألبسة كما كان الأمر في السابق.

- آه، لم يكن الأمر إلّا لهذا السبب.

تبادل سينتارو وواكانا النظرات.

- هذا المكان موجود منذ مائة عام. ومع ذلك، أن يستطيع شبّانٌ مثل واكانا المجيء إلى هنا بكلّ حرية، كما هو الحال اليوم، يُعتَبر أمراً جديداً تماماً. لا يزال هناك الكثير من الأمور التي ينبغي لها أن تتغيّر.

أدرك سينتارو فجأةً بأنّ الناس من حولهم كانوا جميعاً عبارة عن مرضى سابقين بداء الجُذام. ربّما كانوا قد سمعوا أحاديثهم. تُرى ما رأيهم بحقيقة أنّهم كانوا يتحدّثون عن شاحنة تسليم وجبات الطعام؟

شعر سينتارو بشيء من القلق.

- حسناً. سوف أحتفظ بمارفي إذاً.

- أوه نعم، أرجوكِ.

ابتسمت توكي لسينتارو الذي بدأ يهدأ.

- لا تقلق. لقد مضت عشرة أعوامٍ تماماً على رحيل زوجي. أشعر بأنني وحيدة، وبالتالي سوف يسليني وصول مارفي إلى هنا.

- آه حقّاً، يا سيّدة يوشي، كنتِ متزوجة؟

- نعم، ولكن ليس لدي أولاد.

- ولكنّكِ لم تحدّثيني أبداً عن ذلك...

وإذ أحسّ سينتارو بأنّ الأمر حسّاسٌ للغاية، توقّف عن الحديث فيه. ربّما فهمت توكي الأمر، فواصلت هي الحديث:

- لقد تزوّجت برجلٍ التقيتُ به هنا. كنتُ قد تعافيتُ من المرض، بينما هو ظلّ مريضاً لزمنٍ طويلٍ. ومن ثمّ انتكست حالته... بالتأكيد، لم تكن حياته سهلة.

- هذا صحيح.

لم يستطع سينتارو وكذلك واكانا سوى أن يرضخوا لكلمات توكي.

- ربّما عليّ أن أقول بعض الأشياء عن هذا الأمر...

كان الناس المتحلّقون حول الطاولات من حولهم يتناولون إمّا كوباً من القهوة أو الشاي. بدوا وكأنّهم يهتمون خلسةً بما يجري على طاولتهم.

تساءل سينتارو في نفسه بطريقة عابرة بأنّه ربّما لم تكن تلك هي اللحظة المناسبة لطرح الأسئلة على توكي حول صراعها مع مرضها.

- ولكنّ زوجي كان شجاعاً جدّاً.

- هل كانت وفاته بسبب تدهور حالته الصحية من جرّاء هذا المرض؟

- كلا. هذا المرض ليس قاتلاً. حتى الأشخاص الأكثر تضرّراً وعَجْزاً من جراء هذا المرض يعيشون حتى سنّ متقدمة. لأنّه ليس مرضاً مُميتاً. كان لزوجي دائماً قلبٌ ضعيف. كنّا نعتقد بأنّه قد تغلّب على المرض قبل أن يموت على نحوٍ مفاجئ.

- يا له من أمرٍ محزن.

- هل تعلم، حتى بعد وفاتنا، لا يمكننا أن نعود إلى منطقتنا الأصلية. زوجي أيضاً يرقد في المَرْمَدة(*)، في هذا المكان. ولذلك، أقوم بزيارة ضريحه كلّ يوم تقريباً.

شرع مارفي آنذاك بالتغريد. فأبدت توكي ملاحظة، قائلة:

- في كلّ الأحوال، يغرّد.

أجابت واكانا:

- نعم، إنّه يغرّد. ولهذا السبب لا يمكنني أن أحتفظ به في البيت. ولكنّ والدتي قالت لي بأنّ غناء طيور الكناري يكون أجمل من هذا في الحالة الطبيعية.

تدخّل سينتارو، قائلاً:

- في فصل الحب، لا شكّ أنّه سوف يغنّي على نحو أجمل بقليل من الآن.

أخذت توكي تضحك.

حينما يحلّ فصل الحبّ، سوف يكون تعيساً إن لم يجد شريكة له.

قرّبت وجهها من القفص وقلّدت تغريد الطائر. غمغمت واكانا التي كانت تنظر إليه بقلق:

- إذاً، لا بدّ أن نجلب شريكة له.

- نعم شريكة، لم لا؟ في الواقع، كيف سيتمّ إطعامه؟ بوساطة

(*) المَرمَدة: مُستودع حفظ رماد الأموات.

أطعمة العصافير الطبيعية ومن ثمّ أوراق الخسّ والخضراوات، هل هذا صحيح؟

- نعم. يحتاج إلى الخضراوات.

أبدى سينتارو ملاحظة:

- إنّه يتناول كمية لا بأس بها من الخضراوات.

- أوه، عفواً.

توكي التي كانت تنحني لكي تنظر إلى داخل القفص، سال أنفها. أخرجت منديلاً ورقياً من جيبها.

- أنا مصابة بالرشح، على ما يبدو، ولا أتعافى منه.

- كنتِ متعبة جدّاً حينما غادرتِ متجر دوراهارو.

- نعم. منذ ذلك الحين، لستُ بحالة صحية جيّدة...

مسحت توكي أنفها واعتذرت من جديد.

- في الماضي، لم يكن بوسعي أن أمسح أنفي بهذه الطريقة. في تلك الفترة، كان يُقال بأنّ المرض ينتشر من خلال الإفرازات الأنفية. والحال أنّ ذلك لم يكن، في الحقيقة، خاطئاً، على ما يبدو.

فتحت توكي محفظتها المصنوعة من القماش ودسّت بهدوء منديلها الورقي فيها. كانت واكانا تنظر إليها بطرف عينها وهي تفعل ذلك، فسألتها فجأةً:

- سيّدة يوشي، منذ متى جئتِ إلى هنا؟

حاول سينتارو أن يتدخّل ويوقف واكانا عن طرح الأسئلة، ولكنّ توكي ومن دون أدنى تردّد أجابت:

- حينما كنتُ في عمركِ، تقريباً.

- حينما كنتِ في عمري؟

- نعم. انظروا... حينما كنتُ طفلة، كنتُ أعيش وسط الريف. كانت اليابان قد خسرت الحرب، وكانت تلك حقبة قاسية جدّاً علينا. عاد أخي الأكبر من الصين، ولكنّه كان نحيلاً وهزيلاً مثل شبحٍ، ولم يكن لدينا شيءٌ من الطعام لنتناوله. وحينذاك، وفي ظلّ تلك الظروف العصيبة، مات والدي. مات من جرّاء إصابته بالتهابٍ رئوي.

سألت واكانا بصوتٍ خفيض:

- ألم تكن لديكم أدوية؟

هزّت السيّدة يوشي رأسها نافية مع ابتسامة مريرة.

- كلا، في تلك الحقبة، لم تكن لدينا أدوية.

غرّد مارفي. كان الحديث المرح للأشخاص الذين كانوا يشربون الشاي على الطاولات الأخرى يزداد صخباً في بعض الأحيان. قرّب سينتارو وواكانا وجهيهما قليلاً من وجه توكي.

- عثر شقيقاي في نهاية المطاف على عملٍ، بينما كنّا، شقيقتي الصغرى وأنا، نقدّم المساعدة في مزرعة. بدأنا نعتقد بأنّنا ربّما نكون قد نجحنا في النجاة، حينما... أوه، لم أكن أريد أن أصدّق ذلك! ذات يوم، اكتشفت على فخذي تورّماً أحمر اللون.

أشارت توكي بإصبعها إلى فخذها الأيمن.

- تساءلتُ في نفسي ماذا عساه أن يكون هذا التورّم. قلقت أمّي أيضاً للأمر فصحبتني إلى مستشفى المدينة المجاورة، ولكنّ الطبيب لم يعرف الكثير عن أمر هذه الحالة، فأعطانا دواءً وعُدنا إلى البيت. بعد مرور فترة قصيرة، شعرتُ أنّ التورّم قد انتشر قليلاً. لم أعرف

لماذا ولكنني بدأت أيضاً أشعر أنني أفقد الإحساس تدريجياً براحة قدمي. كنتُ أستطيع أن أقرص جسدي من دون أن يتسبّب ذلك بأيّ ألم. بدأتُ أرى هذا الأمر غريباً حينما استدعاني طبيب المستشفى وعدتُ إليه برفقة أمّي وأخي الثاني...

ربّما كان مارفي قد تأقلم مع بيئته الحالية، فبدأ يغرّد بنشاطٍ وحيوية. بدأ الأشخاص الجالسون حول الطاولات الأخرى ينظرون إليه من حينٍ إلى آخر. كلّما كان أحدهم يتوجّه إلى توكي ويقول: «هذا كناري»، كانت تقطع حكايتها. ومن ثمّ واصلت:

- وحينذاك... أُمرتُ بأن أذهب إلى تينشوين، أي هذا المكان. لم يُخبروني بأيّ شيء، ولكن يبدو أنّه كان قد تمّ إخبار أمّي وأخي بكلّ شيء. وبعد ذلك، أصبح الأمر رهيباً. تخيّلا رحلة من الريف في أواسط اليابان إلى تخوم طوكيو. عدنا في البداية إلى البيت، وأعدّت أمي في ذلك المساء وجبة عشاء ضمّت كلّ ما وقع تحت يديها من مواد. كانت هناك عجّة بالبيض ملفوفة. في ذلك الوقت، كانت تلك وليمة حقيقية. طارت أختي الصغيرة فرحاً لذلك. ولكن لأنّ أمّي كانت تبكي، بدأت أختي أيضاً تحزن شيئاً فشيئاً. وفي تلك اللحظة، قال أخي الثاني بأنني قد أُصبتُ بمرضٍ خطير وبأنني سوف لن أستطيع العودة إلى البيت قبل مرور بعض الوقت، وكان علينا أن نتهيّأ لذلك. أعتقد أنني كنتُ أرغم نفسي على تناول الطعام وأنا أبتسم ولكنني، بالطبع، لم أستطِع أن أبتلع شيئاً منه.

- ألم يخبروكِ ما هو المرض الذي أصابكِ؟

تهرّبت توكي من سؤال سينتارو.

- آه، كلا... ليس صراحةً. كنتُ أحاول أن أقنع نفسي قدر الإمكان بأنّ الأمر لا يتعلّق بذلك المرض. ولكن، في اليوم التالي، غادرتُ مع أخي الأكبر.

سألت واكانا:

- وماذا عن أمّكِ؟

- جاءت حتى محطّة القطار. كانت تبكي وتعتذر لي. وكانت قد أمضَت الليل كلّه وهي تخيط لي صداراً. كنتُ أتساءل أين عثرت على القماش. كان عبارة عن قطعة قماش من النسيج الأبيض. لم أكن قد ارتديتُ هكذا صدارٍ منذ زمنٍ طويل، بل أعتقد أنّ تلك كانت المرّة الأولى التي أرتدي فيها هكذا صدار. ولكن حينما قلتُ في نفسي بأنني سوف لن أستطيع أن ألتقي بعائلة قبل مرور وقتٍ طويل، شعرتُ بالحزن. كنتُ أرتدي ذاك الصدار في محطّة القطار؛ وكنّا، أمي وأنا، ونحن نتعانق، نبكي معاً بحرقة. لم يأتِ أخي الثاني وأختي معنا. كنّا قد ودّعنا بعضنا أمام باب الدار، للمرّة الأخيرة. لم تكفّ أختي عن البكاء. أنا أيضاً كنتُ أبكي، ولكنني قلتُ لها بألّا تقلق وأنني سوف أعود بكلّ تأكيد. ومن ثمّ، استغرقت الرحلة بالقطار إلى طوكيو وقتاً طويلاً. استغرقت الرحلة طيلة ليلة كاملة وحينما نزلنا في المحطّة، قال لي أخي لا شكّ أنّكِ مصابة بالجُذام. وإذا كانت هذه هي الحالة، سوف أضطرّ أن أعود إلى البيت من دونكِ.

عند هذه النقطة من روايتها، توقّفت توكي. ركّزت نظرها على الطاولة وأغلقت ببطء أجفانها. بأصابعها المشوّهة، أخرجت من جديد علبة مناديلها الورقية ومسحت برقّة زوايا عينيها وأنفها.

- سيّدة يوشي، في ذلك الوقت، كم كان عمركِ؟

- أربعة عشر عاماً.

بعد أن أدلت بتلك الإجابة المختصرة، تمخّطت توكي بصخب.

- حينذاك، تمّ فحصي هنا في المصحّ... ومن ثمّ كان عليّ أن أخضع لجلسة من التعقيم. بعد ذلك، تمّ إتلاف كلّ ثيابي وأغراضي الشخصية. توسّلتُ باكية إلى الممرّضة بأن تُبقي على الأقلّ على الصدار الذي كانت أمّي قد خاطَتْه لي. ولكنّها رفضت ذلك، لأنّ القانون كان ينصّ على التخلّص من كلّ ما يتعلّق بالمريض. قلتُ لها: «في هذه الحالة، وبما أنّ أخي ينتظر، دعيه يأخذ الصدار معه، من فضلكِ». فأخبروني حينذاك بأنّه قد غادر المصحّ، وبأنّه لم يعد لديكِ أحدٌ من أفراد العائلة هنا. وبأنّه سوف تغيّرين اسمك بدءاً من اليوم. هذا ما قيل لي... هذا ما أخبروني به. كنتُ أبكي في حرقة وألم. لماذا كان ينبغي أن يحدث لي هذا؟ لأنّني كنتُ أعرف ذلك. كنتُ أعرف أنّ المرء ما أن يُصابَ بالجُذام، لا يعود بوسعه أن يخرج أبداً. أنا أيضاً، حينما كنتُ أرى مصابين بالجذام، كانوا يبثون الخوف في داخلي. ولكنّني لم أتخيّل قطّ بأنّني سوف...

في كلّ مرّة كانت توكي تتوقّف فيها عن الكلام، منكسرة الصوت، كان سينتارو يتدخّل في الحديث بلطف وتهذيب.

- وماذا عن صدارك؟

- لم أعثر عليه أبداً بعد ذلك. لقد اختفى إلى الأبد ذاك الصدار الذي خاطته لي أمّي. لقد أعطوني فقط قطعتَي كيمونو مخطّطتين، وهي ثياب خاصّة بالمستشفى. وأخبروني بأنني سوف لن أحصل على غيرهما. وأنّ المرة التالية التي سوف يوزّعون فيها

كيمونوات جديدة علينا، ستكون بعد عامين. وأخبروني بأنّ أرتدي هاتين القطعتين من الآن وحتى ذلك التاريخ ونبّهوني بأن أعتني بهما وأحافظ عليهما. وأنا لم أكن سوى فتاة صغيرة في ذلك الوقت.

في تلك اللحظة، ارتفع صوتٌ خلف ظهرهم. كان صوتاً مخنوقاً ينادي:

- السيّدة يوشي، السيّدة يوشي!

رفعت توكي وجهها وأشارت بيدها، ثمّ قالت:

- آه!

- لا تنهضي يا توكي. سوف أضع هذا وأغادر ثانية.

استدار سينتارو وواكانا نحو الاتجاه الذي جاء منه الصوت.

لا شكّ أنّ الآثار المتروكة عليها كانت أكثر خطورة من الآثار المتروكة على توكي. كانت سيّدة مسنّة ذات وجهٍ مشوّهٍ على نحوٍ ظاهرٍ تقف هناك. كانت شفتها السفلى تتدلّى كاشفة عن لثتها.

وإذ لم يعرف سينتارو كيف يتصرّف، اكتفى بأنّ حيّاها بإشارةٍ من رأسه؛ وكذلك فعلت واكانا.

- أنا السيّدة موریاما، صديقة توكي. كنّا نصنع الحلويات دائماً معاً.

- آه، نحن ندين بالكثير للسيّدة يوشي.

- ولكن... لا بدّ أنّك تاجر **الدورایاكي**؟

- نعم، هذا صحيح.

- أنا أيضاً، يطيب لي أن أعمل في هذا المجال.

عند هذه الكلمات، أطلقت السيّدة موریاما عبارة: «إلى اللقاء

القريب» مع ابتسامة ومن ثمّ غادرت المخزن. على الطاولة كان هناك كيسٌ من النايلون الشفاف يسمح برؤية ورق الألمنيوم في داخله.

- إن لم يكن ذلك يزعجك، افتح الكيس. أعتقد أنّها قد أعدّت بسكويت بالفرن.

بكلّ صدق وأمانة، لم تكن لدى سينتارو أي رغبة في تذوّقها. كانت قصّة توكي قد أزعجته وأثارته، وكان اللقاء للمرّة الأولى مع شخصٍ مصابٍ بهذه الدرجة الشديدة من العجز قد هزّه بعمق. تُرى هل أحسّت بتردّده؟ كانت توكي أوّل من أمسكت بقطعة الحلوى. أخرجت من الكيس البلاستيكي العلبة المغلّفة بورق الألمنيوم الذي أزالته بأصابعها المشوّهة. ظهرت فيها قطع بسكويت صغيرة ورقيقة.

- آه، إنّها رقاقات!

ردّد سينتارو، متسائلاً:

- رقاقات.

- إنّها النسخة الفرنسية من حلوى **كاوارا-سينباي**، إذا شئت.

قالت توكي ذلك وناولت قطعة منها لكلّ منهما.

- هذا بسكويت باللوز والبرتقال، وتحضيره سهل للغاية.

- أنتِ محترفة ماهرة جدّاً. أمّا أنا فكنتُ مجرّد بائع حلويات، لا أعرف شيئاً من فنون إعدادها...

ربّما كان قد كذب في التأكيد بأنّه قبل أن يُرفع قطعة البسكويت إلى فهمه، إذ لم تتردّد أصابع سينتارو. ولكن، في اللحظة التي لامَسَ فيها البسكويت شفتيه، تصاعدت رائحة قويّة بنكهة الحمضيات إلى منخريه. وقد عدّلت هذه الرائحة حالته النفسية. حينما قضم رقاقات اللوز الناعمة، أصبحت النكهة أكثر حدّة.

قال سينتارو:

- هذا لذيذٌ حقّاً.

- هذا صحيح. نشعر بنكهة الفاكهة على نحوٍ واضح.

كان صوت واكانا أيضاً قد أصبح أكثر مرحاً.

كسرت قطعة من الرقاقات بين أصابعها ورفعت قطعة صغيرة منها إلى فمها.

- ولكن كيف عرفتما هذا النوع من البسكويت. هل بقيتما، أنتِ والسيّدة التي غادرت للتوّ، دائماً هنا في هذا المكان؟

قالت توكي وهي تعيد الرقاقات إلى العلبة المغلّفة بورق الألمنيوم:

- آه نعم.

ثمّ قالت:

- ما رأيكما في أن نقوم بجولة صغيرة في المكان؟

بناءً على دعوتها، نهض سينتارو وواكانا من مكانيهما.

18

وهما يحملان قفص الطائر بين يديهما، سلك سينتارو وواكانا مع توكي الطريق الذي يجتاز المجمّع. حينما خرجوا من المخزن، ساد الهدوء من جديد.

- بالنسبة إلى العلاج والأدوية، كما تعلمان، في البداية، لم يكن البرومين موجوداً.

البرومين، الدواء السحري ضدّ مرض هانسن. هذا الدواء كان بمثابة ثورة في عالم العلاج من الجُذام. لقد وضع حدّاً لسنواتٍ من المحنة. وكان سينتارو وواكانا يعرفان ذلك من خلال قراءته على شبكة الإنترنت.

سألت واكانا:

- ولكن هذا الدواء هو الذي كان سبب شفائكِ من المرض، أليس كذلك؟

- في اليابان، لم يتمّ الحصول عليه فور توفّره في بلدانٍ أخرى. ولكننا كنّا نسمع عن فعاليته الكبيرة. وبالتالي، كنّا نقول بأنّ الوسيلة الوحيدة هي أن نتّحد فيما بيننا، نحن المرضى. وأن ننظّم مظاهرات

لكي نحصل على البرومين، بطريقة ما. وقد شاع هذا الكفاح في جميع المصحّات. قبل ذلك بعدّة سنوات، كان هذا الكفاح سيودي بنا إلى حجرة العزل.

- حجرة العزل؟ هل كان هذا المكان موجوداً فعلاً؟ أنا...

بينما كان على وشك أن يذكر تجربته مع حجرة العزل، سكت سينتارو فجأةً.

- فيما مضى، كانت هناك حجرة للعزل في مصحّ كوساتسو. عبارة عن زنزانة منفردة. كانت هناك زنازين منفردة في كلّ المصحّات، ولكن كان يُقال بأنّه حينما يذهب المرء إلى حجرة مصحّ كوساتسو، لا يعود منها حيّاً. كان يتمّ حبس الشخص لعدّة أشهر في غرفة مظلمة تماماً، حيث لا يدخل إليها ضوء النهار أبداً. في فصل الشتاء، كانت تختفي تحت الثلج، ويبدو أنّ الشخص الذي فيها كان يموت من شدّة البرد.

شرحت توكي الأمر باللهجة نفسها لواكانا التي ظلّت فاغرة الفاه:

- في العتمة، إمّا أن يجنّ المرء أو أن يموت. هنا أيضاً، في تينشوين، كان هناك أناس تمّ إرسالهم إلى حجرة العزل في كوساتسو لأنّهم قاموا بتنظيم إضرابٍ، وقد ماتوا في تلك الحجرة.

كان سينتارو يقول في نفسه بأنّ توكي قد عانت في شبابها من حياة يومية قاسية وصعبة للغاية وهو يقارن بين تلك الصور التي تسردها توكي وصور إقامته خلف قضبان السجن.

- ولكنني أعتقد لو أنني لم أُصَب بذلك المرض، لما شعرتُ بأنني أيضاً معنية بهذا الأمر. لقد حدث وأن رأيت أناساً مصابين

بالجُذام حينما كنتُ صغيرة. من بين المتشرّدين، تمّ جمع أولئك المشتبه بهم بأنّهم مصابون بالمرض فقط ومن ثمّ تمّ نقلهم في شاحنة للشرطة. جاء موظّفو الخدمات الصحية وقد رشّوا الشاحنة بالمسحوق الأبيض. كانوا يرشون المسحوق الأبيض من دون تردّد على الأشخاص الذين كانوا يتكوّمون على بعضهم. كنتُ أنظر إليهم وأجد أولئك الأشخاص الذين يتمّ اقتيادهم بهذه الطريقة مثيرين للخوف والرعب. فجأةً، خلال بعض الوقت، بعد وصولي إلى هنا، كان أكثر ما أكرهه هو رؤية الناس المحتجزين هنا، مثلي. في حين أنني كنتُ جزءاً منهم.

كاد سينتارو أن يقول: «أعتقد أنني أفهمكِ». ولكنّه حبَسَ الكلمات في حنجرته.

- كان المرض قد استفحل كثيراً بالنسبة إلى بعض المصابين. كانت تظهر على أجسامهم ما يُسمى بالعُقيدات، وهي عبارة عن نتوءات كبيرة أو قشور شبيهة بالحراشف على كلّ أنحاء الجسد، مثل آثار المرض التي تظهر وتتكاثر على نحوٍ واسع. وفَقَد آخرون أصابعهم أو أنوفهم. في المرحلة التي لم يكن الدواء متوفّراً فيها، كان هناك الكثير من الأشخاص الذين استفحلت حالتهم بهذه الطريقة. كنتُ أخشى أن يحصل لي الشيء نفسه، تدريجيّاً . . . وكانت رؤية هؤلاء المصابين تُصيبني بالرعب. كان من المفزع رؤيتهم على تلك الحالة.

توكي، التي كانت تواصل الحديث بصوتٍ خفيضٍ وهي تمشي، توقّفت أمام ما يشبه تلّة صغيرة، وكان المكان الوحيد المرتفع قليلاً هناك. ربّما كان في الأصل عبارة عن ساترٍ ترابي. كانت شجيرات

صغيرة قد نَمَت وتفتّحت في أنحاء متفرّقة زهورٌ في حقلٍ نموذجيّ بالنسبة إلى أواخر فصل الخريف.

- كان الجميع يريدون أن يعودوا إلى بيوتهم. كانوا يحنّون إلى بلداتهم. وكان الذين يحلمون بذلك يأتون إلى هنا.

مدّت توكي إصبعها. كان التراب المتراكم يشكّل درجاً للصعود.

- هذا المكان كان موجوداً قبل وصولي إلى هنا. وبما أنّ المرضى الذين كانت إصابتهم أخفّ من سواهم كانوا مكلّفين بإصلاح الأرض في الغابة، فقد كانوا ينقلون التربة المحفورة إلى هذا المكان لكي يشكّلوا منها تلّة. من أعالي هذه التلّة، قبالة الجبال البعيدة، كان كلُّ واحد منهم يحلم ببلدته الأمّ.

سألت واكانا توكي التي ظلّت ساكنة في مكانها، من دون أن تتظاهر بتسلّق التلّة:

- هل أنتِ أيضاً، تسلّقتِ هذه التلّة، يا سيّدة يوشي؟

- نعم، لمرّات عديدة. ولكن بما أنني لم أكن أستطيع الخروج من المصحّ، كنتُ أشعر بأنني أكثر تعاسة. كنتُ تعيسة مثل الحجر. وبالتالي، بعد انقضاء فترة من الزمن، لم أعد آتي إلى هذا المكان. وبدل ذلك...

عطَست توكي حينها عطسة قوية.

أخرجت منديلاً ورقياً جديداً وتمخّطت، ومن ثمّ قالت:

- هذه السنة، حالات الزكام شديدة وعنيدة لا تزول بسرعة.

ثمّ أطلقت فجأةً ضحكة وقالت:

- هذا لأنّه، منذ ذلك الزمان، قال لي بأن لا أتحدّث عنه بالسوء.

لم يفهم سينتارو قصدها، فسألها:

- ماذا؟

أوضحت توكي الأمر، قائلة:

- زوجي. في المرّة الأخيرة التي تسلّقتُ فيها هذه التلّة، كنتُ أبكي لوحدي، حينما تكلّم معي شخصٌ. فيما بعد، أصبح ذاك الشخص زوجي.

سألت واكانا:

- آه...! وأيّ نوعٍ من الأشخاص كان؟

اكتفت توكي بأن ضحكت وأجابت بتهرّب:

- أيّ نوعٍ من الأشخاص كان؟ ما زلتُ أجهل ذلك.

شرعت تسير في دربٍ ضيّقٍ كان يجتاز الغابة. كنّا نشعر بأننا نتوه في غابة موساشينو القديمة لكثرة الأشجار فيها؛ كانت الأوراق المتساقطة والميّتة تشكّل طبقة سميكة على الأرض. كان سينتارو يقول في نفسه بأنّه، بالتركيز على النباتات، يكاد المرء أن ينسى بأنّه داخل أسوار المصحّ. وهي تتنزّه في الغابة، أخذت توكي تتكلّم، كما لو أنّ الذكريات كانت تحاصرها. اكتفى سينتارو وواكانا بالسير في إثرها بصمت.

- بما أنّه كان لديه قلبٌ ضعيفٌ منذ الولادة، لم يَخض الحرب. لكنّه كان يعمل. برأيك، ماذا كانت مهنته؟

حينذاك... خفض سينتارو رأسه، حائراً.

- كان يعمل في محلّ للحلويات في يوكوهاما.

- حقّاً؟... هذا يعني...

- نعم. كلّ معرفتي في مجال الحلويات اكتسبتُها من زوجي.

- أصبح كلّ شيء واضحاً!

للمرّة الأولى منذ دخوله إلى مصحّ تينشوين، أصبحت نبرة صوت سينتارو مَرِحة. إلى جانبه، قالت واكانا أيضاً: «إذاً، هذا هو السرّ!»

- كان طويل القامة، كما لو أنّه شجرة جوز الهند. حينما أدرك بأنّه مريض وغادر محلّ الحلويات الذي كان يعمل فيه، قرّر أن يموت مثل كلبٍ، حسبما قال لي. لقد جال في كلّ أنحاء اليابان، مثل متسوّلٍ، على ما يبدو. في حين كان عليه أن يدخل إلى المصحّ بأسرع ما يمكن.

- لا شكّ أنّه كان يرغب في الهروب من هذه الحقيقة.

وهي تتفحّص وجه واكانا التي كانت تنطق بهذه الكلمات، بدا شيءٌ من الحرج على توكي:

- هذا ممكن. وحينذاك، حينما اقتيد إلى هنا، كانت حالته المرضيّة قد استفحلت. بعد زواجنا أيضاً، كان يتلوّى من الألم. كان مشهداً لا يُطاق. كان المرض قد أصاب أعصابه وهذا ما نخر يده وأحدث ثقباً فيها. على الرغم من كلّ شيء، لم يكُن يُلقي اللوم على المجتمع أو على الربّ الرحيم إلّا نادراً. لقد كان شديد التحمّل.

- لماذا... تحدثُ أمورٌ كهذه؟

وهو يُلقي نظرة على توكي، سأل سينتارو واكانا عمّا أرادت أن تقوله.

- حسناً، لماذا ينقضّ القدر على حلواني بسيط؟

- هذا صحيح.

وهي تتقدّم ببطء، ردّدت توكي مرّة أخرى: «هذا صحيح. كلّ الذين كانوا محتجزين هنا، طرحوا بكلّ تأكيد هذا السؤال على أنفسهم. لقد حدثت الكثير من الأمور؛ لو هناك حقّاً إله، هذا يمنح رغبة في الغضب منه».

أجاب سينتارو:

- نعم ... بكلّ تأكيد.

هزّت توكي رأسها بحيوية.

- ولكن كلا ... نحن نُقبِل على الحياة.

توقّفت توكي بعد ذلك. قام سينتارو وواكانا بتقليدها وفَعَلا الشيء نفسه.

- هنا، فيما مضى، حتى وإن حدث حريق، لم يكن رجال الإطفاء يتدخّلون. وكذلك إن وقعت جريمة، لم يكن رجال الشرطة يأتون. هكذا كان الحال هنا. كان على المرضى أن يتكفّلوا بكلّ شيء بأنفسهم ويفعلوه بأيديهم، في جمعياتٍ مشكّلة في المجمّع، حتى يستطيعوا أن يعيشوا. حتّى بالنسبة إلى النقود، كانت هناك قطع نقدية لا يتمّ التعامل بها إلّا هنا فقط.

- حتى النقود؟

كانت واكانا فاغرة الفاه اندهاشاً وتعجّباً.

- وبالتالي، كان علينا أن نوحّد صفوفنا لكي نستطيع العيش والبقاء، كان هذا هو الإمكان الوحيد المتاح لنا. إذا كانت المرأة المصابة بالمرض فنانة تقليدية، كانت تَخيط بيدها الكيمونوات

وتعطي دروساً في الشعر والغناء. كان المعلّمون السابقون ينظّمون صفوفاً لكي يقوموا بتعليم الأطفال. والشخص الذي يكون حلاقاً، كان يمسك بالمقصات ويقصّ شعر المرضى. هكذا حاولنا أن نعيش جميعاً مع بعضنا. كانت لدينا حلقة للخياطة الشرقية وأخرى للخياطة اليابانية، كما كان لدينا فريقٌ بستاني وفرقة من الإطفائيين.

عادت توكي تسير ببطء. كانت زهورٌ صغيرة ترتعش على قارعة الطريق. فكّر سينتارو بأنه إذا ما أطّر المرء هذا المشهد، لَمَا رأى أحدٌ فيه سوى غابة جميلة.

- لكلّ شخصٍ تجربة أو أخرى في الحياة الاجتماعية. لكي نستعيد تعبير فنانة تقليدية كانت تعلّمنا كيفية ارتداء الكيمونو: «كلٌّ يعرف منها شعاعاً». وبالتالي، انضممنا، زوجي وأنا، إلى إحدى الحلقات من دون أدنى تردّد.

أمام زهور غريبة الشكل وهشّة، استدارت توكي.

- انضممنا إلى حلقة صناعة الحلويات.

- آه حقّاً، كانت هناك حلقة لصناعة الحلويات؟

- نعم. منذ زمنٍ طويل، على ما يبدو.

في البداية، كانت الحلقة عبارة عن مجموعة من الأشخاص الذين يعدّون حلويات الرزّ المدقوق في ليلة رأس السنة أو المعجنات بعشبة الشيح في فصل الربيع. لا شكّ أنّ صانع حلوى سابق أُرسِل إلى هنا، هو مَن قام بتأسيس هذه الحلقة.

- هذا هو السبب في كونك تعدّين منذ خمسين عاماً حشوة الفاصولياء!

ضرب سينتارو كفّاً بكفّ، فها هو اللغز قد انحلّ أخيراً.

- ليس هذا فقط. وكذلك حلويات شرقية.

أبدت واكانا ملاحظة بمرح وبهجة:

- ولهذا السبب كنتِ تضعين بعض القشدة في **الدورياكي**.

- بالضبط.

ضحكت توكي.

- في حلقة صنع الحلويات في مصحّ تينشوين... لطالما أعددتُ الحلوى. لأنّه من دون ذلك، كانت الحياة صعبة وقاسية للغاية. صناعة الحلوى كانت عبارة عن تحدّ، عبارة عن معركة.

آآآآه... أطلق سينتارو تنهيدة طويلة. كانت الكلمات تخونه.

- لقد أتعبتم أنفسكم كثيراً.

- نعم، إذا ما أردنا...

أجابت توكي، ومن ثمّ ارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتيها ومدّت نحوه إصبعاً من يدها المعطوبة: «أنتم مَن أتعبتم أنفسكم كثيراً».

تركت الغابة مكانها لشجيرات صغيرة، وانتهى الطريق هنا.

كانت مساحة من العشب الأخضر المجزوز تمتدّ وينتصب فوقها برجٌ مشيّد من الحجر.

قالت توكي:

- هذا هو المكان الذي يرقد فيه زوجي.

اقتربت من البرج بخطى قصيرة ووئيدة.

- فيما مضى، إذا ما كان هناك شخصٌ مصابٌ بالجذام في العائلة، كان الأفراد الآخرون مرغمين على المغادرة وكان المجتمع ينبذهم. فجأة، تمّ شطب الأغلبية العظمى من أفراد أسرتنا من

السجلّ المدني. توكي يوشي هو الاسم الجديد الذي أُطلِق عليّ هنا في المصحّ.

- كيف يحدث هذا؟

نظر سينتارو إلى توكي، ومن ثمّ، غريزياً، إلى واكانا. وبدأت هذه الأخيرة تدير بصرها، ومن ثمّ نظرت إليه وجهاً لوجه.

- ألا تحملين اسمكِ الحقيقي؟

- كلا. في الحقيقة، لدي اسمٌ آخر.

- حسناً، هذا يعني...

توقّف سينتارو وهو غير قادرٍ على إيجاد الكلمات المناسبة، فالتزم الصمت. كما كان حال واكانا. توقف ثلاثتهم أمام البرج الحجري.

- هنا مرْمَدة الأشخاص الذين ماتوا في مصحّ تينشوين.

ردّدت واكانا الكلمة، متسائلةً:

- المَرمَدة؟

- نعم، لأنّه ليست لدينا مقبرة لدفن الموتى فيها. زوجي... يوشياكي، هو أيضاً يرقد هنا. بعد أن تخلّص من آلامه، لا بدّ أنّه قد حلِم بحلويات مانجو، تلك القطع الصغيرة من الحلوى التي كانت تُحضّر بوساطة البخار والتي كان يحبّها كثيراً.

شبكت توكي يديها.

- يوشياكي، جئتُ اليوم مع أصدقاء شباب.

كان سينتارو ينظر إلى الظهر الهزيل لتوكي. وضع قفص الطائر وشبك يديه، وقلّدته واكانا في ذلك. أطلق بلبلٌ بنيّ العنق صرخة قوية وطويلة؛ وكجوابٍ عليه، غرّد مارفي.

قالت توكي:

- هل تعلم...

ثمّ أنزلت يديها.

- نحن الآن أحرار في الخروج من هنا... ولكن ليس من السهل بالنسبة إلينا أن نعود إلى بيتنا. لقد ماتت أمي وكذلك أشقائي. لقد نجحتُ في الالتقاء مع أختي الصغرى، ولكن... مثلما كنتُ أشكّ، طلبت مني ألّا أظهر لها وبالتالي لم يعد بوسعي العودة إلى هناك. لم يرغب أحد في الحصول على جثمان يوشياكي. إجمالاً، هناك رفات أكثر من أربعة آلاف شخص في هذه المرمَدة. حينما تغيّر القانون، اعتقدنا جميعاً بأنّه بات من الممكن لنا أن نعود إلى بيوتنا، وكانت هذه سعادة كبيرة لنا في البداية، ولكنّها كانت سعادة عابرة. لقد مرّ الآن أكثر من عشر سنوات على ذلك، وعملياً لم يتمّ تبليغ أحدٍ منّا. لا يزال المجتمع عديم الشفقة حيالنا.

أبدت توكي هذه الملاحظة بهيئة لامبالية، ثمّ التفتت نحو واكانا وأفرجت عن ابتسامة.

- أعتذر على رواية الكثير من القصص المؤلمة، اليوم. ولكن يريحني التكلّم معكما حول كلّ هذه القصص. شكراً لكما على إصغائكما إليّ.

هزّت واكانا رأسها بحيوية وقالت: «أتمنى أن تتحدّثي لنا أكثر عن ذلك».

- شكراً لك أيضاً، يا سينتارو.

- لا أبداً. علاوة على ذلك، نحن مَن طلبنا منكِ أن تعتني

بالكناري. ومن ثمّ... ربّما عليّ أن أطلب منكِ نصيحة. هل تعتقدين بأنني أستطيع العودة؟

بعد أن هزّت رأسها مرّة باتجاه سينتارو، أجابت توكي وقد تركت ظلالاً من الشكّ تحوم:

- بكل سرور، ولكن...

كان هناك ممرٌّ واسعٌ ينطلق من المرْمَدة. وكان يلوح من بعيد شبح مبانٍ، لا شكّ أنّها كانت عبارة عن المخزن والحمّامات. ربّما كان بإمكانهم القدوم مباشرة عبر ذلك الطريق؛ ربّما كانت توكي قد قامت عمداً بالتفافٍ عبر الغابة.

بينما كانوا يعودون إلى مركز المجمّع، شعر سينتارو بأنّ شيئاً ما كان يكبحه والتفت إلى الوراء.

كان برج المَرمَدة ينتصب هناك. وكان لا يزال في داخله أكثر من أربعة آلاف شخصٍ ممنوعين من العودة.

شعر سينتارو بأنّه مراقبٌ من كثب من الأعلى.

19

في ذلك المساء، نام سينتارو من دون أن يشرب الكحول.

كان يرتعش من جرّاء حمّى خفيفة يبدو أنّها كانت قد ألمّت به. ملفوفاً بلحافه، استعاد مشهد مصحّ تينشوين، كما لو أنّه يُعيد الزمن إلى الوراء.

المَرمَدة التي كانت تلتمع تحت أضواء الغسق. الدرب الضيّق الذي كان يمرّ من الغابة. الأزهار التي كانت تتفتّح في المكان. التلّة الترابية الصغيرة المردومة والتي جعلته يحلم بقريته الأم. المرأة التي جاءت وهي تحمل إليهم البسكويت. فتذكّر سينتارو فجأةً أنّ توكي قد تمخّطت في المنديل الورقي.

كان مرض هانسن ينتقل عبر السوائل الأنفية... هذا ما قالته توكي.

سَرَت قشعريرة باردة في جسده الساخن وتلوّى سينتارو في الفراش.

تساءل: لماذا؟

كانت توكي قد تعافَت من المرض منذ أكثر من أربعين عاماً.

لقد تعافت منذ زمنٍ طويلٍ جدّاً بحيث بات المرء يتردّد في وصفها بالمريضة السابقة. طالما هو يعرف هذه الحقيقة أكثر من أيّ شخصٍ كان، لماذا وضع نفسه في هذه الحالة؟ من أين يأتي كلّ هذا القلق؟

تُرى هل ستكون الفتاة الصغيرة بخير؟ طالما أنّها لا تشعر بأيّ أعراض...

وهو يمرّر يده على جبينه الساخن، فكّر سينتارو من جديد بأمر واكانا.

في طريق العودة من مصحّ تينشوين، ظلّت تسير خافضة رأسها. لقد هزّ النهار كليهما حقّاً.

بعد أن غادرا توكي، كان سينتارو وواكانا قد زارا أيضاً مركز التوثيق حول مرض هانسن الذي يجاور مصحّ تينشوين. وقد جالا في ذلك الفضاء الشاسع من دون أن يتبادلا كلمة واحدة تقريباً.

كل تلك المراثي والمناحات المستغرقة في الظلام. كيف يمكن أن نصف بطريقة مختلفة ما كانا قد واجهاه؟ أمّا إذا ما أردنا أن نعرف إن كانا قد أحسنا صنعاً أم لا، فالجواب كان حتماً بالإيجاب. كان سينتارو مقتنعاً تمام القناعة بذلك. وعلى الرغم من أنّه من غير الممكن تفسير السبب، إلّا أنّه كان يشعر بأنّ شهادة أولئك الأشخاص الذين عاشوا حياةً مليئة بالآلام كانت تُثريه. ولكن هذه الشهادة كانت أيضاً قد زرعت في داخله بذرة دُوار مستمر يلمّ به سواء أبقى عينيه مفتوحتين أو أغمضهما.

من بين الصور المعروضة، كانت هناك صورة تحت عنوان: **قراءة بوساطة اللسان**.

كانت عبارة عن صورة رجل مسنّ فتك به مرض هانسن،

فأُصيب بالعمى وأصبح محروماً من الإحساس بأطرافه. إذا أراد أن يفتح كتاباً، لم تكن تسمح له أطراف أصابعه المشلولة أن يشعر بخشونة أحرف البريل الخاصّة بالمكفوفين. وبالتالي، كان يلامس الأحرف بلسانه. كان يقرأ بهذه الطريقة وهو يتابع كلّ حرفٍ بطرف لسانه. هذه الصورة، على سبيل المثال... شبح الرجل المسنّ، المستقيم الظهر تماماً، وهو يلعق كتاباً، كان يطارد سينتارو.

كانت الصور من هذا النوع عديدة في مركز التوثيق. صور رجالٍ يمسكون بين أيديهم المجرّدة من الأصابع آلة الهارمونيكا ويعزفون الموسيقى معاً. صورة رجلٍ مسنّ ينهمك في صنع أوانٍ من الفخار مستخدِماً ما تبقى من أصابعه المقطوعة.

حتى تلك اللحظة، لم يكن لسينتارو أيّ شيء مشتركٍ مع هؤلاء الناس على الإطلاق. ومع ذلك، بدأ هؤلاء الأشخاص يتسرّبون الآن إلى داخله ويتوجّهون إليه في همسٍ وينظرون إليه في هيئة قلقة. كان هذا الأمر يؤلم سينتارو، وهو قد انثنى على نفسه تحت الغطاء. كان يشهَق ويزفر في تنفّسٍ محموم.

فكّر في الدرب الموجود داخل الغابة.

كم شخصاً سلكوا هذا الدرب الضيّق في قلب هذه الأشجار؟ في أيّ حالة معنوية وذهنية تأمّلوا هذا السور من أشجار البهشية الذي يقطع طريقهم فجأةً؟

لا شكّ أنّهم كانوا في حالة من الشعور بالقهر وهو الشعور الذي كان قد عانى منه بنفسه في الماضي حينما كان خلف قضبان السجن. هو كان مذنباً. أمّا هم فلم يكونوا كذلك. غير أنّ سَجنه

كان مؤقتاً. في حين أنّ هناك قانوناً يحظر على المصابين بالجذام أن يخرجوا من المصحّ طيلة حياتهم.

لو كان في مكانهم، تُرى بماذا كان سيشعر وهو يسير في تلك الأماكن؟ تُرى هل كان سينفجر غضبٌ هائل في داخله؟ أم أنّه كان سيعقد العزم على أن ينسى كلّ شيء؟ لشدّة ما فكّر في الأمر، انتهى الأمر بسينتارو إلى أن يجد نفسه وقد بدأ يسير بنفسه في الدرب الضيّق. كان يتقدّم نحو أعماق الغابة.

بعد مضيّ برهة، ظهرت فجوة صغيرة في العشب المجزوز. وفي زاوية من المكان، كانت فتاة صغيرة تقف وهي ترتدي كيمونو مجعّداً ذا بطانة.

تحقّق سينتارو مباشرة من شخصية الفتاة. كانت فتاة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها، وقد وصلت إلى هذا المكان من دون أن تعرف ما هو المرض الذي كانت تعاني منه.

كانت تلك الفتاة هي توكي التي بكت كثيراً، بكت إلى أن جفّت دموعها.

وقف سينتارو خلفها وأخذ يبحث عن الكلمات لكي يواسيها. ولكنّه كان يعلم بأن لا شيء يمكنه أن يُريحها.

في أيّ حالة نفسية كانت تجد نفسها... ربّما كانت قلقة ومهمومة لرؤية وجهها وهو يشوّه ولأن يُحكَم عليها بأن لا تعبُر هذا السور طيلة حياتها، من أين يمكنها أن تستمدّ الأمل بعد الآن؟

ظلّ سينتارو واقفاً في مكانه بلا حراك، وعيناه على ظهر الفتاة الشابّة.

لو أنّ أحدهم قد أراد لها الشرّ، لما دام ذلك إلى الأبد. كان

من الممكن التخلّص من ذلك. حتى لو كان العالم برمّته قد تحالف ضدّها، فإنّ الأزمنة قد تتغيّر وسوف يمكنها ذات يوم أن تسير مرفوعة الرأس. ولكن الذي اضطّهد حياةً بكراً في الرابعة عشرة من عمرها فقط...

في هذه اللحظة، أحسّ بأنّه يختنق.

نعم. الشخص الذي كان يهمس له باستمرار: «كنت ستحسن صنعاً لو أنّك لم تولَد»... صاحب القرار... إنّه كان الله.

كنت لتتألّم طوال حياتك كلّها. بهذه العبارة عبّر عن إحساسه.

حينما أدركت ذلك، كيف تصوّرت توكي حياتها؟ ماذا كان رأيها في الحياة؟

فتاة صغيرة في الرابعة عشرة من عمرها، تبكي مخنوقة بدموعها.

لم يكن سينتارو قادراً على أن يقترب منها أكثر، فسار في الطريق خلسة من جديد وسلك الدرب الضيّق عبر الغابة.

20

بدأت رياح الشمال تهبّ.

كانت شجرة الكرز أمام المتجر تهتزّ فتتراقص بعض الأوراق الباقية على أغصانها. في الشارع، كان المارّة يلفّون أنفسهم في معاطفهم ويضعون شالاً مطوياً حول رقابهم.

كان قد مضى أكثر من شهر على رحيل توكي من المتجر وكانت السنة تسير إلى نهايتها.

لم يتحرّك حجم العمل ولم تتحسّن الواردات. ظلّت منخفضة. وبدأت مالكة المتجر، والتي صارت الآن تأتي في غالب الأحيان، تقول أمام دفتر الحسابات: «سوف لن ننهي السنة».

كان الجوّ بارداً جدّاً، في داخل المتجر كما في خارجه. على الرغم من كلّ شيء، بدا أنّ حشوة الفاصولياء المشرّبة بالسكر التي يعدّها سينتارو تتطوّر في الاتجاه الصحيح. وقد أبدى له العديد من الزبائن ملاحظاتهم، قائلين: «لقد تحسّنت الحشوة من جديد».

في الفترة الأخيرة هذه، كان سينتارو قد قلّل من تناوله للمشروبات الكحولية. وعاد إلى تحضير الحشوة في الصباح الباكر.

كان يجهد، قدر الإمكان، لكي يطبّق طريقة توكي في التحضير، وذلك من خلال التعامل مع القدر النحاسي وهو يركّز الانتباه على قوّة النار وكميّة الماء والمدة الزمنية لكلّ مرحلة من مراحل السلق. في بعض الأيام، كان يبدو له أنّه يقارب براعة معلّمته في إعداد الحشوة.

ولكن هذا لم يكن كافياً لإصلاح الوضع ولم تكُن الأمور بهذه البساطة والسهولة. في عالم التجارة، يُقال أنّه أيّاً كان السبب، الزبائن الذين نخسرهم لا يعودون. وكانت تجربة سينتارو مثالاً مباشراً على ذلك. حتى مالكة المتجر كانت تقول: «ربّما سيكون من الأفضل لنا أن نغلق نهائياً متجر **الدورایاكي** وأن نتحوّل إلى صناعة **الأوكونومياكي**، على سبيل المثال». حتى قبل فترة قصيرة، ربّما كان سينتارو ليوافق على هذا المقترح، لم لا. ولكن سينتارو اليوم، مع كلّ لطفه، إضافة إلى كلّ الحزم الذي كان يبديه، هزّ رأسه رافضاً الفكرة.

وفي حين كان يرغب أشدّ الرغبة في أن يغادر مكانه خلف ذاك الصاج الحامي، إلّا أنّه لم يكن يستطيع أن يعقد العزم على إلغاء متجر دوراهارو. لماذا؟ ربّما لا يدري. ولكنّه كان عاقداً العزم على ألّا يغلق المتجر في هذه الظروف.

ذات يوم وبينما كان يهطل مطرٌ شديدُ البرودة منذ الصباح، وجد مغلّفاً في صندوق البريد العائد للمتجر. حينما رفع رأسه، بعد أن انتهت التحضيرات، لاحت له من شقّ الستارة الحديد لباب المتجر. كانت هناك كتابة معروفة على المغلّف.

السيّد تسوجي العزيز، معلّم متجر دوراهارو،

اسمح لي أن امتنع عن الشكليات المعتادة في كتابة الرسائل. كيف حالك؟ الطقس بارد الآن، فقد حلّ الشتاء تماماً. ما زلتُ أعاني من هذا الزكام الذي لا ينتهي. أمضي أيامي بالنوم والاستيقاظ.

أخبرني، كيف تسير أحوال دوراهارو، في هذه الأيام؟ ألن تنهار روحك المعنوية، بالصدفة؟ لدي إحساسٌ غامض بشأن ذلك.

إنّ استنشاق شذا الرياح والإصغاء إلى صخب الأشجار من بين الأمور التي يمكن بلوغها في تينشوين. ها قد مرّ أكثر من ستين عاماً وأنا أمارس ذلك هنا، وأنا أصغي إلى كلمات مَن ليس لديهم كلام. أنا أسمّي هذا: «حالة إصغاء».

حينما كنتُ أعدّ حشوة الفاصولياء، كنتَ تسألني غالباً عمّا كنتُ أفعله، أليس كذلك؟ كنتَ تسألني إن كنتُ أسمع شيئاً وأنا أقرّب وجهي كثيراً من فاصولياء الأزوكي. ربّما لم أكن أعرف ما الذي أقوله لك، سوى أن أقول بأنني كنت «في حالة إصغاء»، ولكن كان يبدو لي بأنّ جواباً كهذا سوف يُربكك، ولذلك فضّلتُ أن أبقى غامضة.

يتعلّق الأمر بحُسن مراقبة ملامح فاصولياء الأزوكي. بالانفتاح على ما لديها لتقوله لنا. إنّه نوعٌ من تخيّل أيام المطر وأيام الطقس الجميل التي شهدتها، على سبيل المثال. الإصغاء إلى قصة رحلتها وإلى الرياح التي حملتها حتى وصلت إلينا.

أنا على قناعة بأنّ كلّ شيء موجودٌ هنا على الأرض وُهِبَت له مَلَكة الكلام. حسب رأيي، يمكننا أن نصيخ السمع إلى كلّ شيء، وبالطبع إلى المارّة في الشارع أمام المتجر، وإلى كلّ ما هو حيّ، بل وحتى إلى أشعة الشمس وإلى الريح. بالنسبة إليك، ربّما كنتُ مجرّد امرأة عجوز متظاهرة بالورع ومدّعية التقوى، ولكن على الرغم من كلّ أقوالي، أحتفظ بالحسرة والأسف لأنني لم أعرف كيف أنقل إليك ما هو جوهري في الأمور.

اليوم أيضاً، وأنا أسير في غابة مصحّ تينشوين، أفكّر في متجر دوراهارو، أفكّر فيك وبالفتيات الصغيرات من الزبائن، أفكّر في واكانا على سبيل المثال. لقد انقطعت علاقتي مع أختي الصغرى، لم يعُد لدي تقريباً أقارب في هذه الدنيا. لا أدري كم بقي لي من الوقت لكي أعيش وأبقى على قيد الحياة، وواكانا وأنت، يا سينتارو، تُعَدَّان بمثابة عائلة بالنسبة إلي.

تُرى ألهذا السبب؟ حينما أفكّر فيكما، يبدو لي أنّ الرياح التي تصلني بعد أن تجتاز سور الأشجار البهشية تحمل همساً مقلقاً... إنّه إحساسٌ باطني، ولكنّه بدا لي بأنّه كان يدعوني إلى أن أكتب إليك.

لا شكّ أن شائعة قد سرَت بشأني. هل هذا الوضع المحرج ما زال سارياً؟ إذا كانت هذه هي الحالة، فذلك لأنني تأخّرت كثيراً قبل أن أغادر المتجر. لقد عشتُ عبثاً وأنا أعتقد بأنني بريئة، وحدث لي أن سُحقتُ من جرّاء سوء فهم الناس لأمري. أحياناً علينا أن نُظهر البصيرة ونبرهن على الفطنة. ربّما كان عليّ أن أخبرك بهذا الأمر أيضاً.

ولكن، علينا، أنتَ كما أنا، أن نتغلّب على هذا الوضع وعلى الفور. سوف لن يفيد النواح والندب في شيء. بصفتك حلواني محترف، عليك أن تتغلّب على هذا الوضع السيئ!

ذات يوم أو آخر، حول فكرة تخصّك أنت، سوف تبتكر فطائر الدورایاكي الخاصّة بك. بالتأكيد، قمت لزمنٍ طويل بإعداد حشوة الحلويات، ولكنني أعتقد بأنّك لستَ بحاجة إلى إعداد الحشوة بطريقتي نفسها. هذه الأمور هي مسألة جرأة. يبدو لي لو أنّك تستطيع أن تؤكّد على هذا الأمر وتقرّر أن تعتمد طريقتك الخاصّة في صنع فطائر الدورایاكي، سوف تُفتح آفاق جديدة أمامك. أوجد طريقك الخاصّ! أنت قادرٌ على ذلك، أنا متأكّدة من ذلك.

ملاحظة: مارفي في حالة جيّدة. إنّه يحبّ الخضراوات كثيراً ويأكل ورقة خسّ واحدة يومياً. بكلّ بساطة، ما يُقلقني هو أنّه يقول بأنّه يريد أن يخرج عمّا قريب من القفص. ما العمل؟ عودا لزيارتي أنت وواكانا. سوف نتحدّث عن هذا الأمر، حينذاك.

توكي يوشي

نسي سينتارو حتى أن يوقد النار تحت الصاج وأخذ يقرأ رسالة توكي مراراً وتكراراً. تمعّن في كتابتها المميّزة، المتماوجة على طريقة أمواج البحر. كان صوته يتعالى عند كلّ علامة في الرسالة. كما لو أنّها تقف بالقرب منه تماماً.

في كلّ الأحوال، كان الزبائن قلّة ونادراً ما يمرّون على المتجر. هرع سينتارو إلى متجر صغير واشترى منه أوراق رسائل.

السيّدة يوشي العزيزة،

شكراً لكِ على تحمّل عناء الكتابة إلي، في الوقت الذي يُنهكك فيه الزكام. في المتجر، أعدتُ قراءة رسالتك لمرّات عديدة. منذ زمنٍ طويلٍ جدّاً، لم يمنحني أيّ شيء هذا القدر من الشجاعة.

أن يكون المرء «في حالة إصغاء»، هذه عبارة جميلة. لهذا السبب إذاً كنتِ تقرّبين وجهكِ من فاصولياء الأزوكي. كنتُ على قناعة بأنّكِ، وبسبب خبرتك لستين عاماً، كنتِ تتفحصين كلّ حبّة من الفاصولياء بانتباه وتركيز بغية تحسين إمكاناتها. قدرة لهب النار وعدد مرات الغسل بالماء، كان كلّ هذا يبدو لي بأنّه جزء من قوانين الفيزياء. ولكن لم يخطر في بالي أبداً بأنّكِ كنتِ تحاولين أن تلتقطي حتى همس فاصولياء الأزوكي، وأن تعرفي أين وُلِدَت هذه الفاصولياء وأين نَمَت وترعرعت.

لو أنّ أحداً غيركِ روى لي هذا، ربّما لما صدّقته. لأنني بحياتي لم «أُصغِ» بهذه الطريقة. أنا لم أخبركِ بذلك، ولكنني في الحقيقة عشتُ من دون حتى أن أكون «في حالة إصغاء» إلى أمّي.

لسببٍ يختلف عن أسبابكِ، عشتُ بمعزلٍ عن المجتمع خلال فترة من الزمن. كنتُ قد فرضتُ على نفسي قاعدة بأن لا أتحدّث عن ذلك، ولكن يبدو لي بأنني أستطيع أن أخبركِ أنت بهذا الأمر. حدث ذلك قبل بضع سنواتٍ من مجيئي إلى هنا لتقديم المساعدة في متجر دوراهارو. لقد خرقتُ القانون من دون سببٍ حقيقي.

وكانت النتيجة أن وجدتُ نفسي خلف قضبان السجن، وأنظر إلى قطعة صغيرة من السماء بين أربعة جدرانٍ لحجرة ضيّقة.

جاءت والدتي لزيارتي في السجن عدّة مرات. كنّا نبقى دائماً في حالة صمت، من دون أن نتبادل أكثر من كلمتين أو ثلاث. وقد توفيّت قبل أن يُطلَق سراحي. حينما عثر أبي على عنوانها، كانت قد ماتت. كان وفاتها بسبب نزيفٍ دماغي.

بالنسبة لما أدين به من اعتذار، بالطبع، قدّمتُ الاعتذار لأمّي. ولكن بما أنّ ذلك حدث في فترة كنّا مقلّين في الكلام خلالها، لم أستطع أن أقول لها أيّ شيء آخر، ولا أن أُصغي إليها. ما زلتُ أعاني من جراء ذلك حتى اليوم، أشعر أحياناً بأنّ قلبي سوف يتحطّم. لقد ضحّيتُ حتى بأمي وأنا أستمر في العيش، كشخصٍ فاشلٍ لا يمكنه النجاح في أيّ شيء.

اعذريني على أنني لم أتحدّث عن نفسي. أنا هكذا.

ولكن بفضل الأيام التي قضيتها في إعداد حشوة الفاصولياء برفقتكِ، ربّما تغيّرتُ قليلاً. الآن أعاني بسبب متجر دوراهارو الذي كنتُ أنوي تركه ما أن أسدّد الدين الذي بذمّتي، وهو تعهّدٌ عجزتُ عن الإيفاء به. أنتِ كنتِ سبب هذا التغيّر الذي حدث لي. ولذلك أنا أؤمن بتصوّركِ للأمور. تعجبني هذه الحساسية التي تَنسِب صفة الكلام إلى كلّ الأشياء، مع أنني ما زلتُ محروماً منها.

في دوراهارو، الكفاح مستمرّ. يجاملني بعض الزبائن، ولكن ما زالت حشوة الفاصولياء التي أعدّها بعيدة عن مستوى جذب الزبائن إلى المتجر. بصراحة، الوضع حرجٌ للغاية. تُرى هل بلغَكِ قلقي من هذا المأزق الذي أعانيه، هل حُمِل إليكِ عبر الريح؟

خلال زيارتي الأخيرة، كنتُ أرغب في أن أطلب منكِ خدمةً أخرى، علاوة على الكناري. ولكن ما رأيته وسمعته في ذلك اليوم كان قوياً جداً بحيث لم أستطِع أن أحدّثك عن تلك الخدمة.

بينما عليّ أن أقلق عليكِ أنتِ المُصابة بالزكام، ها أنا ذا أنشغل بشخصي الصغير. ولكن لا يزال هناك ما ينبغي عليّ أن أتعلّمه منكِ. من خلال تقليدكِ، استطعتُ أن أعدّ حشوة فاصولياء مقبولة. ولكن بعد ذلك، فيما يخصّ فطائر الدورایاكي التي أعدّها، فأنا ضائعٌ تماماً، لا أرى ما الذي عليّ فعله ولا أيّ اتجاه أتقدّم فيه.

كما قلتِ، لو نجحتُ في إعداد فطائر دورایاكي مبتكرة، ربما ستعود تلك الأيام التي كان الزبائن يقفون فيها أمام المتجر في الدور. وبهذه الطريقة، لا شكّ أن متجر دوراهارو سوف يُنقَذ وبالنسبة إليّ أيضاً، أعتقد أن هذا الأمر سوف يشكّل انعطافاً حقيقياً. لا يزال ينقصني شيءٌ واحد. لديّ إحساسٌ بأنني لو تعلّمت منكِ المزيد حول صناعة الحلويات بشكلٍ عام، لربّما اكتشفت هذا الشيء الذي ينقصني. اسمحي لي، أرجوكِ، أن أقوم بزيارتكِ مرّة أخرى في تينشوين.

فيما يخصّ الكناري، سوف أتحدّث عنه إلى واكانا. فقط لأنّها في الصفّ الثالث الإعدادي، لا بدّ أنّها مشغولة بالتحضير لامتحاناتها في هذه الفترة. متى سيمكننا أن نذهب معاً إلى تينشوين؟ لا يمكنني أن أعدكِ بأيّ شيء بالنسبة إلى الوقت، ولكن على أيّ حال، ما أن يتوفّر لي الوقت، سوف أقوم بزيارتكِ، حتى

لو كنتُ لوحدي. في ذلك اليوم، سوف نتحدّث عن كلّ هذه الأمور، إذا كنتِ ترغبين في ذلك.

أتمنى ألّا يستفحل زكامكِ أكثر.

اعذريني على أنني أظهرتُ لكِ الجوانب السيئة فقط في شخصيتي.

لقد حلّ البرد فعلاً. اعتنِ بنفسكِ جيّداً.

سينتارو تسوجي

21

بدأت سنة جديدة.

مرّت الأيام الثلاثة الأولى من السنة الجديدة دون أن يكون هناك نهارٌ واحد يكون الطقس فيه جميلاً، حيث كان المطر يهطل ممزوجاً بالثلج.

لم يكن سينتارو قد أغلق المتجر. كيف إذاً سيشرب لوحده مشروب ساكي الحارّ بمناسبة السنة الجديدة؟ بدأ بإعداد حشوة الفاصولياء بينما كان لا يزال الليل مخيّماً. ومن ثمّ رفع باكراً الستارة الحديد لباب المتجر. كان أهل الحيّ يذهبون لأداء الصلاة في المعبد الذي يقع في الجانب الآخر من المحطّة. لقد فتح باب المتجر مراهناً على هذه الحشود من المصلين.

ولكن حجم العمل لم يصل مع ذلك إلى مستوى باهر. ما كادت السنة تبدأ حتى جاءت مالكة المتجر وراجعت دفتر الحسابات، فغمغمت: «سوف نغيّر المنتَج»، وأطلقت تنهيدة عميقة، وقد بدا واضحاً أنّها كانت مرغَمَة على ذلك. حينما بدأت ترغب في بيع فطائر **الأوكونومياكي**، ربما لم تكن المسألة سوى فكرة خطرت

ببالها، ولكن، ولفرط ما تحدّثت عنها، بدا أنّ خيارها قد رسا على هذه الفطائر المالحة.

استفسرت لكي تعرف إن كان سينتارو سوف يوافق على الاستمرار في العمل وفق هذه الشروط.

لم يوافق.

- فلنستمر في عملنا في مجال **الدورایاكي**. كان هذا خيار المعلّم. ثمّ أنني ما زلتُ مديناً لكِ ببعض المال.

هزّت مالكة المتجر رأسها وزمّت شفتيها وخفضت زاويتي فمها.

- حينما تكون التجارة رائجة بشكلٍ جيّد، يمكن للمرء أن يبيع أيّ شيء كان. يتعلّق الأمر بكسب المرء لرزقه، وهذا كلّ ما في الأمر.

فكّر سينتارو بأنّها كانت، بكلّ تأكيد، محقّة بمعنى من المعاني، ولكنّه لم يكن موافقاً على اقتراحها.

لم تكن أمور المتجر تسير على ما يُرام على الرغم من كلّ جهوده المبذولة؛ فهذه هي حال التجارة. ولكن مهما يكن، كان يشكّ في أن يستطيع المرء، أيّاً كان المنتَج، أن يدير المتجر بهذه الطريقة.

ثمّ كان هناك أمرٌ آخر. شيءٌ ما كان يحتفظ به في قلبه. إذا لم يتولَّ زمام الأمور الآن، سوف تختفي مهارة وخبرة توكي في إعداد **الدورایاكي** من هذا العالم. وهذه الخبرة هي أيضاً من آثار وجود امرأة تُدعى توكي يوشي.

كان ذلك في أواسط شهر يناير، في يومٍ تجادل فيه سينتارو مطوّلاً مع المالكة حول مستقبل المتجر، حينما تلقّى بطاقة معايدة متأخرة بمناسبة رأس السنة الجديدة من توكي. كانت صاحبة المتجر تعتقد أنّ فطائر **الدورایاكي** لم تعُد موجودة.

وككلّ مرّة، دافع سينتارو عن رأيه في الدعوة إلى القليل من الصبر لبعض الوقت، ولكن من دون أن يستطيع شرح أسبابه.

بالطبع، في قرارة نفسه، كان هو أيضاً غاضباً وحانقاً بسبب الوضع الذي كان المتجر يعانيه. حينما كان يتذكّر وجوه الزبائن الذين لم يعودوا يأتون إلى المتجر، كان يرغب في أن يصرخ في وجوههم.

ولكن رؤية تلك الكتابة المميّزة على البطاقة البريدية بين يديه هدّأت من روعه لبعض الوقت. كانت البطاقة تشير إلى أنّ توكي مريضة وأنّها قد أمضَت الأعياد طريحة الفراش. ولهذا السبب، لم تستطِع أن ترسل إليه بطاقة تهنئة واعتذرت عن ذلك. وكتبت له أيضاً: «**لقد تعافيتُ أخيراً**». وأضافت هذه العبارة: «**إذا أردتَ ذلك، تعال مرّة أخرى لزيارتي في تينشوين. بهذه المناسبة، سوف نقوم، السيّدة موریاما وأنا، بإعادة إحياء حلقة صناعة الحلويات**».

وحيداً في المطبخ، ردّ سينتارو على بطاقتها البريدية: «سوف آتي لزيارتكِ واللقاء بكِ. على أيّ حال، ليست هناك حشود من الزبائن أمام المتجر».

كان الهدوء نفسه يخيّم في مصحّ تينشوين. ربّما بسبب الأشجار المتعرّية من أوراقها، بدا لسينتارو أنّ الصمت أعمق ممّا هو عليه

بالعادة. على الرغم من صفاء السماء، كانت رياحٌ باردة جدّاً تهبّ على المجمّع.

سلك سينتارو الطريق نفسه الذي سلكه في المرة السابقة، باتجاه المخزن حيث كان قد تمّ تحديد موعد اللقاء. لم يصادف أحداً في طريقه. سار بصمت في الممرّ الخالي من الناس. وحينما عَبَرَ مدخل المخزن، تجمّد في مكانه.

«السيّدة يوشي . . .»

كانت السيّدة موریاما، التي قدّمت لهم الرقاقات في الزيارة السابقة، تقف إلى جانب توكي. بذل سينتارو جهده لكي لا يُظهر ارتباكه، فاقترب من طاولتهما وألقى عليهما التحية: «صباح الخير، لقد مضى زمنٌ طويل لم نلتقِ خلاله».

ما صدمه وأدهشه هو التحوّل في مظهر توكي.

لم يكن قد مضى سوى شهرٍ واحدٍ على لقائه بها في الزيارة السابقة، ومع ذلك كانت قد تغيّرت كثيراً كما لو أنّ سنوات عديدة قد مضت. أفرجت له توكي عن ابتسامة، ولكنّ عينيها كانتا غائرتين في محجرهما وكان خدّاها محفورين على نحوٍ مرعب.

- السيّدة يوشي، وكأنّ زكامكِ قد أنهككِ وأضناكِ.

- أوه نعم. كان ذلك رهيباً. لم يعُد بوسعي أن أتناول شيئاً . . .

حكّت توكي بأصابعها المعقوفة رأسها ذا الشعر الأبيض المندوف مثل لحاء شجرة النخيل.

قالت السيّدة موریاما:

- لقد ضَعُفَتْ كثيراً في وقتٍ ما. حتى أنني، في لحظة، اعتقدتُ بأنّه عليّ أن أتّصل بك.

وبدأت السيّدة موریاما، بوجهها الموسوم بآثار الجذام، تقلّد توكي المنهكة: «كانت تشبه قليلاً لوحة للفنان مونك(*)».

- كفّي عن هذا! طالما أنني في النهاية تعافيت.

- عفواً. هل تعلمين، اعتقدتُ بأنّكِ سوف تلحقين بزوجكِ إلى هناك.

- ليس بعد! لأنّه عليّ أن أعلّم المعلّم كيفية إعداد حشوة الفاصولياء في حلقتنا الخاصّة بصنع الحلويات.

على الرغم من هزالها، كانت توكي تعبّر عن رأيها بحيوية مدهشة.

- هل حقّاً تعافيتِ؟

تفحّص سينتارو وجه توكي، التي حرّكت يدها كما لو أنها تريد أن تُبعدَ نظرته.

- نعم، لا بأس. حتى وإن كان العام الجديد قاسياً في بدايته وبقيتُ طريحة الفراش في السرير.

- أنا آسفٌ لأنني لم أكن هنا لأساعدكِ في تلك الفترة.

- لا تقلق. لقد أسعدَني أن تأتي الآن.

(*) إدفارت مونك (Edvard Munch) (1863-1944): رسّام تعبيري وطبّاع نرويجي. تُعد لوحة «الصرخة» أشهر أعماله. كانت من بين سلسلة لوحات سمّاها باسم «إفريز الحياة»، حيث طغت عليها مواضيع الحياة والحبّ والخوف والموت والكآبة.

كما لو على سبيل الاحترام لسينتارو وتوكي، غادرت موریاما الطاولة. ثمّ عادت وقد حملت معها صينية.

- تفضّلوا!

على الصينية، كانت هناك ثلاث زبادي تتصاعد منها سحابة من البخار.

- لقد قمتُ بإعادة تسخينها في فرن الميكروويف، هناك.

قالت توكي:

- آه، يا لهذا... نحتفل من جديد برأس السنة الجديدة.

ضمّت يديها. كان صوت السيّدة موریاما أيضاً أكثر مرحاً وبهجة:

- هذا حساء **الزينزاي** الخاصّ الذي تعدّه حلقة صنع الحلويات في المصحّ.

في الزبادي، كان الحساء الشهير للفاصولياء الحمراء يلمع. وكذلك كانت حبّات فاصولياء **الأزوكي** تلمع وهي مصفوفة في نسقٍ مرتّب. فاحت رائحة زكية من بخار الماء والتي بدت أنّها قد غطّت حتى الطاولات المجاورة. تعالى صوتٌ من طاولة أخرى:

- أوه لا لا، هذا مثيرٌ للشهية.

- تفضّلوا، أرجوكم.

وضعت السيّدة موریاما زبدية أمام سينتارو.

- تناولها وهي ساخنة.

دعته توكي أيضاً إلى تذوّقها. كان لا بدّ من الاعتراف بأنّ سينتارو لم يتناول قط في حياته زبدية كاملة من حساء **الزينزاي**. ولكن بدءاً من أوّل ملعقة، انفرجت أسارير وجهه من تلقائها، وقال:

«هذا لذيذ . . .»

أفلتت الكلمات منه. خفّف السكّر من الضغط في وجنتيه وفي عنقه، ومن ثمّ سرى نوعٌ من الارتياح في خدّيه.

- توكي، لا تَنْسي.

- آه، نعم. خذْ هذه أيضاً.

أخرجت توكي، التي كانت تتفحّص سينتارو بعينيها، من حقيبتها كيساً بلاستيكياً. وأفرغت محتواه في طبقٍ صغير.

- إنّها لذيذة، كما تعلمون، طحالب الكومبو المالحة التي تعدّها توكي. صنع منزلي.

- طحالب الكومبو بالملح؟

قالت السيّدة موريياما: «هذا ضروري ولا بدّ منه. . .»، ثمّ أضافت لنفسها وهي تتناول كمية قليلة منها وتهزّ رأسها إعجاباً: «حقّاً هذا يتماشى بشكلٍ رائع مع الملح».

سكب سينتارو أيضاً بعض طحالب الكومبو لنفسه. كانت طحالب الكومبو المالحة مقطّعة إلى شرائط رقيقة. كانت ناعمة الملمس وعذبة في الفم وتفوح منها رائحة الخوخ التي كانت تداعب أعماق الأنف.

- آه! خوخ. . .

- نعم. أستخدم الخوخ وعشبة البريلا.

صرخ سينتارو، وهو يأخذ لقمة أخرى من **الزينزاي**، وأبدى دهشته:

- هكذا إذاً! هذا لا يُصدّق. . .

حدّق في السيّدتين، وسأل بتلهّف:

– هذه الأطباق، أقصد الحساء الحلو والطحلب البحري، كيف يتمّ إعدادهما؟

ومع أنّه كان يعرف تمام المعرفة بأنّ الجواب لا يكمن في كلمة واحدة، طرح سينتارو هذا السؤال. كانت تلك الطريقة الوحيدة بالنسبة له للتعبير عن مشاعره. بَدَرَت ضحكة من توكي.

– طريقة التحضير ليست شديدة التعقيد. إنّها جزء من تقاليد حلقتنا الخاصّة بصنع الحلويات... نحن نعدّها ونقدّمها كلّ عام، بمناسبة رأس السنة الجديدة.

– بالضبط. هذه السنة، بما أنّ توكي كانت طريحة الفراش، أنا مَنْ قمتُ بطريقة أو أخرى بإعداد **الزينزاي**، ولكنني اشتريتُ الكومبو من السوق. ولأنّك كنت ستأتي اليوم، قرّرت توكي أخيراً بأن تطبخ.

شَكَرها سينتارو:

– شكراً.

أدرك بأنّه كان على وشك أن يُنهي زبديته.

– حقّاً... هذه هي المرّة الأولى التي أتناول فيها **زينزاي** بهذه اللذّة.

– عليكِ أن تكوني سعيدة، يا توكي. يبدو أنّه قد أُعجِب بطبخكِ.

– لأنّ كميّة السكّر قليلة جدّاً... تنتشر نكهة ملوحة الطحلب البحري المخلّل تماماً مثلما تنتشر رائحة زهرة.

– أنت تعلم أنّ **الزينزاي** أيضاً مالح. ولكن، بما أنّ هناك الطحالب البحرية، أضفتُ إليها فقط هُنيّة من الملح، لا يمكن تمييز طعمه تقريباً.

وأخيراً ذاقت توكي بنفسها من الحساء الحلو. تاهت أنظارها في المدى البعيد، ثمّ ارتخت خدّاها المهزولتين وابتسمت.

- إنّه مجرّد التوازن الصحيح.

وافقها سينتارو والسيّدة موریاما بحماس.

- سينتارو؟

- ماذا؟

وضعت توكي زبديتها ونظرت إلى سينتارو في عينيه مباشرةً.

- حشوة الفاصولياء التي أعدّها، لا شكّ أنّها مالحة على نحوٍ خفيف.

- نعم، هذا صحيح.

- على العكس من الحشوة التي كنتَ تستعملها في المتجر. تلك كانت مختلفة تماماً...

- الحشوة المصنوعة في الصين... نعم، هذا صحيح تماماً.

- ولهذا السبب كانت خالية من النكهة، وقد وجدتها مُشرّبة بالسكر.

كان هذا صحيحاً.

كان يمكن اعتبار المسألة مسألة ذوق، ويتمّ حفظ القضية، ولكن بالنسبة إلى سينتارو، كانت دائماً الحشوة التي لا تحتوي على الملح تثير اشمئزازه بعد أن يتناول لقمة أو لقمتين.

- أعتقد أنّ حشوة الفاصولياء المالحة على نحوٍ خفيف تناسب أكثر الرجال الذين يحبّون الكحول مثلك.

- آه، ولهذا السبب...

- أنت الذي لا تحبّ كثيراً الأطعمة المحلّاة، إذا كنت تستطيع

أن تأكل قليلاً من حشوة الفاصولياء التي أُعدّها أنا، فهذا بفضل الملح بكلّ تأكيد.

- كلا، يا سيّدة يوشي، بل هذا لأنّكِ موهوبة في إعداد فاصولياء **الأزوكي**.

- ولكنها لو كانت خالية من الملح تماماً، كنت ستلاقي صعوبة في ابتلاعها دون شكّ.

- هذا محتَمَل.

قالت السيّدة موریاما، وهي تنظر من حولها: « الشيء نفسه بالنسبة إلى الناس هنا».

- حينما يكون الطلب للرجال، نحقّق نجاحاً أكبر إذا ما أضفنا كمية أكبر بقليل من الملح.

استأنفت توكي حديثها:

- اصغِ إليّ. بين حشوة **الآن** العادية و**الزينزاي** الحالية، برأيكَ، أيّهما أكثر ملوحة؟

- عفواً؟

هزّ سينتارو، مرتبكاً، رأسه يميناً ويساراً في إشارة إلى أنّه لم يفهم، ولكن بينما كان يفكّر، وقع نظره على طبق طحالب الكومبو البحرية بالملح.

- برأيي، **الزينزاي** أكثر ملوحة. لأننا أكلنا الطحالب البحرية المملّحة معها.

- نعم، هذا فارقٌ شاسع. ولهذا السبب، استطعتَ أن تتناول زبدية كاملة منها.

- لأنني أحبّ كثيراً أن أشرب الخمر.

- حشوة الفاصولياء المملّحة، لا تلقى صعوبة كبيرة في تناولها.

- هذا صحيح.

- ولكن حينما تقوم بإعداد حشوة الفاصولياء، لا تضع فيها أطناناً من الملح، أليس كذلك؟

- كلا، لأننا إذا أفرطنا في إضافة الملح، سوف يتسبّب هذا الأمر في قتل كلّ ما تبقّى.

- في هذه الحالة، وماذا عن **الزينزاي** التي قدّمناها اليوم؟ طحلب الكومبو البحري المخلّل بالملح، شديد الملوحة، هل تعلم ذلك؟

- أوه... ما الذي تريدين أن تقوليه؟

كانت توكي تبدو منهكة، ولكن، كانت عيناها الغائرتان لعوبتين وماكرتين. كانت السيّدة موریاما تنظر إليها وهي ملتزمة الصمت.

- حينما نقوم بإعداد حشوة الفاصولياء، نضيف إليها كمية شحيحة جدّاً من الملح. أمّا بالنسبة إلى **الزينزاي**، فنجعلها تتماشى مع الطحلب البحري المخلّل، وبالتالي تكون الملوحة ظاهرة إلى حدّ ما. في هذه الحالة، ولتحضير فطائر **الدورایاكي** خاصّتك، ماذا لو تحاول أن تستخدم الملح بطريقة جديدة؟ يبدو لي أن الوصفة ستكون لا مثيل لها، وهي وصفة الناس الذين يحبون أن يشربوا الكحول، مثلك.

ضربت السيّدة موریاما يداً بيد.

- هذا موجود، هذا صحيح. كعك **مانجو** بالملح، وحلوى **دايفوكو** بالملح. يجب اللجوء إلى نقيض الأشياء.

- آه، تريدين أن تقولي... **دورياكي** بالملح؟

- أعتقد أنّه، أحياناً، من المناسب أن يتصرّف المرء على هواه وكما يحلو له.

آآآآه... زفرت السيّدة موريامـا تنهيدة طويلة ونقرت على الطاولة، مُبدية إعجابها بالفكرة.

- لطالما كانت هكذا. بكلمة واحدة، توكي هي مُبْدِعَة حلقة صنع الحلويات.

- أنا أشغّل السحايا الدماغية التي لا أمتلكها، هذا كلّ ما في الأمر.

انحنت السيّدة موريامـا على الطاولة.

- بشكلٍ عام، ترى توكي الأمور بطريقة صحيحة. هنا إذاً، لم يبقَ لديك سوى أمر واحد لتقوم به، ألا وهو صناعة **دورياكي** بالملح.

- **دورياكي** بالملح؟

- سوف يلاقي هذا نجاحاً.

كانت السيّدة موريامـا حاسمة وجازمة في طرح هذه الفكرة. وافقت توكي أيضاً على الفكرة بإشارة من رأسها.

انحنى سينتارو أمام السيّدتين.

- حسناً، شكراً على طبق **الزينزاي**. وشكراً على هذه الفكرة الجديدة أيضاً. كما هو الحال دائماً، لا أعرف كيف أشكركما.

- دعكَ من هذا، هذه مجرّد فكرة راودت ذهني. أخبرني بالأحرى...

بعد أن نظرت إلى السيّدة موريامـا، أدارت توكي من جديد عينيها الغائرتين نحو سينتارو.

وضعت السيّدة موريامـا الزبادي على الصينية ونهضت من مكانها، وقالت: «سوف أقوم بجلي الأطباق».

تكلّمت توكي بصوتٍ خفيض:

- لم تكن لدي النية في أن أطرح عليك المزيد من الأسئلة قبل الآن، ولكن... شكراً لأنّك كنت منفتحاً وصريحاً معي.

- ممم.

وإذ أدرك سينتارو ماذا كانت تقصد، انحنى في صمت.

- أنا آسفة بشأن والدتكَ.

- شكراً.

- هل لا يزال والدكَ على قيد الحياة؟

هزّ سينتارو رأسه بالإيجاب من دون أن يقول شيئاً.

- إذاً، عليك أن تذهب لرؤيته.

- لا أستطيع أن أجد الفرصة.

- حقّاً؟

- كان كلّ شيء بسبب خطأي. خاصّة، حيال أمّي، ما قمتُ به لا رجعة عنه...

- ولكنّك أمضيت مدّة عقوبتك، أليس كذلك؟

- نعم.

- في هذه الحالة، ابدأ من الصفر.

أبقى سينتارو، غير القادر على النظر إلى وجه توكي، عينيه مسبَلة على الطاولة وعلى حساء طحالب الكومبو البحرية بالملح.

- كيف يمكنني أن أتصرّف وما الذي عليّ أن أقوم به لكي أبدأ من الصفر، لا أكفّ عن التفكير في هذا الأمر... انتشلني المعلّم السابق من المأزق ووجدتُ نفسي أعمل في هذا المطبخ، ولكن ... يوميّاً، لا أفكّر سوى بمغادرة هذا المكان والهروب منه.

- نعم، لأنّ الأشياء المحلّاة ليست هي امتيازك.

- نعم. ولكن...

هنا تنهّد سينتارو وأردف:

- ولكن الآن، أريد الاستمرار في إدارة المتجر. ولكن بطريقتي.

- تماماً. سوف تنجح في ابتكار **الدورایاكي** الخاصّة بك، أنا على قناعة بذلك. ومن ثمّ...

- ماذا؟

- حتى أكون صريحة وصادقة، فيما يخصّ إعداد حشوة الفاصولياء، لم يعُد لدي أيّ شيء أعلّمكَ إياه. وبالتالي، من الآن فصاعداً، افعَل كما يحلو لك. كُن على ثقة بنفسك وانطلق في عملك.

أضافت توكي وقد ابتلّت عيناها الغائرتان بالدموع: «أنا متأكّدة من أنّك سوف تستطيع النجاح في ذلك».

22

فطائر **دورایاكي** بالملح.

لقد جاء الاسم بسهولة ويُسر، ولكن عملية تحويله إلى منتَج استهلاكي ستبدو أكثر تعقيداً.

بدأ سينتارو يستلم من مزوّده الماركات الشهيرة من الملح مثل ملح **أماشيو** من مدينة آكو، ملح **يانبارو** من مدينة إيجيما. ولكن بالنسبة إلى نوعية الملح، كيف وأين يتمّ استعماله في صناعة **الدورایاكي** من أجل الحصول على حلويات يابانية جديدة؟ لم يكن لديه أدنى فكرة عن ذلك.

في البداية، حاول بكلّ بساطة أن يزيد من كمية الملح في حشوة الفاصولياء. في الحالة الطبيعية، حتى لو كان يعدّ أربعة كيلوغرامات من الحشوة، لم يكن يضيف سوى رشّة خفيفة من الملح، حوالي غرامٍ واحدٍ على الأكثر. أصبح يضيف غرامين، ومن ثمّ ثلاثة غرامات.

وحينها، حدث أمرٌ غريب.

بالنسبة إلى سينتارو، عادة ما كانت نكهة الملح في المذاق

الحلو تشبه زهرة مائية عائمة ومرتعشة بمرور التيار. لم يكن بوسع السكّر أن يغطّي على نكهته تماماً، ولكنّها كانت تبقى مع ذلك نكهة عابرة. كانت هذه النكهة بالذات هي المنعشة. ولكنّ هذا الإحساس لم يكن يظهر إلّا إذا كانت كمية الملح شحيحة حقّاً. حينما كانت تُضاف كمية أكثر بقليل... عملياً، أكثر من ثلاثة غرامات من الملح في أربعة كيلوغرامات من الحشوة، كانت النكهة تصبح حادّة فجأةً.

وكانت الحشوة تغدو غير قابلة للاستخدام، تماماً مثلما يصبح الحساء غير قابلٍ للتناول حينما تغدو جرعة الملح فيها زائدة عن الكمية المناسبة، وبالتالي، لم يكن من الوارد تقديمها للزبائن.

باختصار، فيما يتعلّق باستخدام الملح في إعداد الحشوة، كان سينتارو عبثاً يُرهق نفسه، فالتقنية الحالية كانت التقنية الوحيدة الممكنة. وهي إعداد حشوة الفاصولياء من خلال إضافة كمية قليلة جدّاً من الملح إليها. لم يكن بوسعه أن يفعل أفضل من هذا، وبدا أنّ هذا هو الحلّ الوحيد.

إذاً، ما الذي عليه أن يقوم به؟ من الواضح أنّه لم يبقَ سوى العمل على عجينة الفطائر. في أثناء خلط المقادير الداخلة في تركيبة العجينة، قام سينتارو بتجربة إضافة الملح.

احتفظ بالنِّسَب الأساسية مقسّمة على ثلاثة أثلاث، كما هو عليه الحال حتى الآن. خلط السكّر والطحين والبيض بنسبٍ متساوية بمنتهى الدقّة آخذاً بالاعتبار وزن البيض مع قشره. وأضاف إلى الخليط كمية من بيكاربونات الصوديوم كخميرة، وكذلك بعض العسل وقليلاً من مشروب ساكي الحلو المذاق ورشّة من مسحوق الشاي الأخضر ليعطي نكهة للعجينة. ثمّ رشّ قليلاً من الملح على

كلّ المزيج. قام بتقطيع العجينة وتوزيعها على زبادي صغيرة، ومن ثمّ أضاف كميات مختلفة على نحوٍ خفيف من الملح إلى العجينة في كلّ واحدة من الزبادي. من خلال تغيير نسب الملح في كلّ زبدية، خبز أنواعاً عديدة من شرائح العجينة. وفي تلك اللحظة بالذات، وبمحض المصادفة، مرّت مالكة المتجر لتقابله وهي في طريق عودتها من المستشفى.

بعد أن قامت بفحص نتائج الأيام الأخيرة في دفتر الحسابات، أصدرت صوتاً بلسانها، وقالت: «هذا مفجع». أجاب سينتارو: «أنا أقوم الآن بتجربة نوعية جديدة».

خوفاً من السكّر، كانت مالكة المتجر تتجنّب تناول **الدورایاكي**. ولكنّها، ربّما بإثارة من إعلان سينتارو، مدّت يدها للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل، وقالت: «أرني... هذا مالح، أليس كذلك؟»

كان ردّ فعلها صريحاً.

- نعم، لأنّ هذا **دورایاكي** بالملح.

- ماذا أقول... هذا يسبّب العطش.

- هناك نوعٌ آخر أيضاً وهو أقلّ ملوحةً.

- إنّها فقيرة.

فقيرة؟

تفاجأ سينتارو بهذه الكلمة بعض الشيء، وقضم هو الآخر قطعة من **الدورایاكي** الذي كان قد أعدّه للتوّ، واستمتع بطعمها.

- هل رأيتِ؟ هذا ليس سيئاً، أليس كذلك؟

كان هذا هو شعوره، من دون أي تزويق. كان يشعر بأنّه يلمس بأصابعه شيئاً جديداً. كانت العجينة التي من المفروض أنّها حلوة تُعطي نكهة مالحة بوضوح. كان ذلك مفاجئاً بالنسبة إليه. ولكن، بعد تناول لقمتين أو ثلاث، أدرك سينتارو شيئاً فشيئاً ما كانت مالكة المتجر تريد أن تقوله. على العكس من النكهات الأولى، كان الملح يترك في الفم مذاقاً حادّاً. في الوقت نفسه، كانت استدارة أقراص العجين تتشوّه. كانت الحرفية تفتقر إلى الدقّة.

«في الواقع...»

حينما انتهى من تناول قطعته من **الدورایاكي**، نظر سينتارو إلى مالكة المتجر.

- حقّاً هذه النكهة لا تمنحنا الرغبة في تناول قطعة ثانية منها.

- ربّما هذا يثير انتباه الزبائن. يمكنك أن تبيع منها، لنرى ما هو ردّ الفعل عليها.

كان صوت مالكة المتجر كئيباً ويائساً. كان صوتها يرنّ في أذني سينتارو كما لو أنّها تقول: «لستُ موافقة على هذا».

على الرغم من كلّ شيء، لم يكن هذا يغيّر في شيء حقيقة أنّ متجر دوراهارو كان في خطرٍ. من دون فكرة جديدة، سوف لن يكون للمتجر مستقبلٌ مضمون.

- لا أكفّ عن ترداد ذلك، ولكننا لا نستطيع أن نستمر على هذه الحالة. يبدو لي أنّ هذا هو الوقت الأنسب للكفّ عن صنع حلويات **الدورایاكي**.

علاوة على نغمتها المعتادة، بالغت مالكة المتجر قليلاً في تشاؤمها. وبإشارة من إصبعها، أضافت: «حينما ستُزهر شجرة الكرز

هذه، أريد أن ننطلق من أسسٍ جديدة. ما رأيك في ذلك، يا سينتارو؟ نُلغي كلّ ما سبق ونفتح صفحة جديدة ونبدأ بإنتاج **الأوكونومياكي**، ما رأيك بذلك؟ أو نحوّل المحلّ إلى مطعم لتقديم أسياخ **الياكيتوري**(*)، على سبيل المثال؟ وإذا استطعنا أن نقدّم الكحول، سيكون هذا أنسب لك أيضاً، أليس كذلك؟».

- كلّا، كما قلتُ لكِ ذلك سابقاً، أنا أرى بأنّه علينا عدم التخلّي عن **الدورایاكي**.

- ولكن في الواقع، الزبائن لا يُقبلون عليها، وأنت ترى ذلك بنفسك.

كاد سينتارو أن يقول بأنّ هذا بسبب حكاية السيّدة يوشي...، ولكنّه ابتلع سريعاً كلماته ولجم لسانه.

- هل هذا يعني أنّكِ لا ترغبين في الصبر لبعض الوقت؟

- الصبر، الصبر...

- بما أنّه عليكِ أن تقومي بتمويل عمليات الصيانة والتجديد وفتح متجر جديد، ألا تريدين أن تراهني من جديد على **الدورایاكي**؟

- أمركَ غريب، يا سينتارو. ليست لديك أدنى رغبة في فطائر **الدورایاكي**، وكلّ ما يربطك بنا هو الدين الذي تدين به لنا، أنا أعرف ذلك جيّداً.

وبالتالي، لماذا، الآن، تتظاهر بأنّك تُرهق نفسك بهذه النقطة؟ من خلال العمل في مجال الأوكونومياكي، سوف يكون بوسعنا أن

(*) ياكيتوري: تعني حرفياً «الطير المشوي»، وهو نوع من المأكولات اليابانية والذي يكون عبارة عن لحم دجاج مشوي على أسياخ خشبية.

نقدّم الكحول أيضاً، وهذا أفضل لك بكثير، أليس كذلك؟ لماذا تتشبّث الآن **بالدورارياكي**؟

- أوه... بالتأكيد.

- ومن ثمّ... إذا كان عليّ أن أجدّد المتجر وأن أبدأ من جديد من نقطة الصفر، فهذا هو بالضبط الوقت الأنسب لذلك.

- لماذا؟

- بسبب مدّخراتي. لم تعُد لديّ الكثير منها. وأيّ خطأ في الحسابات من قبلي سيكون كافياً لكي أضطرّ من دون أدنى شكّ للانفصال عن هذه التجارة. هل تفهم قصدي؟ في هذه الحالة، سيكون الأمر خيانة لزوجي. وإذا لم أتصرّف في الوقت الذي لا يزال فيه هامش للتحرّك، سوف أُحشَر في الزاوية، وستكون هذه النهاية. وأنت، ما الذي ستفعله حينذاك؟

واصلت توكي، قائلة:

- وفضلاً عن ذلك، لماذا كلّ هذا؟ فطائر **الدورارياكي** بالملح.

- ولكن...

عادت وأخذَت قضمة أخرى من قطعة **الدورارياكي** المتروكة بعد أن كانت قد باشرت بتناولها.

- حينما تكون باردة، تكون نكهة الملح فيها أكثر وضوحاً. تناول منها، إذاً.

بناءً على دعوتها، أكل سينتارو القطعة التي قدّمتها مالكة المتجر له. في الواقع، كان الإحساس بالطعم مختلفاً عمّا كان عليه حينما كانت **الدورارياكي** على درجة فاترة من الحرارة. كان الملح يبرز فيها أكثر ممّا هو ضروري.

- إذا كنتَ قد بذلت جهدك لكي تُحدث تجديداً في الإنتاج، أنا ممتنّة لك على ذلك. ولكن الحقيقة كما هي في الواقع. نحن في أواخر شهر يناير... وعلينا الآن أن نقرّر ما سنقوم به.

- أنا أصغي إليكِ.

- دعني أتّخذ قراري على أساس حجم العمل خلال شهر فبراير. في الشهر المقبل، إذا كانت المبيعات ستتحسّن كما كانت من قبل، سوف نُبقي على متجر **الدورارياكي**. وبعكس ذلك، سوف نترك هذه المهنة. إنّ متجراً لتقديم الأطباق على طريقة أوساكا، سوف يروق لي تماماً. يمكننا أن نقدّم فيه **الأوكونوميـاكي والتاكوياكي**، والطبقان عبارة عن فطائر مالحة محضّرة في الفرن ولُقّم بالحبّار. وكذلك نعمل على أن نقدّم هنا مشروبات كحولية على طاولة تقديم الطلبات. وبهذه الطريقة، سوف تزيد المبالغ التي سيصرفها الزبون في المتجر. ومن ثمّ، لقد سبق لك وأن أوفيتني قسماً لا بأس به من الدين الذي بذمّتك، وسوف أقوم بشطب ما تبقى منه. أوفيني كلّ ما يمكنك سداده حتى شهر فبراير، وبعد ذلك، سيكون الأمر على ما يُرام.

- عفواً، ماذا تقصدين؟

- لقد سدّدت لي كامل الدين تقريباً. أمّا ما تبقّى منه لي بذمّتك، فلن نعود نتحدّث فيه. وبالتالي، دعنا لا نخاف من التقدّم نحو الأمام، يا سينتارو. في الحياة أيضاً، هناك تغيرات الفصول.

بعد أن تأخّر لبعض الوقت في الكلام، أجاب سينتارو:

- بالتأكيد.

- سوف نصفّر جميع الحسابات، في الشهر المقبل. اتّفقنا؟

- اتّفقنا.

وضعت مالكة المتجر ما تبقى من قطعة **الدورایاكي** في الصحن الذي دفعته بجفاء نحو سينتارو.

23

السيّدة يوشي العزيزة،

كيف حالكِ؟

لقد حلّ البرد وأرجو أن تلبسي ثياباً دافئة وأتمنى ألا تكوني قد أُصِبتِ بزكامٍ جديد منذ آخر لقاءٍ لنا.

من جانبي، أواصل بذل جهودي.

حتى أكون صادقاً، أنا أستلهم الطاقة ممّا قلتِه لي وباشرت على الفور في بذل محاولاتي والقيام باختبارات على الدورياكي بالملح.

نعم، حلويات الدورياكي بالملح!

وكبداية لهذه الاختبارات، حاولتُ أن أزيد كمية الملح في حشوة الفاصولياء، إلّا أنّ هذه التجربة آلت إلى الفشل. من الواضح أنّ كمية الملح التي كنتِ تستخدمينها كانت هي المقدار الأمثل والأنسب. يا لها من موهبة! باختصار، تبقى حشوة الفاصولياء هي نفسها.

وبالتالي، كيف يمكن تبرير اسم الدورایاكي بالملح هذا؟ هذا تبسيطٌ للأمر، ولكنني حاولت أن أملّح عجينة الفطائر.

لقد أدّت هذه العملية إلى إنتاج دورایاكي مثيرة للدهشة. إذا ما تناولها المرء وهي بدرجة فاترة من الحرارة، تعطي مذاقاً جديداً يجعلك تقول: «أوه، ربّما هذا هو المطلوب!» ولكن بعد مضيّ بعض الوقت، وبعد أن تبرد الدورایاكي، تغدو نكهة الملح ثقيلة ومزعجة. حتى أنّ مَن يتناولها يشمئزّ من شدّة الملوحة. بالطبع، وبغرض تجنّب هذا الأمر، أستخدم الآن كمية شحيحة من الملح، ولكن في هذه الحالة، أي إذا كان الملح قليلاً جدّاً، تختفي دهشة اللقمة الأولى.

إذاً، إنّ فكرة تمليح العجينة لم تكن، هي الأخرى، ذات نتائج حاسمة. سواءً تعلّق الأمر بحشوة الفاصولياء أو بعجينة الفطائر، فإنّ تمليحها من دون شكّ ليست طريقة ناجعة. وإذا كانت الطحالب بالملح تتماشى جيّداً مع حساء الزينزاي الحلو، فذلك لأنّها تتبّلها، على ما أعتقد. فلنتخيّل طبقاً يُدعى زينزاي بالملح: إذا كان حساء الفاصولياء مالحاً بشكلٍ مفرط، سوف لن يكون شهيّاً.

لا أدري. هذا الاقتران غير المُحتَمَل، الشبيه باقتران الزينزاي والطحالب بالملح، والذي، فضلاً عن ذلك، يمنح قيمة للدورایاكي... نظراً إلى الوضع الراهن لمتجر دوراهارو، لم يعُد لديّ سوى القليل من الوقت لكي أفكّر فيه، ولكن ربّما سوف أجد نفسي وأنا أطبّق على نفسي، كما علّمتِني، تجربة أن أكون «في حالة إصغاء»، لن أفقد الأمل.

مهما يكن، لقد ظلّ حجم العمل والواردات في أدنى مستوى له. في هذه المرحلة، أعدّ حشوة الفاصولياء مرّة واحدة كلّ أربعة أيام، وهذه الكمية تكفي. الفورة التي شهدها المتجر قبل ما يقارب ستّة أشهر تبدو لي الآن بعيدةً جدّاً!

كلّ يوم، أُصيخ السمع، أكون في «حالة إصغاء».

ولكنني لم أسمع بعد شيئاً، هذا ما حلّ بي. أودّ أن أقوم من جديد بزيارة إليكِ في تينشوين، ربّما في الأيام التي يتحسّن فيها الطقس. في المرّة القادمة، سوف آتي مع واكانا. بهذه المناسبة، سوف نقرّر إن كان يجب إطلاق الكناري أم لا. اعذريني. في هذه المرّة، لم أكفّ عن الشكوى، ولكن بدا لي أنّه من العبث أن أكون دعيّاً معكِ، في حين أنني أملي على الورقة مشاعري الحقيقية. لا أستسلم. فلترنّ أقوال آلهة الحلويات في أذنيّ أيضاً!

في دوراهارو

سينتارو تسوجي

السيّد تسوجي العزيز،

اسمح لي أن أتجاوز الرسميات والشكليات.

يبدو أنّ ملاحظاتي الرعناء والمتهورة قد أقلقتك وشوّشت ذهنك.

أنا آسفة لذلك.

في الواقع، إنّ استخدام الملح مسألة حسّاسة. لم تعُد هناك مشكلة مع الأطباق المالحة تقريباً، ولكن، في حالة الأطباق

الحلوة، فإنّ القاعدة الأساسية في استخدام الملح هي ألّا يطغى مذاق الملح على الطبق. يمكننا أن نضيف هنّة من الملح، لكن لا نُكثر من كميّته. في هذه الحالة، وكما أشرت إلى ذلك بنفسك، الملح يفيد بلا شكّ في إضفاء شيءٍ من النكهة المتميّزة. وفي الواقع هذه هي الصلة التي تربط بين الزينزاي والطحلب البحري بالملح.

ولكنني أعتقد بأنّك قد وضعتَ يدك على أمرٍ مهمّ. بل وأودّ أن أقول بأنّك قد أمسكت بالمفتاح المطلوب. بدايةً، حساء الفاصولياء المحلّى وكذلك الطحلب البحري المملّح، ليس هناك أيّ علاقة لأحدهما بالآخر. لقد جمعهما أحدٌ ما في طبقٍ واحد للذين لديهم شراهة للمأكولات الحلوة مثلما لأولئك الذين يفضّلون المأكولات المالحة.

الدورایاكي بحدّ ذاتها هي نوع من الحلوى اليابانية الرائجة، ولكن إذا أخذنا مثال الزينزاي، فربّما نعثر على مادة أضيفت إليه فجعلته مبتكراً. سوف أفكّر أنا أيضاً في هذا الأمر. من المهمّ أن تُصيخ السمع، فربّما لم تسمع شيئاً بعد، ولكنني أرجوك ألّا تستسلم، بل ثابر على طريقك.

أيّاً كانت أحلامنا، سوف نعثر بالضرورة، ذات يوم، على ما كنّا نبحث عنه بفضل الصوت الذي يقودنا، أنا على قناعة تامّة بذلك. الحياة ليست عبارة عن زيّ موحّد.

في بعض الأحيان، يتغيّر لونها بشكلٍ كامل.

أنا أشارف على نهاية حياتي، ولذلك أنا أفهم بعض الأمور.

فيما يتعلّق الأمر بي، عشتُ كلّ حياتي مع مرض هانسن، ولكن كلّ مرحلة من حياتي - أيامي الأولى في المصحّ، ومن ثمّ السنوات العشر أو العشرين أو الثلاثين الأخيرة هذه، أو الآن حيث اقتربت النهاية - كانت لها صبغة مختلفة، على ما يبدو لي.

لقد كان ذلك قاسياً عليّ للغاية. بالطبع يمكننا قول ذلك. ولكن على مرّ السنوات التي قضيتها في هذا المكان، انتهى بي الأمر إلى أن أفهم شيئاً ما. وهو أننا، أيّاً كان ما نفقده وأيّاً كان ما نتعرّض له، يبقى أننا بشرٌ. حتى إذا كان المرء محروماً من أطرافه الأربعة، وبما أنّ هذا المرض ليس قاتلاً، يجب عليه أن يواصل حياته. وسط هذا الكفاح العبثي الذي تمّ خوضه في أعماق الظلمات، نتشبّث بهذه النقطة الوحيدة: كنّا بشراً، وحاولنا أن نحافظ على افتخارنا بذلك. ربّما هذا هو السبب الذي جعلني أحاول أن أكون «في حالة إصغاء». أعتقد أنّ الإنسان كائنٌ موهوب بهذه الطاقة. ومن حينٍ إلى آخر، «سمعتُ» أصواتاً.

العصافير التي كانت تأتي إلى تينشوين والحشرات والأشجار والنباتات والأزهار. الرياح والمطر والنور. القمر. كانت لكلّ منها كلماتها الخاصّة، أنا على قناعة تامّة بذلك. إنّ الإصغاء إليها يكفي لكي نملأ الفراغ الذي في داخلنا. إنّ الوجود في غابة تينشوين كافٍ، لأنّ العالم موجودٌ فيها. في الليل، يكفي أن نُرهف السمع إلى همس النجوم كي نشعر بطواف الخلود.

الزبائن لا يعودون إلى المتجر وأنت منزعج ومتضايق للغاية. أنت لا تقول لي ذلك صراحة لأنّه لك جوهرٌ أصيل، ولكن ما حدث بسببي يواصل تأثيره على المتجر، أليس كذلك؟ القانون

الخاصّ بالوقاية من الجُذام أُلغي، ولكن المجتمع لم يتغيّر في شيء، كما يُقال.

على الرغم من كلّ شيء، كن في «حالة إصغاء» إلى كلّ شيء. أصِخ السمع إلى الكلمات التي لا يسمعها الأشخاص الطبيعيون، اصغِ، اصغِ واصنع الدورایاكي خاصّتك. هذا سيكون كافياً، أنا متأكّدة من ذلك، لكي يفتح أمامك آفاقاً جديدة، أمامك وأمام متجر دوراهارو.

اعذرني على طريقتي في التعبير عن رأيي دائماً بهذا الشكل. ولكنني متأكّدة من ذلك.

سوف تنجح في الخروج من هذا المأزق السيئ.

حينما ستصبح الأحوال أفضل، تعال لزيارتي، إذا أردتَ ذلك، أنا أتمنى ذلك. وسوف أكون سعيدة برؤية واكانا أيضاً. كن بخير.

توكي يوشي

مكتبة
telegram @ktabpdf
telegram @ktabrwaya
تابعونا على فيسبوك
جديد الكتب والروايات

24

شارف شهر فبراير على نهايته، وبدأت أولى نسمات الرياح الدافئة تهبّ.

هزّت الزوابع المفاجئة للرياح الجنوبية شجرة الكرز أمام المتجر، والتي بدأت تزيّن نفسها ببراعم صغيرة غزَت أغصانها. وربّما لأنّ درجات الحرارة كانت قد ارتفعت، كان بعض المارة قد نزعوا معاطفهم ووضعوها تحت سواعدهم.

ولتجنّب السماح للغبار بالعبور إلى داخل المتجر، أغلق سينتارو بشكلٍ شبه كامل الواجهة الزجاجية الجرارة وكان يصرخ من خلال الفجوة المتروكة: «مَن يريد **دورایاكي**!»

تزايد حجم العمل شيئاً فشيئاً.

كانت فطائر **الدورایاكي** بالملح لا تزال قيد الإعداد، ولكن ربّما تحت تأثير تغيّر الفصل، بدأ الزبائن الذين هجروا المتجر يعودون إليه من جديد. كانوا يتعارفون على بعضهم، ويبدو عليهم بعض الحرج وهم يقولون: «لقد قبضت الراتب» أو «لقد اشتهيتُ فطيرة **دورایاكي** للمرّة الأولى منذ زمنٍ طويل»، فيردّ سينتارو عليهم بابتسامة خفيفة.

وكان الأسلوب الذي تتّبعه مالكة المتجر في التعبير عن رأيها قد تغيّر أيضاً بعض الشيء، فقد قالت وهي تراجع دفتر الحسابات: «في ظلّ هذه الظروف، ربّما سننجو من هذا المأزق».

كانت أسارير وجهها تنفرج أحياناً. لم يكن قد تمّ التغلّب على الأزمة تماماً بعد، وكان سينتارو يُدرك ذلك، لكنّه كان يشعر بأنّه سيكون بإمكانهم أن يتنفسوا الصعداء في النهاية. هكذا بدأ فصل الربيع.

كان الوقت بعد الظهيرة، وبينما كانت الرياح التي هبّت في الصباح قد هدأت، حينما ظهرت مالكة المتجر وفتحت الباب السحّاب المجاور لطاولة المحاسبة. كان يقف خلفها رجلٌ شاب. أخبرت الرجل وهي تشير بذقنها إلى سينتارو: «المدير، السيّد تسوجي». ظلّ الفتى يمضغ علكة، وقدّم نفسه بعد أن ألقى تحية شكلية: «اسمي تاناكا».

- لقد فكّرتُ كثيراً، أتعرف ذلك؟ كان الأمر مفاجئاً، وقد رأيتني أتأسّف على ذلك، يا سينتارو، ولكن... أودّ أن يعمل هذا الصبي معك.

استعجَلَته مالكة المتجر وحثّته بكلمة: «هيّا!»، فتقدّم الفتى الذي كان قد عرّف نفسه باسم تاناكا خطوة إلى الأمام. كان شابّاً مثلَ الذين نراهم في هذه الأيام، حيث كان يرتدي بنطال جينز واطئ الخصر ينزل عن وركيه. لا بدّ أنّه كان في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمره.

سأل سينتارو مندهشاً:

- هل سنعمل معاً؟

- هذا ابن أختي. وهو يحمل شهادة من مدرسة لفنون الطبخ وكان يعمل في مطعمٍ. ولكنّه واجه بعض المشاكل مع زملائه. وهذه مسألة ليست سهلة في المطبخ، أليس كذلك؟

تركت مالكة المتجرة نهاية جملتها معلّقة، كما لو أنها تسعى إلى الحصول على موافقة سينتارو.

- فجأةً، قدّم استقالته، غاضباً. في هذا الشتاء، لم يقُم بالتصرّف السليم، أليس كذلك؟

أطلق الفتى ضحكة قسرية وهزّ رأسه.

- إذاً، يا سينتارو، أودّ أن تأخذ هذا الأمر بمثابة قرارٍ منّي، بصفتي معلّمة هذا المتجر. في الشهر المقبل، سوف نقوم بتجديد المتجر. أريد أن أجعل منه محلاً نقدّم فيه **الدورياكي والأوكونومياكي**، أي أنّنا سوف نقدّم الصنفين معاً. متجرٌ لتقديم الأطباق المحلّاة والمُملّحة.

- ستقومين بتجديد المتجر؟

- نعم بالطبع... سيكون علينا أن نوسّع مجال العمل أكثر من الآن بقليل. ولكن هذا الأمر يأتي في الوقت المناسب، كما ترى، إذ يبدو أنّ الزبائن قد بدأوا بالعودة إلى المتجر، ومن ثمّ، هناك الكثير من طلّاب المرحلتين الإعدادية والثانوية الذين يمرّون من هنا. سوف يكون ابن أختي متحدّثاً جيّداً بالنسبة إليهم.

حاول سينتارو، الحائر، أن يقاطعها:

- كلا، لحظة واحدة، من فضلكِ.

- أعرف، أعرف.

حرّكت يدها بعنف ومنعته من إكمال جملته.

- هذا غير متوقّع، بكلّ تأكيد. أنا آسفة على ذلك. ولكن أنا أيضاً، لم يعُد أمامي الكثير من الوقت، كان عليّ أن أفكّر بجدّية. صدفةً، ابن أختي، هذا الصبي الذي اعتنيتُ به منذ كان طفلاً صغيراً، دخل في مجال التدريب والتعلّم في مجال المطاعم، وبالتالي فكّرتُ فيه منذ بعض الوقت. وبالتالي، أطلب منك الدعم والتأييد. لا يزال تنقصه الخبرة والتجربة، لكنّه صبيّ طيّب. أودّ أن تقوم بتدريبه وتأهيله.

- ولكن، أنا...

نجح سينتارو بجهدٍ جهيد في أن يبتلع المرارة التي غَزَت فمه.

- أنت قادرٌ على ذلك. بما أنّك مصرٌّ بحزم على أن تُحسّن حجم الأعمال الذي انخفض كثيراً. لقد أدركتُ أخيراً ما كان زوجي يراه فيك. وبالتالي، سوف نحافظ على لافتة المحلّ. دوراهارو سيبقى دوراهارو. وسوف تواصل صنع **الدورایاكي** هنا في المتجر. وأريدك علاوة على ذلك أن تدرّب وتؤهّل المعلم المستقبلي. من فضلك.

بدفعٍ من مالكة المتجر، انحنى الفتى وقد علَت شفتيه ابتسامة خفيفة. وبصوتٍ خفيض، ردّد صدى جملتها: «من فضلك».

- سوف ننقل إلى هذا المكان الصاج الذي سوف نستخدمه في خَبْز **الأوكونومياكي**. أمّا **الدورایاكي**، فسوف نضع الصاج الخاصّ به، هناك، في عمق المطبخ.

من دون أن تهتمّ بسينتارو بعد ذلك، أخذت مالكة المتجر تشرح تفاصيل مشاريعها التحديثية للفتى. قالت:

- المساحة المخصّصة **للدورياكي** لم تكن قبالة الواجهة الزجاجية الجرّارة، هل تعرف سبب ذلك؟

وإذ عجز عن الإجابة، اكتفى سينتارو بالنظر إلى كليهما.

t.me/ktabpdf

25

كان ضوء الأنوار العامّة في الشارع يدخل عبر الفرجة الموجودة بين الستائر وقضبانها. ملتحفاً بلحافه في السرير، كان سينتارو يتأمّل الأشكال الهندسية التي يرسمها الضوء على سقف الغرفة.

سمع صوت مواء قطّ في الخارج.

كان قد مضى ما يُقاربُ الشهر على استقالته من متجر دوراهارو.

كان فصل الربيع قد حلّ ولكن من دون جدوى. فقد ظلّ حبيساً في بيته. يتغذّى على وجبات يشتريها جاهزة من متجر صغير ويمضي أيامه من دون أن يفعل أيّ شيء. يكتفي بأن يراقب الوقت وهو ينقضي.

لم يكن بوسعه أن يستمر بهذه الطريقة.

كان يعلم ذلك جيّداً. ولهذا السبب، في ذلك اليوم، وفي الوقت نفسه الذي ابتاعَ فيه علبة من المعكرونة المجفّفة، اشترى أيضاً مجلّة خاصّة بعروض فرص العمل.

منذ اللحظة التي استوفى فيها شروط العمل، كان مستعداً لأن

يتّصل هاتفياً بأي مكان، من دون تذمّر أو تعالٍ على أيّ فرصة. كما كان قد تحصّل على كدسٍ من الاستمارات من أجل سيرته الذاتية. لكنّه كان عبثاً يقلّب الصفحات، فكانت كلّ فرصة تطرح مشكلة. وقبل كلّ شيء عمره. في حالات نادرة جدّاً، لم تكن المؤسسات الطالبة للموظفين تفرض حدوداً على سنّ طالب الوظيفة، ولكن في تلك الحالات، كانت تلك المؤسسات تطلب على وجه التأكيد كفاءات خاصّة واستثنائية للمتقدّم إلى الوظيفة. عدا عن رخصة قيادة السيارة، لم يكن سينتارو يمتلك أي شهادة أخرى. لم يكن هناك ما يفعله. كانت كلّ عروض العمل تواجهه ببابٍ مُحكَم الإغلاق.

- هذا غير ممكن...

كان يغمغم بهذه العبارة مرّات عديدة، قبل أن يعود إلى الوضع الذي أصبح اعتيادياً بالنسبة إليه. سار إلى جانب كومة الملابس المتّسخة، المطلوب غسلها والتي كانت تشكّل كتلة داكنة اللون.

ظلّ على هذه الحالة حتى المساء. ثمّ أصغى إلى صوت مواء القطّ الذي بدا أنّه يروي له شيئاً ما. كان يتساءل عمّا يريد هذا الحيوان أن يعبّر عنه.

تُرى هل كان القطّ يموء حزناً؟ أم حبّاً؟ بأيّ هدفٍ، كان هذا القطّ يصيح، إذاً؟ بدايةً، هل هو قطٌّ ذَكر أم قطّةٌ أنثى؟

وهو لا يزال مستلقياً في سريره، أطلق سينتارو تنهيدة خفيفة.

عادت رسالة توكي إلى ذاكرته.

أن يكون المرء في حالة الإصغاء، كانت تقول؟

ماذا عسانا أن نسمع، حسب رأيها؟

حتى مع هكذا صوت مسموع تماماً، لم يكن لدى سينتارو أدنى

فكرة عمّا كان يريد القطّ أن يقوله. إذاً، لم يكن من المرجّح أن يسمع همس فاصولياء **الأزوكي**.

من طرف عينه، تفحّص سينتارو الجدار الغارق في العتمة.

في نهاية المطاف، كان خاسراً. لم يكن يرى تفسيراً آخر.

في هذه الحالة، ألَمْ يكن من الأفضل بالنسبة له أن يعلّق حبلاً في مكانٍ ما من هذه الغرفة ويُنهي كلّ شيء مرّة واحدة وإلى الأبد؟

وهو يجول بنظرته في فضاء الغرفة، فكّر في المكان الذي سيعلّق الحبل فيه. تفحّص مواقع مختلفة، ولكن عدا قضيب الستارة، لم يكن هناك أيّ شيء يمكن تعليق حبلٍ فيه. يتدلّى من القضيب مثل ستارة؟ بدت له الفكرة هزلية، فبدرت منه ضحكة خفيفة.

انتهى إلى أن غمغم:

- ناكرٌ للجميل... ربّما.

بهذه العبارة كانت مالكة المتجر قد عاتبته حينما قدّم استقالته من العمل في متجر دوراهارو. لم يجد سينتارو بنفسه شيئاً لكي يردّ به عليها.

- هل تتخيّل في أيّ حالة نفسية مدّ زوجي يده إلى مجرم محكوم عليه سابقاً؟ ماذا إذاً، هل ستدع ابن أختي يسقط؟ أيّ تربيةً تلقيتها؟ أودّ لو أرى رأس والديك.

في اليوم الذي دعاها فيه للمجيء لكي يُعيد إليها ما تبقّى من النقود ويسلّمها رسالة استقالته، جعل سينتارو نفسه يُرهَق بالقدح والذمّ والإهانات، وقد عومِل مثل وغدٍ مجرّدٍ من الوفاء والعرفان بالجميل.

لم يستطِع أن يعارضها في أيّ شيء. ظلّ بكلّ بساطة واقفاً أمامها في مكانه بلا حراك.

كان يعلم ذلك. كانت احتجاجاتها في جزءٍ كبيرٍ منها مبرّرة.

حقّاً، لقد كان من المتعذّر إصلاحه. لطالما كان يخون. لقد خان الجميع، بما فيهم والديه. متى وكيف بدأ انحرافه؟ كان سينتارو يجهل ذلك. ببساطة، لم يكن الأمر يتعلّق بتحوّل مفاجئ... بدا له أنّه قد تغذّى على بواكير ذلك الانحراف منذ نعومة أظفاره. لم يكن قد حاول أن يعيش باحتشامٍ ثمّ فشل في ذلك، بل عاش فعلاً باحتشامٍ وأدبٍ، وكانت نتيجة ذلك هذه الحياة الشبيهة بحقلٍ من الركام والأنقاض. باختصار، إذا كان سينتارو يعاني ويتألّم، فذلك لأنّه كان هو على حقيقته. ولذلك كان يتخبّط في هذا المساء أيضاً. أينما كان يستدير، كان يشعر بأنّه يختنق، وكان يئنّ لعدّة مرات مثل حيوانٍ جريح. فكّر بوسائل شنق نفسه أيضاً. لم يكن لديه حبل.

في هذه الحالة، هل سيفيد الفتيل الذي يُستخدم في حزم الطرود، أو حزام خصر؟

أدار نظرته نحو الطاولة. في علبة كرتونية موضوعة إلى جانبها، كانت تتراكم الأواني التي تُرِكَت له بمثابة مكافأة وتعويض له بعد مغادرته للمتجر. قدر **الساواري** المفضّل لديه. في ذلك القدر النحاسي، كانت الزبادي تتكدّس فوق بعضها. ملعقة الخلط البلاستيكية وكذلك المغرفة. المخفقة والملعقة المضادة للصدأ ومريوله.

كان سينتارو، الذي ظلّ صامتاً، يتأمّل المحتوى غير المرتّب لأشيائه التي كانت تتجاوز العلبة الكرتونية.

عادت الأيام التي أمضاها في المتجر إلى ذاكرته.

وجّه الزبائن الذين كانوا يقفون في الدور على الجانب الآخر من الواجهة الزجاجية.

طالبات المرحلتين الإعدادية والثانوية اللواتي كنّ يمزحن ويقهقهن من حول طاولة تقديم الطلبات.

شجرة الكرز التي تغيّر مظهرها على مرّ الفصول.

توكي، وهي واقفة تحت تلك الشجرة.

- **دورایاكي**...

عاوده الإحساس بالوعاء وملعقة المزج المطاطية بين يديها.

صفاء فاصولياء **الأزوكي** المسلوقة حديثاً. رائحتها الزكيّة والفوّاحة.

- **دورایاكي**... مَن يريد **دورایاكي**؟

عضّ سينتارو على شفتيه.

- مَن يريد **دورایاكي**؟

حينما لفظ مرّة جديدة هذه الجملة، سار شيءٌ ما على طول خدّيه. أغلق سينتارو قبضتي يديه. تنفّس متنهّداً وكزّ على أسنانه.

كانت توكي قد كتبت إليه: سوف تنجح في الخروج من هذا المأزق السيئ. فكّر سينتارو بأنّه قد أضاف خيانة أخرى إلى رصيده. لم يكن قد أوفى بأيٍّ من وعوده.

- مَن يريد **دورایاكي** لذيذة؟

ولأنّه كان يجهد لكي لا يبكي، ارتعش صوته.

عانق وسادته ودفن وجهه فيها. ثمّ، من دون أن يعرف لماذا، فكّر من جديد في شجرة الكرز الموجودة أمام المتجر.

كان موعد الإزهار الكامل للشجرة، ولا شكّ أنّها، هذه السنة أيضاً، مغطاة بالأزهار، مثل سحابة تسقط من السماء. في الشارع، كان المارة يقفون بكلّ تأكيد، منبهرين بالأزهار.

في المتجر أيضاً، بكلّ تأكيد، كانت هناك بتلاتٌ شاردة. تُرى هل تلك الطالبات في المرحلة الثانوية اللواتي تذمّرن لأنّهنّ وجدن بتلاتٍ في **الدورياكي**، يواصلن التردّد على المتجر الذي يديره الآن المدير الجديد؟

26

في تلك الليلة، رأى سينتارو حلماً.

رأى أنّه يتسلّق ضفّة نهرٍ في مكانٍ غير معروفٍ. كان المكان عبارة عن موقعٍ فيه وديانٌ ومرتفعات. لمع تحت أنظاره وميضٌ مائلٌ إلى الزرقة. كان سرير النهر واسعاً وكان مجراه هادئاً. وقف سينتارو في مكانه ونظر إلى صفحة الماء، التي كانت منخفضة بحدود عشرة أمتار.

كما لو كان يجد نفسه في ملتقى تيارين من المياه، كان يشعر بوضوح حركات الماء. كانت العديد من الخطوط البيضاء تتلاقى مع بعضها تارةً وتتباعد تارةً أخرى، راسمة بذلك شبكة لامعة ورائعة المنظر.

ماذا عساه أن يكون هذا الأمر؟ ولشدّة مراقبته للمشهد، أدرك سينتارو أخيراً.

كانت عبارة عن بتلات الزهور.

رفع سينتارو نظره مع التيار، نحو الأعلى. حينها، قفزت السحابة البيضاء الناصعة التي تغطّي جانب التلّة أمام ناظريه.

انطلاقاً من المنحدر الذي يشرف على النهر وحتى بلوغ الأعالي، لم تكن هناك سوى أشجار الكرز المليئة بالأزهار.

تسلّق سينتارو التلّة خطوة بخطوة، باتجاه ذلك الضوء المبهر. كان صوت زقزقة العصافير يصل إلى مسامعه. وكانت الرياح تحمل إليه شذى طيّب الرائحة. تدريجياً، كانت سحابة أشجار الكرز تقترب منه. وكانت البتلات التي تتراقص في السماء تبدو لمّاعة هي الأخرى.

وصل سينتارو بخطوات واسعة إلى المكان الذي تنتشر فيه أشجار الكرز. كان المكان أشبه بحفرة مشرقة، محاطة بأشجار مزهرة. دخل سينتارو إلى داخل المكان ونظر من حوله، منبهراً بكلّ شجرة من أشجار الكرز. كانت الأحاسيس والانفعالات الهاجعة بصمت في الأشجار تنبعث فيه مرّة واحدة كلّ عام، مثل انفجار الفرح والبهجة في داخله، وكان يشعر بذلك في تلك اللحظة.

كانت الأزهار بالتحديد ذلك الطرب الخالص. وهو يصف الحلقات، سار سينتارو حتى وصل إلى حافة النتوء الذي يطلّ على النهر. في اللحظة التي بدا وميض الماء من جديد أمام ناظريه، صعد نسيمٌ منعش نحوه. في الوقت نفسه الذي فاحت فيها رائحة طيّبة في المكان، ارتفعت حزمة من البتلات التي كانت تدوّم في الهواء. استمتع سينتارو بذلك الوابل من الأزهار القادمة من الأسفل. كان الضياء يسكن كلّ شيء في المكان. كان، وهو يسطّع، يفيض من الماء المائل إلى الزرقة ومن أشجار الكرز ومن السماء، بالطبع.

كان طائران يحلّقان ويخفقان بجناحيهما ويلامسان سطح الماء.

ساكناً في مكانه من دون حراك، تساءل سينتارو عن هذا المكان الذي يوجَد فيه.

- يا معلّم!

أحسّ بأنّ أحداً ما يناديه والتفت إلى الوراء.

كان صوت فتاة.

في الممرّ بين أشجار الكرز، كان هناك مقهى صغير لتقديم الشاي. كانت الريح تتلاعب بلافتة تعِدُ بتقديم **غوهي موتشي**، أي «كيك الأرز» وهي عبارة عن حلوى تُحضّر بالأرزّ المحمّص والمتبّل بنكهة الجوز. كانت رائحة شهيّة تدغدغ منخرَي سينتارو. اشتهى أن يتناول قطعة منها.

- يا معلّم!

سُمِع صوت الفتاة من جديد.

أمام المقهى الصغير، كانت هناك طاولات خشبية، يجلس إليها زبائن قَدِموا إلى المكان للاستمتاع بمنظر أشجار الكرز المزهرة. كان الصوت الذي ينادي سينتارو يأتي من هذه الأنحاء.

اقترب سينتارو من المقهى الصغير.

كانت فتاة تجلس إلى طاولة منعزلة.

- صباح الخير!

نهضت من مكانها وانحنت أمامه. أدرك على الفور بأنّها هي. مبتسمةً، قالت له: «انظر!» وأشارت إلى ياقة صدارها. كان الصدار أبيضَ ناصعاً.

- أمّي هي مَن خاطته لي.

كان الصدار يتألّق في ضوء الربيع. وكانت بتلاتٌ من شجرة الكرز تتساقط عليه، بتلة تِلوَ أخرى.

- لا بدّ أنّ حضرتكِ سعيدة.

على الرغم من أنّ مخاطِبَتَه كانت طفلة، إلّا أنّ سينتارو خاطبها بصيغة احترامٍ وتقدير.

أجابت الفتاة الصغيرة: «نعم».

سأل سينتارو:

- هذا هو المكان إذاً؟

- نعم. قريتي الأمّ، إنّه مكانٌ في غاية الجمال.

جلس سينتارو قبالتها إلى الطاولة. كان يوجد على الطاولة طبقٌ من أصابع حلوى الرزّ المغطاة بحشوة الفاصولياء الرائبة، وكذلك جرّة صغيرة وكوب. أشارت الفتاة الصغيرة إليها بيدها وقالت: «تفضّل».

بدا أنّ الكوب لم يكن يحتوي على الشاي، وإنّما على ماء ساخنٍ كانت تطفو على صفحته بتلاتٌ من أزهار شجرة الكرز.

قبل أن يتذوّق منها، سأل سينتارو الفتاة الصغيرة:

- هل سقطت بتلات الأزهار في داخل الكوب؟

هزّت رأسها نافية:

- كلّا، هذا **ساكورايو**. نوعٌ من الشاي العشبي الذي يُعدّ من أزهار الكرز مضافاً إليه قليلاً من الملح، مع عطرٍ زهري لطيف.

- آه حقّاً؟ شاي عشبي بزهر الكرز؟

كانت تلك المرّة الأولى التي يسمع فيها سينتارو بهذا المشروب.

ردّد بصوتٍ خفيض اسم المشروب: «ساكورايو». حينذاك، شعر بأنّ البتلات تدخل إلى قلبه. مع أنّ الأمر كان يتعلّق ببتلاتٍ كانت تحلّق في الهواء، ولكنّها كانت تخترق جسم سينتارو وتتلاشى وسط وميضٍ من النور. أو بالأحرى كلا، لم تكن تختفي.

«. . . نوعٌ من الشاي العشبي الذي يُعدّ من أزهار الكرز مضافاً إليه قليلاً من الملح، مع عطرٍ زهري لطيف. . .»

لم تعد كلمات الفتاة الصغيرة تغادر ذهن سينتارو أبداً. بدا له بأنّ بتلات أزهار شجرة الكرز التي كانت تحيط به قد فاضت فجأةً. طَرَف بعينيه.

«أيّ مشروب عساه أن يكون هذا الشاي العشبي؟»

رفع كأسه وأشارت الفتاة الصغيرة إلى الجرّة الصغيرة بإصبع مستقيم.

«في المنزل يتمّ وضع هذا المشروب في محلولٍ ملحي. افتحها لكي ترى».

رفع سينتارو غطاء الجرّة الصغيرة. كانت مليئة بأزهار ذات لونٍ ورديّ خفيف. فاح عبيرٌ قويّ وعذب من الجرّة وغطّى المكان.

- آه!

- هذه ليست أزهار شجرة الكرز الموجودة في يوشينو، وإنّما من فصيلة الخوخيات. إنّها محفوظة في الملح.

- هذا جميل!

لم يجد سينتارو كلمات أخرى، وهذا ما كان يزعجه ويضايقه.

- حينما ننقعه في الماء الساخن، نحصل على مشروب زهر الكرز.

وهو يُصغي إلى شروحات الفتاة الصغيرة، ألقى سينتارو نظرة جديدة على كوبه، كما لو أنّه يريد مقارنة محتواه مع الأزهار في المحلول الملحي.

في الماء الساخن، كانت أزهار الكرز تصعد إلى سطح الماء. يبدو أنّها كانت قد عُزِلَت عن كأس الزهرة من دون أن تُتلَف؛ بالتأكيد كان قد تمّ دعك بعض الزهور ولكنّها بعمومها كانت متفتّحة.

استغرق سينتارو لبرهة في التأمّل فيه. ثمّ، كما لو أنّه خضع للأمر الواقع، رفع الكوب إلى شفتيه.

كانت رائحة الأزهار قوية. كما لو أنّ شجرة كرزٍ قد أزهرت في فمه أيضاً. وفي الوقت نفسه، سرت نكهة لذيذة في سقف فمه.

«... نوعٌ من الشاي العشبي الذي يُعدّ من أزهار الكرز مضافاً إليه قليلاً من الملح، مع عطرٍ زهري لطيف...»

كانت الفتاة الصغيرة على حقّ في كلامها. كان التناغم بين الملح والروائح الزكيّة تامّاً وممتازاً.

هذا هو بالضبط.

وضع سينتارو بهدوءٍ ولطف كوبه على الطاولة ونظر بثباتٍ إلى أزهار الخوخيات بالملح في الجرّة الصغيرة.

هذا هو بالضبط... ما كان يبحث عنه.

قال سينتارو:

- هذا... حسب كمية الملح، كان عبير الزهر يفوح زيادةً أو نقصاناً... على سبيل المثال، زهرة واحدة أو زهرتين في حشوة الدورارياكي...

نهض من مكانه جزئياً، دون أن ينتصب في وقفته.

لم تعُد الفتاة الصغيرة موجودة أمامه.

ابتسامتها وصدارها الأبيض الناصع المرصّع ببتلات الأزهار، اختفى كلّ شيء من أمام عينيه.

نهض سينتارو وجال سريعاً ببصره من حوله. لم يعد هناك أيّ أثرٍ لتلك الطاولات ولأولئك الناس الذين جاؤوا للاستمتاع بمنظر أشجار الكرز والمقهى الصغير ولافتته التي رآها ترفرف في الهواء. من حوله، لم تعُد هناك سوى أزهار أشجار الكرز التي تلتمع بالبياض. حتى الطاولة التي كان لا يزال يلمسها قبل برهة قصيرة، وقطع الحلوى بالرزّ على شكلِ أصابع والكوب الموضوع عليها، بل وحتّى الجرّة الصغيرة التي كانت تحتوي على أزهار الكرز المملّحة تبخّرت تماماً ولم يعُد لها أيّ أثر.

محاطاً بهالة ووهج الأزهار، صاح سينتارو لمرّات عديدة باسم الفتاة الصغيرة، ولكن باستثناء البتلات التي كانت تدوّم بلا توقّف، لم يتغيّر المشهد. حينذاك، أدرك أخيراً بأنّه كان يتوه في مكانٍ لا يمتُّ إلى العالم الواقعي في شيء.

وهو يستشعر بأنّه سوف يُعاد إلى عالم الحقيقة والواقع، فكّر بأنّ عليه أن يذهب إلى اللقاء بالفتاة الصغيرة.

كان عليه أن يذهب إلى لقائها ويسألها.

المكان الذي ولدتِ فيه... ذات يوم، أخبرتني بأنّ نهراً كان يجري فيه، أليس كذلك؟ وأنّ أشجار الكرز فيه كانت رائعة. وأنّ الناس في ذلك المكان يحفظون أزهار الكرز في الملح.

هل سبق لكِ أن تناولت بعضاً منها مع طبقٍ محلّى بالسكّر؟

27

على الجانب الآخر من السور الطويل المكوّن من أشجار البهشية، كانت تنتصب أشجار كرزٍ مزهرة.

كانت الرياح تحمل بتلات متساقطة وتتلاعب بها.

تقدّم سينتارو وواكانا بصمت.

«في المدرسة الثانوية، هل ستنتسبين إلى نادٍ؟»

كلّما كان الصمت يخيّم عليهما، كان سينتارو يطرح سؤالاً غير ذي أهمية.

«أوه . . . لم أقرّر بعد».

كان سينتارو هو مَنْ اتّصل بها هاتفياً. لا بدّ أنّه تردّد كثيراً في ذلك، إذ كيف لرجلٍ في سنّه أن يدعو فتاة صغيرة في الخامسة عشرة من عمرها، ولكنّ، بسبب مارفي، كان عليهما أن يذهبا معاً إلى تينشوين، لمرّة واحدة على الأقلّ.

منذ أن رأى ذلك المنام، لم تعُد أزهار الكرز المملّحة تبارح ذهنه. كان قد بحث عن تفسيرٍ له على الإنترنت أيضاً. وحينما علِم أنّ ذلك موجودٌ فعلاً، أصابه توتّر وقلق شديدان بحيث أبقى عينيه

مغمضتين لبرهة من الوقت. لكنّه، حينما فكّر كثيراً، رفض فكرة أن يطلب بعضاً منها وأن يحاول مباشرة إضافتها إلى **الدورایاكي**. إلى ذلك الحين، لم تكن الظروف قد تهيّأت ونضجت. لأنّه سوف لن يتمكّن من أن يجرّبها مع **الدورایاكي** التي سيعدّها بنفسه. ومن ثمّ، إذا كانت أزهار الكرز المملّحة موجودة فعلاً في القرية الأمّ لتلك الفتاة التي التقى بها سابقاً، فإنّه يريد أن يستخدم بالتحديد تلك الأزهار.

كان قد بعث من فترة قصيرة جدّاً بطاقة بريدية إلى توكي كي يُخبرها بزيارته برفقة واكانا. لم يكن متأكّداً إن كانت البطاقة البريدية قد وصلت إليها أم لا، ولكن بدا له أنّه من غير المرجّح أن تكون توكي غائبة عن المصحّ أثناء زيارتهما. قال في نفسه بأنّه ما أن يصل إلى المكان سوف يذهب للقائها. كان يعرف عنوانها. إن لم يجدها في المخزن، ما عليه سوى الذهاب مباشرة إلى بيتها.

فوق غابة تينشوين، كانت السماء بلونٍ أزرق كاشف. على الجانب الآخر من السور الشجري، كانت أشجار الكرز المزهرة تموج وأشجار السنديان الياباني تتمايل متلألئة.

- ها أنتِ تدخلين إلى المدرسة الثانوية... إنّه الربيع، ليس هناك ما يُقال.

- أصبحنا في عزّ الربيع.

- أشجار الكرز أيضاً ربّما أصبحت في ذروة إزهارها.

- ربّما، نعم.

وبما أنّ واكانا كانت لا تزال منبهرة بالمشهد، قرّر سينتارو أن يفاتحها بالموضوع.

- في الحقيقة، كنتُ أريد أن أحدّثكِ عن أمرٍ منذ مدّة، ولكن، ولكنّ السيّدة يوشي... بالنسبة إلى الكناري...

- مارفي؟

- نعم، مارفي. أخبرتني السيّدة يوشي بأنّها تُريد أن تُعيد إليه حريته. وأنّها تشعر بأنّه يريد الخروج من القفص.

- نعم.

- لكونها لم تستطِع أن تخرج من هنا خلال فترة طويلة، أعتقد أنّها تُدرك من دون شكّ معنى أن يُحبَس عصفورٌ في القفص. إذا كان قادراً على الطيران، أنا أيضاً أعتقد بأنّه من الأفضل أن يُطلق من القفص. إذا ما جهّزنا له مذوداً، أعتقد أنّه سوف يستطيع أن يعيش في غابة تينشوين.

دون تردّدٍ يُذكَر، قالت واكانا بصوتٍ رزين:

- نعم.

- ربّما أنتِ أيضاً على علمٍ بذلك، لم يعُد متجر دوراهارو موجوداً.

- نعم، أعلم ذلك.

كانت واكانا تسير خلفه على بعد عدّة خطوات، فأسرعت خطاها قليلاً واقتربت منه.

- لماذا توقّفتم عن العمل؟

- اعتبرَت مالكة المتجر بأنّه لم يعُد هناك إقبالٌ على فطائر الدورایاكي.

- لم يعد لديّ أيّ مكانٍ أذهب إليه في طريق عودتي من المدرسة.

قال لها سينتارو:

- هيّا بنا إذاً!

فاقتربت واكانا منه أكثر وقالت:

- حسناً...

- ماذا؟

- سوف أنضمّ إلى مدرسة عامّة. في دروس مسائية.

- حقّاً؟

لبرهةٍ، غدت نظرة واكانا قاسية.

- هذه هي الحقيقة. في النهار، سوف أعمل.

- أصدّقكِ.

من دون تفكير، تابع سينتارو، قائلاً:

- ولكن، أيّاً كانت المدرسة التي تنضمين إليها، يبدو لي أنّ كلّ شيء يتوقّف عليكِ.

- هذا ما يقوله الجميع. بما فيهم أستاذي الرئيس. ولكن لا أحد ذهب إلى الدروس المسائية.

- هذا صحيح، في الواقع.

- وأنت؟ هل اتّبعت المسار الكلاسيكي؟ هل كنتَ مجتهداً في المدرسة؟

- في الحقيقة، كنتُ في مدرسة ثانوية كلاسيكية.

ساد صمت؛ استدار سينتارو إلى الخلف. كانت واكانا تمرّر يدها على طول السور الشجري، ويبدو عليها الضيق.

- إذاً، أنا الوحيدة في الدروس المسائية.

- بالتأكيد، ولكن... مع ذلك...

- لا يملك أهلي نقوداً، ولذلك يجب أن أعمل. وبالتالي، ذهبتُ إلى دوراهارو. ولكنك لم تكن هناك.

- آسف.

- لم أُخبرك بذلك! كانت السيّدة يوشي قد أخبرتني، ذات يوم، بأنني ربما أستطيع العمل في متجر دوراهارو. فجأةً، أُصبتُ بخيبة أملٍ شديدة. بل وغضبتُ بعض الشيء أيضاً. ألن تعود إلى إعداد **الدورایاكي** في مكانٍ آخر؟

- أرغب في ذلك كثيراً.

- حقّاً؟

- سوف يكون أمراً جيّداً إذا ما استطعنا أن ندير متجراً معاً.

أطلق هذه الجملة مثل دعابةٍ، ولكنّه تعجّب هو نفسه من قدرته على النطق بهذه الكلمات. لقد شعر بطريقة أو أخرى بأنّه قد أخرج في تلك اللحظة ما كان يحبسه في داخله منذ أن ترك العمل في متجر دوراهارو.

اقتربت واكانا منه وأصبحت تسير إلى جانبه. نقرت بأطراف أصابعها على الحقيبة التي كانت تحملها على كتفها.

- لقد جلبتُ هديّة للسيّدة يوشي.

- حقّاً ما تقولين؟ ما هي؟

- حاول أن تخمّن ما هي.

لم تكن لدى سينتارو أي فكرة عن ذلك. بعد أن فكّر في الأمر كثيراً، خمّن قائلاً: «سترة داخلية» وسخرت منه واكانا.

- لقد أخفقت! إنّه فصل الربيع، فلماذا سترة داخلية؟

- ماذا عساها أن تكون إذاً؟ أعطني علامة.

- شيءٌ لا يؤكَل.

- ليس هذا ما سيساعدني.

في النهاية، لم ينجح سينتارو في تخمين ماهية الهدية. من دون أن يُدركا ذلك، كانا قد تجاوزا سور أشجار البهشية ووصلا إلى أمام مركز التوثيق حول مرض هانسن. هناك أيضاً، كانت أشجار الكرز المزهرة بالكامل تندف، ولكن الصمت كان لا يزال على حاله.

- آه، ها قد وصلنا.

كانت عبارة واكانا مشُوبة بشيءٍ من الكآبة أو الارتباك. مرّا أمام تمثال الأمّ وطفلها في زيّهما الخاصّ بالمرضى وسلكا الطريق الذي يطوف حول مصحّ تينشوين.

- أشجار الكرز رائعة.

- هذا صحيح. يظنّ المرء نفسه في حلمٍ.

كانت أشجار الكرز التي تحاذي الممرّ فعلاً في منتهى الروعة. كانت تتلألأ فوق رأسيهما، كما لو أنها تجذب إليهما كلّ الضوء المحيط بالمكان. كان هذا هو الأثر الذي تركه المنظر على سينتارو. كان هناك أيضاً أناسٌ جاؤوا للاستمتاع بمنظر الأزهار والإعجاب بها، ربّما كانوا من سكّان الحي، أو ربّما من المرضى السابقين في مصحّ تينشوين.

- أين تسكن السيّدة يوشي؟

- لم أذهب أبداً إلى بيتها ولكن لديّ عنوانها، وبالتالي، إذا لم نجدها في المخزن، سوف نبحث عن بيتها وفق العنوان المدوّن على المخطّط الموجود في المصحّ.

هزّت واكانا رأسها، وهي تغمغم: «مع ذلك، أنا قلقة بعض الشيء».

ومثل كلّ مرّة، كان هناك أناسٌ في المخزن وآخرون يقفون أمامه. كان الجميع كباراً في السنّ. وكان الكثير من الرجال يضعون نظارات شمسية.

ألقى سينتارو نظرة على الداخل، عبر باب المخزن المفتوح على مصراعيه. وصل في التوقيت نفسه الذي كان قد حدّده في البطاقة البريدية، لكن توكي لم تكن موجودة في أيّ مكان من المخزن.

- أعتقد أنّه سوف يكون علينا أن نذهب إلى بيتها.

لكنّ واكانا لمست ذراعه بلطف وقالت:

- هناك، السيّدة التي تنظر إلينا، لقد التقينا بها في المرّة الماضية.

من على الطاولة الأبعد، نهضت المرأة التي كانا يعرفانها.

- آه، هذه السيّدة موریاما.

كانت تحدّق بثبات في سينتارو الذي وجّه إليها إشارة من رأسه، فاقتربت منهما بخطى بطيئة.

- صباح الخير! يسعدني أن أراكِ من جديد.

هَمّ سينتارو بإلقاء التحية عليها بحماسٍ ومرح.

غمغمت السيّدة موریاما:

- في الواقع...

- لقد جئنا لنرى السيّدة يوشي. لقد أرسلتُ إليها حديثاً بطاقة بريدية، ربّما لم تستلمها بعد.

- في الواقع...

وضعت السيّدة موریاما يدها أمام فمها المشوّه من جرّاء المرض وحاولت أن تتكلّم. بدت وكأنّها تبحث عن كلماتها وأغمَضت عينيها لبرهة.

- في الحقيقة، في الواقع... أنا مَن استلمتُ بطاقتك البريدية. هلا جلستما، من فضلكما؟

كان صوتها لطيفاً بالتأكيد ولكنها لم تترك أيّ مجال للجدال. تبادل سينتارو وواكانا نظرة وجلسا إلى الطاولة التي أشارت إليها السيّدة موریاما.

- يا واكانا... يا معلّم...

- نعم. هذا اسمي، في الحقيقة.

- أصغيا إليّ بهدوء...

- ماذا؟

خيّم صمتٌ لبرهة.

- لقد ماتت توكي.

ظلّ سينتارو جامداً في مقعده، فاغراً فمه. إلى جانبه، قفزت واكانا من مكانها.

أحسّ سينتارو بأنّ الريح والزمن والسماء، أي كلّ ما هو غير مرئي اجتمع فجأةً في كتلة على هيئة قبضة ضربته في منتصف صدره.

«... معذرة؟»

كانت السيّدة موریاما تتفحّصه بنظرة حزينة، ولكن من دون أن تشيح ببصرها.

- أعطَتني توكي عنوانك، ولكنني لم أنجح في الوصول إليك. في الأسبوع الماضي، ذهبتُ إلى المتجر. رأيتُ أنّه قد تحوّل إلى محلٍّ لبيع فطائر الأوكونومياكي. سألتُ الفتى إن كان لديه رقم هاتف معلّم دوراهارو الذي كان يعمل هنا قبلاً، ولكنّه أخبرني بأنّه لا يعلم أيّ شيء عنه. وقد احترتُ في أمري من جرّاء ذلك.

كان سينتارو غير قادرٍ على الكلام، وكان يُمسك فقط بجبينه. بعد مضي بعض الوقت، انحنى أمام موریاما. احتاج إلى قوّة خارقة لكي يغمغم بعبارة «أنا آسف».

قالت السيّدة موریاما:

- لقد مضى ما يقارب عشرة أيام على رحيل توكي عنّا.

ردّدت واكانا، رافضة تصديق الخبر:

- هذا ليس صحيحاً، هذا ليس صحيحاً.

- عشية ذاك اليوم، ذهبتُ لزيارتها. كانت واهنة جدّاً. ولكن بما أنّها كانت تعاني فقط من الحمّى، لم تشأ أن تذهب إلى المستشفى. فبقيتُ معها في البيت. في ذلك الحين، نقلت إليّ رسالة في حال أنّ... قلتُ لها إذا كان وضعها حرجاً لهذه الدرجة، سوف أتّصل بك، لكنّها رفضت ذلك. قالت لي بأنّه حتى لو حصل لها مكروه، فعليّ فقط أن أكتب إليك.

هزّ سينتارو رأسه. لم يكن يستطيع أن يصدّق أمر وفاتها.

- كانت توكي تعتبرك بمثابة ابنها، هل تعلم ذلك؟

لم تكن لهجتها اتّهامية. كانت السيّدة موریاما تعبّر فقط عن رأيها بصراحة.

- لقد أُصيبَت بالتهاب رئوي.

كان سينتارو يعلم بأنّ عليه أن يقول شيئاً، ولكن لم يكن أيّ شيء يخرج من فمه. إلى جانبه، كانت واكانا متحجرة في مكانها.

- لقد ودّعناها إلى مثواها الأخير في موكب تشييع صغير. أحببتُ لو أنّك كنتَ حاضراً، ولكنّك كنتَ قد غيّرت مكان عملك، وكانت لديك اهتماماتك الخاصّة. باختصار، حدث كلّ شيء على نحوٍ مفاجئ.

هزّ سينتارو رأسه مرّة أخرى.

- والسيّدة يوشي، أين...

حاول أن ينطق الكلمة التالية، ولكنّ شفتيه ارتجفتا.

- أين...

تعثّر في الكلام عند الكلمة نفسها.

مسحت السيّدة موریاما أطراف عينيها بأصابعها المشوّهة، وهي تجيب بدقّة عن السؤال الذي كان سينتارو يحاول أن يطرحه:

- الآن... هي ترقد في المرْمَدة. لقد انضمّت فيها إلى زوجها.

- هكذا إذاً.

تغلّبت هذه الهمهمة القصيرة على مقاومة سينتارو. لم يعُد قادراً على التحكّم بتأثّره أكثر، فاستند بمرفقيه إلى الطاولة ودفن وجهه بين يديه. وكانت واكانا أيضاً، خفيضة الرأس إلى جانبه، تَجهش بالبكاء.

- ولكن حسناً فعلتما بمجيئكما إلى هنا. لقد تحقّقت أمنية توكي. إذاً، الآن، هل تريدان الذهاب إلى بيتها؟ من فضلكما.

هزّ سينتارو رأسه بصمت موافقاً. وأجابت واكانا بصوتٍ أجشّ: «نعم».

28

عادت السيّدة موریاما إلى ممرّ المجمّع المحاط بصفٍّ من المساكن، التفّت في زاوية وتوقّفت. لم يكن المكان بعيداً كثيراً عن المخزن.

كان هناك فناءٌ نبتت فيه أعشاب. دخلت السيّدة موریاما إلى الفناء عبر الممرّ المرصوف بالحجر.

على جدار المنزل، المطلّ على الشارع، كانت هناك لوحة معدنية مكتوبٌ عليها «ريوكوفو»، «ريح الصيف».

على خطى السيّدة موریاما، سار سينتارو وواكانا وعَبَرا الحديقة. كان المجمّع يضمّ بلا شكّ أربعة مساكن، وكانت هناك نوافذ عديدة متشابهة تماماً تمتدّ على نحوٍ متلاصق.

كانت شقّة توكي هي الأخيرة من بين المساكن، في أقصى الصفّ. سحبت السيّدة موریاما باب طاقة من الألمنيوم مزجّجة، لم تكن مقفلة.

- ألا يزعجكما أن ندخل من هنا بدل المدخل؟

لا شكّ أنّ تلك الطاقة المزجّجة كانت عبارة عن باب الشرفة.

كانت أرضية الغرفة مفروشة بموكيت أزرق اللون تمّ مدّه حتى الأطراف المفروشة بسجادٍ يمكن الجلوس عليه. بالقرب من النافذة، وُضِع قفص طائرٍ تعرّف عليه سينتارو في الحال. ولكن الكناري مارفي لم يكن داخل القفص. لاحظ سينتارو ذلك، ونظر خلسة إلى واكانا. كانت عيناها المبللتين قد التفتتا أيضاً نحو القفص.

- ادخلا، من فضلكما.

كانت غرفة مساحتها ما يقارب عشرة أمتار مربّعة ومفروشة بستّ حصائر من نوع تاتامي. لا بدّ أنّ المطبخ كان في عمق الشقّة، حيث يمكن مشاهدة مغسلة وثلّاجة.

بدا أنّ سقف الغرفة مصنوع من ألواح خشبية مستعملة، وكان طلاء الجدران مصفرّاً، وفي بعض الأماكن مسودّاً. وكانت هناك طاولة وخزانة ورفّ من الخشب المعاكس وقد صُفّت عليها بعض الكتب. كما كانت هناك طاولة صغيرة وضِع عليها جهاز تلفاز. أمّا الفرش والشراشف وما شابهها فلا بدّ أنّها قد رُتِّبَت في الخزانة، لأنّ ذلك كان كلّ ما هو مرئيّ في الغرفة.

- هنا في هذه الغرفة... توفيّت السيّدة يوشي، أليس كذلك؟

- كلا، في الفترة الأخيرة، كانت قد نُقِلَت إلى المستشفى. ولكنني لم أتخيّل قط بأنّها سوف ترحل بهذه السرعة.

بناءً على دعوة السيّدة موریاما، خلع سينتارو وواكانا أحذيتهما ودخلا إلى مسكن توكي. كان المطبخ غارقاً في العتمة، ولكن، بالقرب من الطاقة المزجّجة، كانت هناك بقعٌ ضوئية صغيرة.

فوق الرفّ المصنوع من الخشب المعاكس، كانت هناك عدّة صور.

- في هذه الصورة، توكي وزوجها يوشياكي.

وهي تحاول أن تمسك بعودٍ من البخور بأصابعها المعوّقة، أدارت السيّدة موریاما وجهها نحو الصور.

قالت واكانا بصوتٍ فيه غنّة، وقد انسدّ أنفها:

- كانت جميلة، السيّدة يوشي...

فكّر سينتارو في داخله: «هذا صحيح».

كانت كلّ الصور بالأبيض والأسود وتظهر توكي، بلا شكّ وهي في العشرينيات من عمرها. كانت تسريحة شعرها وزينتها على الطريقة القديمة، كما في الأفلام السينمائية القديمة، ولكنّ وجهها كان متألقاً جداً بحيث كان من الصعوبة أن نصدّق بأنّها كانت مريضة. كان أنفها مستقيماً تماماً ونظرتها أيضاً مليئة بالحيوية. كانت تشبه الفتاة الصغيرة التي التقى بها سينتارو في الحلم. كانت تبتسم برقّة للرجل الواقف إلى جانبها، والذي كان يبادلها الابتسامة بالرقّة نفسها.

حسبما قالت لسينتارو، كان زوجها يبدو أكبر منها سنّاً بكثير ورقبته وكتفاه هزيلة، كان يبدو واهناً جدّاً.

ببساطة، كان هناك فارقٌ واحدٌ مقارنة بما روته توكي لسينتارو.

حسبما تذكّر، كانت قد وصفت له رجلاً طويل القامة «مثل شجرة جوز الهند». ومن جرّاء ذلك، كان قد تخيّل رجلاً طويل القامة جدّاً. لكن الرجل الظاهر في الصورة، على الرغم من أنّه كان يتجاوز توكي قليلاً في طول قامته، لم يبدُ له أطول قامة من متوسّط طول القامة عند الرجال اليابانيين.

بالطبع، لم يشوّش ذلك ذهن سينتارو إلا قليلاً. فقد فكّر مباشرةً بأمرٍ آخر. في الصورة، كانت توكي متألّقة جدّاً، بحيث حينما فكّر في المصاعب الكثيرة التي ألمّت بهما فيما بعد أحسّ بأنّه كان مظلوماً على نحوٍ رهيب.

أشعل سينتارو وواكانا أعواداً من البخور وضمّا أيديهما أمام الزوجين اللذين كانا قد ابتسما أمام صندوق الكاميرا قبل عدّة عقودٍ من الزمن.

- إذا كنتما توافقان على رأيي، أعتقد سيُسعدها أن تراكما تحملان بعضاً من هذه الأعواد.

في زاوية من المطبخ، كان هناك فرنٌ صغير وإلى جانبه صندوق خشبي. كان الصندوق مليئاً بأواني صنع الحلويات.

حوضٌ نحاسي وملعقة خشبية لإعداد حشوة الفاصولياء. كما كان هناك أيضاً غربالٌ ناعم لتكرير الهريسة الرائبة والحصول على حشوة خالية من القطع الصغيرة. وكذلك قطعة حديد صغيرة لوضع علامة على **ريكيو مانجو**، تلك الأقراص الصغيرة من الحلوى التي كانت تُحضّر على البخار وقالب لمعجون فاصولياء **اليوكان** وسلّة لخبز أصابع الحلوى بالرزّ على البخار. كما كانت هناك أواني كثيرة لإعداد الحلويات الشرقية. وإلى جانبها قوالب من أحجام وقياسات مختلفة وكذلك قوالب للكعك والكيك. وملعقة لتزيين الكعك بالكريمة وخفّاقة. كانت قوالب وأكواب الحلويات قد جُمِعت في كيسٍ بلاستيكي.

- نحن أيضاً، كان سيطيب لنا أن نتقاسم بيننا الأواني الصالحة للاستخدام. ولكننا كبرنا جميعاً في العمر بمرور الوقت وسوف

نموت بالتأكيد في اليوم التالي لليوم الذي سنتقاسم فيه هذه الذكريات. . .

في تلك اللحظة، أفرجت السيّدة موریاما عن ابتسامة خفيفة.

- وبالتالي، يا معلّم، فضّلنا أن نعطيها لشخصٍ مثلك. كلّ ما هو موجود هنا سوف يتمّ تصفيته. سوف يختفي كلّ شيء.

جثا سينتارو على ركبتيه إلى جانب الصندوق الخشبي ومدّ يده نحو أواني المطبخ التي تركتها توكي. حينذاك، عادت إلى ذاكرته جملة كانت قد نطقت بها حينما عرّفت عن نفسها في متجر دوراهارو. قالت آنذاك:

«. . . لم أتوقّف عن صنع الحلويات طيلة خمسين عاماً. . .»

تذكّر سينتارو ذلك بوضوح. في ذلك اليوم، ظهر تعبيرٌ عن الفخر والاعتزاز على وجه توكي بطريقة عابرة.

قلّب سينتارو الأواني بأطراف أصابعه.

- لقد استُخدِمَت لزمنٍ طويل، أليس كذلك؟

عرض سينتارو ملعقة خشبية قديمة أمام السيّدة موریاما.

- ومع ذلك، سيكون من الأفضل أن تعود هذه الأواني إلى حلقة صنع الحلويات في المصحّ، أليس كذلك؟

هزّت السيّدة موریاما رأسها، نافية:

- حلقة صنع الحلويات لم تعد فاعلة عملياً. . . خلال السنوات العشر الأخيرة.

- حقّاً؟

- منذ أن أصبحنا أحراراً في الخروج من هنا، يمكننا أن نقوم

بما يطيب لنا ويُسعدنا. الآن وقد أصبح بإمكاننا أن نشتري الحلويات من السوبر ماركت، لم تعد لدينا الفرصة لكي نجتمع جميعاً ونحضّر معاً الحلويات.

هزّ سينتارو رأسه صامتاً.

- ولأنّ توكي كانت من النوع المبادِر والمغامر، ربّما كان هذا التغيير يُحزنها.

- كانت ترغب في العمل في المطبخ.

- نعم. ثمّ أنّها...

لم تكمل السيّدة موریاما جملتها.

أخذ سينتارو يرتّب الأواني في الصندوق الخشبي. ومن ثمّ حزم بعض الأواني في منشفة قطنية.

- سوف أستخدمها مع الشكر والامتنان.

تُرى متى سيقف من جديد خلف صاجٍ لخبز الحلويات؟ لم تكن لديه أدنى فكرة عن ذلك. ولكنّه مع ذلك سوف يحتفظ بهذه الأواني على سبيل الذكرى.

حينما غادر سينتارو المطبخ لكي يدخل إلى الغرفة الرئيسة، وضعت السيّدة موریاما علبة من البسكويت على طاولة المكتب.

- هذه لكما.

فتحت غطاء العلبة، فظهرت رزمة من الأوراق.

- قبل أن يتمّ نقل توكي إلى المستشفى، أعطتني هذه الرسالة. وقد طلبت منّي أن أسلّمك إياها، في حال لم تعُد، لأنّها كانت تريد أن تطلب منك العفو والسماح.

ناولته الأوراق المبعثرة. تبادل سينتارو وواكانا نظرة.

- الرسالة لم تنتهِ. هي من أخبرتني بذلك.

أمسك سينتارو بالأوراق.

- إذا كنت ترغب، اقرأها هنا. لأنّها بلا شكّ قد أمضَت الوقت هنا في كتابتها، سطراً بعد سطر.

هزّ سينتارو رأسه موافقاً على الفكرة وفتح ورقة الرسائل. كانت تحت أنظاره تلك الكتابة المميّزة جدّاً، المُتقَنة على نحوٍ رهيب ولكن المتعرّجة في الوقت نفسه.

السيّد تسوجي العزيز

اسمح لي أن أتجاوز الشكليات والصيغ التقليدية.

حينما ستتلقّى هذه الرسالة، سيكون الطقس قد أصبح من دون شكّ أقلّ برودة.

كنتُ قد قرّرت ألّا أعود للكتابة إليك لأنّ كلماتي لم تعُد سوى هراء امرأة عجوز، لكنّ زكامي استمرّ وهذا ما يقلقني بعض الشيء ويجعلني أتساءل إن كنتُ سأراكما، واكانا وأنت، مرّة أخرى. ولذلك، وبما أنني أدين لك بالاعتذار وأحرص أشدّ الحرص على أن أخبرك بأمرٍ مهمّ، أمسكتُ بالريشة لأكتب إليك.

لنبدأ بمسألة الاعتذار.

في حين أنني كنتُ قد وعدتكما بأنني سأعتني بالكناري مارفي، في الحقيقة، أطلقتُ سراحه سريعاً جدّاً. لفرط ما أصغيتُ إلى صوته، أدركتُ بأنّه كان يطلب منّي أن أدعه يغادر القفص.

لقد تردّدت بعض الشيء وأنا أفكّر في واكانا، ولكنني أنا التي عانيتُ من عدم القدرة على الخروج من هنا، لم تكن لديّ أسباب مقنعة لكي أحبس في قفصٍ ضيّق كائناً يمتلك جناحين.

ربّما لم يكن مارفي قادراً على العيش من دون مساعدة الإنسان، ولكن وأنا أراه يردّد على مسامعي بأن أدعه يخرج من القفص، وهو يحدّق بعينيه إلى السماء الزرقاء الصافية، لم أستطع أن أُقاوم رغبته تلك، وأطلقتُه من القفص.

من فضلك، أخبر واكانا بأنني أطلب منها المعذرة.

حينما كنتُ طفلة، لم يكن لديّ حلمٌ خاصّ بشأن المستقبل. ففي نهاية المطاف، كانت الحرب مندلعة، وبدا لي بأنّه عليّ أن أهتمّ وأنشغل بمعرفة إلى متى سأبقى على قيد الحياة بدل الانشغال بالمهنة التي أتمنى أن أمارسها.

ولكن بعد أن أُصبتُ بهذا المرض، وحينما أدركتُ بأنني سوف أُبعَدُ إلى الأبد عن العالم الخارجي، عرفتُ ما أودّ أن أفعله، وكنتُ حائرة كثيراً.

بدايةً، وكما أخبرتك بذلك سابقاً، كنتُ أريد أن أصبح معلّمة مدرسة. كنتُ أحبّ الأطفال وكنتُ أحبّ الدراسة أيضاً. في الواقع، درستُ في مدرسة المصحّ، وحينما بلغتُ سنّ الرشد، حدث أن أعطيتُ دروساً لمرضانا الصغار في السنّ أيضاً.

ولكن لكي أخبرك بكلّ شيء، أردتُ أن أنتقل إلى الطرف الآخر من السور الشجري. أردتُ أن أندمج في المجتمع وأن أعمل وسطه بالفعل. كما يحلو للعبارة الرائجة، أردتُ أن أكون

نافعة للمجتمع، في أيامي المقبلة. هذه الرغبة لم تبارحني أبداً. واستمرّت تلك الرغبة حتى حينما كنتُ مريضة، ولكن حتى بعد أن تعافيتُ، لم أستطع الخروج من المصحّ. بينما كنتُ أرغب أشدّ الرغبة في أن أعمل وأن أصبح نافعة، كنتُ في الواقع حبيسةً ومحتجزة بين هذه الأسوار، وكنتُ أدفع ضريبة الناس.

لا أدري كم مرّة تمنّيتُ أن أموت. لا شكّ أنني كنتُ أعتبر في قرارة نفسي بأنّ الذين لا يخدمون المجتمع لا يساوون شيئاً. لأنني كنتُ مقتنعة بأنّ الناس يولدون لكي يكونوا نافعين.

متى وكيف تطوّرت هذه القناعة وترسّخت؟

ما أتذكّره جيّداً، هو أنّ ذلك قد حدث بينما كنتُ أتجوّل لوحدي في غابة المصحّ وأنا أندهش وأستمتع بالقمر الذي كان قد أصبح بدراً ويشعّ بكلّ أنواره. كان ذلك في المرحلة التي أصبحتُ فيها «في حالة الإصغاء» إلى صخب الأشجار والحشرات والعصافير.

كانت الأجواء المحيطة تومض بضوء أزرق شاحب تحت صفاء القمر، وكانت الأشجار تتمايل كما لو أنّها تنشط بإرادة خاصّة، على هذا الدرب الضيّق وسط الغابة، كنتُ فعلاً وحيدة في مواجهة القمر. قلتُ في نفسي: يا له من جميل. منبهرة ومسحورة به، نسيتُ حتى أنني كنتُ أصارع مرضاً رهيباً وأنني لا أستطيع أن أخرج إلى خارج هذا السور.

وحينذاك، بدا لي فعلاً أنني كنتُ أسمع صوته. شعرتُ أنّ القمر كان يتوجّه إليّ بهمهمة خفيفة، قائلاً:

أردتُ أن تَرَيني.

ولهذا السبب أُضيء.

منذ تلك اللحظة، بدا لي كلّ شيءٍ في رؤية جديدة. من دوني، لم يكن لهذا البدر وجود. وكذلك الأشجار. ولا الريح. من دون النظرة التي كنتُها، كانت كلّ الأشياء التي كنتُ أراها ستختفي. كان الأمر في منتهى البساطة.

وفي حال لم نكن لا أنا ولا البشر موجودين، ما الذي كان سيحدث؟ ليس فقط البشر، لو أنّ العالم برمّته كان محروماً من الكائنات التي وهِبَت العاطفة، ما الذي كان سيحدث؟ كان هذا العالم الذي يكاد يكون لانهائياً سيختفي بالكامل.

ربّما تراني مصابة بجنون العظمة، يا معلّم. لكنّ هذه الطريقة في التفكير قد غيّرتني تماماً.

لقد وُلدنا لكي ننظر إلى هذا العالم، لكي نُصغي إليه. هذا كلّ ما يطلبه هذا العالم. وبالتالي، حتى لو لم أستطِعْ أن أصبح معلّمة مدرسة، ولا أن أعمل، كان لمجيئي إلى هذه الدنيا معنى.

وبما أنني تعافيتُ من المرض بسرعة نسبياً، استطعتُ أن أخرج من دون أن أنشغل كثيراً بالعواقب التي تركه عليّ. استطعتُ أن أعمل في متجر دوراهارو، أيضاً. حقّاً، لقد كنتُ محظوظة.

ولكن في جميع أنحاء العالم، هناك أيضاً أطفالٌ تنتهي حياتهم بعد أن يبلغوا بالكاد سنتين من عمرهم. إذاً، وسط الحزن والوجوم، يتساءل كلّ شخص عن معنى ولادة هذا الطفل.

الآن، أعرف الجواب. هذا بالتأكيد لكي يستطيع أن يشعر، بطريقته الخاصّة، بالسماء والريح والكلمات. العالم يولَد من

تصوّر هذا الطفل. وبالتالي، ولادة الطفل أيضاً لها بالتأكيد معنى.

بالطريقة نفسها، فإنّ ولادة كائنٍ مثل زوجي، قضى معظم حياته في الصراع مع المرض، والذي رحل عن هذه الدنيا وهو، إذا ما نظرنا إليه من الخارج، يعرب عن أسفه، هي الأخرى لها معنى. بما أنّه خلال حياته نظر إلى السماء والريح.

الأمر لا يتعلّق بضحايا مرض هانسن فقط، أنا متأكّدة من أنّ الجميع يتساءلون ذات يوم إذا ما كان لحياتهم معنى.

أمّا فيما يتعلّق بالجوّاب... حياتنا لها معنى. أنا أعرف ذلك تماماً، اليوم.

بالطبع، هذا لا يحلّ في الوقت ذاته المشاكل التي تواجهنا، ويمكننا أن نشعر أحياناً بأنّ الحياة هي سلسلة من الآلام.

أتعلم، لقد طرتُ من السعادة عندما كسبنا قضيتنا، عندما تمّ إلغاء القانون الذي كان يحبسنا في المصحّ وأصبح بوسعنا أن نخرج بحرية. لأننا كافحنا جميعاً ومعاً من أجل هذا الهدف على مدى عقودٍ من الزمن. لكنّ هذه الفرحة كانت أيضاً عبارة عن ألمٍ. القدرة على اجتياز سور أشجار البهشية والتجوّل في المدينة. القدرة على ركوب الحافلة أو القطار. القدرة على السفر إذا ما رغبتُ في ذلك. بكلّ تأكيد كلّ ذلك كان عبارة عن فرحة كبيرة. لن أنسى في حياتي اللحظة التي استطعتُ فيها أن أخرج، بعد مضي خمسين سنة على بقائي في المصحّ. لأنّ كلّ شيء كان يشعّ في ضياء بهيج. ولكن من كثرة ما سرتُ في الشوارع، أدركتُ أمراً ما. أينما حللت، لم أكن أعرف أحداً، ولم تكن لديّ عائلة كذلك. أينما حللت، لم أكن سوى مجهولة شاردة في بلدٍ مجهول.

كان قد فات الأوان.

كان العمر قد تقدّم بي كثيراً حينما مُنِحَت لي الحرية. لو أنّ ذلك حصل قبل عشرين عاماً خَلَت، ربّما استطعتُ أن أبني لنفسي حياةً في الخارج أيضاً. ولكن في السنوات الستين أو السبعين التي بلغناها، عبثاً يُقال لنا حسناً يمكنكم أن تنطلقوا من جديد، حيث نكون عاجزين ولا طاقة لنا.

إنّ فرحة القدرة على التجوّل في الخارج بقدر ما كانت كبيرة، بقدر ما كان الوقت قد ضاع، فالأيام التي لن تعود أبداً كانت تتحوّل إلى ألمٍ يغمرني. هل تفهم هذا الإحساس؟ كل الذين يعيشون هنا، حينما يخرجون في مشوارٍ إلى الخارج، يعودون منه منهكين. الأمر لا يتعلّق فقط بالتعب الجسدي، وإنّما هذا يعود إلى هذا الألم الذي سوف لن يختفي أبداً.

ولهذا السبب كنتُ أقوم بصناعة الحلويات. كنتُ أعدّ الكعك وأُطعمه للذين كانوا يراكمون الحزن والألم. وبهذه الطريقة، استطعتُ أن أعيش أنا أيضاً.

بالنسبة لك أيضاً، بالطبع، الحياة لها معنى. الفترة الأليمة التي أمضيتها خلف قضبان السجن واللقاء مع فطائر الدورياكي، كلّ هذا له معنى، حسب رأيي. من خلال كلّ هذه الظروف، أنت تعيش بالطريقة التي هي طريقتك. وسوف يأتي يوم بلا شكّ سيمكنك فيه أن تقول هذا، أن تقول: هذه حياتي. حتى إذا لم تصبح كاتباً، ولا حِرَفياً متخصّصاً في الدورياكي، سوف يأتي ذلك اليوم الذي تجد فيه نفسك، تكون فيه أنت نفسك.

في المرّة الأولى التي رأيتك فيها، كانت نزهتي الأسبوعية.

كنتُ أتمشّى معجَبَة بأشجار الكرز في الشارع التجاري حينما قادتني رائحة شهيّة إلى اكتشاف متجر دوراهارو. ورأيتك آنذاك. رأيتُ وجهك. بدت عيناكَ حزينتين جدّاً. كانت نظرتك تمنحك الرغبة في أن تسأل نفسك عمّا كان يؤلمك كلّ هذا الألم. كانت تلك حال عيني في الماضي. عيناي حينما استسْلَمَت لحقيقة أنّني لن أعود أجتاز أبداً سور أشجار البهشية. ولهذا السبب توقّفتُ أمام المتجر، كما لو أنني منجذبة إليه على نحوٍ لا يُقاوَم.

في تلك اللحظة، فكّرتُ لو أنّ زوجي لم يكن قد أُخضع للعقم القسري، لو كان لنا طفلٌ، لكان بكلّ تأكيد في سنٍّ يقارب سنّك. ومن ثمّ. . .

بدءاً من منتصف الرسالة، كانت الكلمات تصبح أكبر حجماً تدريجياً، والكتابة تسوء، لتتوقّف الرسالة عند هذا الحدّ.

أغمض سينتارو عينيه والأوراق في يده. لم يفتح أحدٌ فمه لبرهة من الوقت.

وأخيراً، واكانا هي التي باشرت في الكلام:

- كان عليّ أن آتي قبل الآن.

رفع سينتارو رأسه. فتحت حقيبتها وأخرجت منها كيساً ورقياً ووضعته بلطف وهدوء أمام صورة توكي. كان شريطاً أحمر اللون يلفّ العلبة.

- افتحيها لكي تستطيع توكي أيضاً أن تراها، وإلّا سيكون الأمر مؤسفاً.

بناءً على دعوة السيّدة موریاما، هزّت واكانا رأسها بالموافقة وفتحت الكيس بأصابع مرتعشة.

كان صداراً أبيض اللون.

- أنا لا أجيد الخياطة، ولذلك... اشتريته. لم يكن غالياً جدّاً.

جلست السيّدة موریاما بجانب واكانا التي أجهشت بالبكاء.

- أنا متأكّدة من أنّ توكي في سعادة غامرة الآن.

أمسكت بالصدار بين يديها وفردت كمّيه ومن ثمّ عرضته بجانب صورة توكي.

- إنّه رائع، أليس كذلك، يا توكي؟ لقد جلَبَت لكِ واكانا الصدار الذي كانت أمّكِ قد خاطته لكِ.

بأصابعها المشوّهة، مسّدت كتف واكانا المرتعش.

- واكانا...

لم تضف أيّ شيء. استمرّت فقط في مسد كتفها.

- واكانا!

حينما ناداها، أجهش سينتارو أيضاً في البكاء.

- شكراً!

ترك، ثلاثتهم، برهة من الوقت تمرّ على هذه الحالة. التزموا الصمت في انتظار أن يستعيدوا هدوءهم.

كان سينتارو ينظر إلى الحديقة. بدا أنّ الوقت قد مرّ بأقصى سرعة، بينما كانوا يبكون؛ فالضوء بدأ يميل نحو الاحمرار. كان يتراقص باستمرار على أغصان الأشجار. مسح سينتارو عينيه بأطراف

أصابعه ونظر إلى القفص الفارغ للطائر. حينها، فتحت موریاما فمها.

- كانت توكي تتساءل كيف ستطلب السماح والعفو.

- آه، بشأن الكناري؟

- نعم.

اقتربت السيّدة موریاما من سينتارو دون أن تنهض، وهي تزحف على ركبتيها.

- لا أدري إن كان من المناسب الحديث عن هذا الأمر الآن، في الوقت الذي قدّمت لها للتو صداراً، وكن... ماذا كان اسمه؟ ما...

- مارفي.

رفعت واكانا رأسها.

- لقد أطلقت مارفي من قفصه من تلقاء نفسها. قبل أن تتحدّث معك عن ذلك. كانت تتساءل كيف ستبرّر موقفها هذا، كانت حائرة ومُحرَجة.

قال سينتارو:

- كان ذلك مكتوباً في الرسالة أيضاً.

هزّت واكانا رأسها.

- ليست مشكلة. طالما أنّ مارفي كان يرغب في الطيران.

- في البداية، بقي في الحديقة، أو على السطح المقابل لنا. كان يعود إلى هنا لكي يأكل طعامه.

- حقّاً؟

عدلت واكانا من جلستها ولا يزال خدّاها مبلّلين.

- ولكنّه، لم يكن يجيد الطيران على نحوٍ جيّد.

أحنَت السيّدة موریاما رأسها، مندهشة.

- كلا، كان يطير على نحوٍ لا بأس به. ظللنا نراه على الأسطح، هنا وهناك.

- مارفي يطير؟

- الجميع يقدّمون له الطعام. هل تعلمين.

- حقّاً؟

منذ أن وصلت إلى بيت توكي، للمرّة الأولى انبسطت أسارير واكانا.

قال سينتارو:

- هذا أفضل، إذاً، أليس كذلك؟

هزّت واكانا رأسها بنشاط.

- ربّما حضنته لوقتٍ طويلٍ جدّاً.

أفرجت السيّدة موریاما عن ضحكة خفيفة.

- ربّما عليّ ألّا أتحدّث بهذه الطريقة عن سيّدة متوفاة، فما بالكم بشخصٍ كنتما متعلّقين به. ولكنني أشعر بأنّه من المسموح لي بذلك لأنني كنتُ صديقتها الوفية والمقرّبة، وبالتالي سوف أسمح لنفسي بأن أكون فجّة في كلامي.

- ماذا؟

- توكي، كانت تبالغ دائماً.

- كيف ذلك؟

- كانت تبالغ؟

- حينما سلّمت لي هذه الرسالة...

أدارت السيّدة موریاما نظرتها نحو الرسالة الموضوعة إلى جانب الصدار.

- لم أكن أنوي أن أقرأها، ولكن لم يكن هناك مغلّف ووقعت عيناي على بعض الكلمات. حول العالم كما هو... كانت تتحدّث عن ذلك، أليس كذلك؟

- نعم.

- قلتُ في نفسي، لا بأس، إنّها تبدأ من جديد. ألم تكن تتحدّث دون توقّف عن كون المرء في حالة الإصغاء، أيضاً؟

هزّ سينتارو رأسه موافقاً.

- أرجوك، لا تُسئ فهمي. ولكنّ توكي، حينما كان أحدهم يعجبها، كانت تقول دائماً هذه الأشياء. الإصغاء إلى صوت فاصولياء **الأزوكي**. أو أيضاً، أنّ القمر تكلّم معي.

قال سينتارو، مقاطعاً حديثها:

- ولكن، أنا... هذه الرسالة أراحتني، حتى أنني أفكّر أن أدع واكانا أيضاً تقرأها. ومن ثمّ، حتى إذا وافقنا على أنّها تُبالغ، شخصيّاً، ساعدتني هذه الرسالة عن نحوٍ مذهل.

مسحت واكانا من جديد عينيها. كانت السيّدة موریاما، وهي لا تزال مبتسمة، تنظر إلى سينتارو وواكانا؛ نهضت من مكانها واقترحت عليهما: «لنمشِ قليلاً. أودّ أن تقولا كلمة لتوكي».

سألت واكانا وقد انفتحت عيناها المبلّلتين واسعتين من الدهشة:

- كلمة للسيّدة يوشي؟

29

كانت السماء تكتسي لون غروب الشمس. وكان الأزرق الصافي يتحوّل شيئاً فشيئاً إلى الأحمر الزهري. كانت كلّ الأشياء المرئية، دون استثناء، مصبوغة بهذا التوهّج الطافح. المرمَدة أيضاً، كانت واجهتها المُنارة بالشمس المائلة للمغيب تشعّ كمنبع للضياء.

- حينما انضممتُ إلى حلقة صناعة الحلويات بناءً على دعوة توكي، كنتُ قد أخفقتُ للتوّ في محاولة للانتحار.

كانت السيّدة موریاما تسير، والضوء يسطع على ظهرها، أرتنا يدها اليسرى.

- لقد مزّقتُ أوردتي. ولكنني فشلتُ في المحاولة، ونجوت. منذ أن شاع المرض، عانيتُ من آلامٍ فظيعة. التوت أصابعي وأصبحت معقوفة وانفتح ثقبٌ في يدي ووجهي المتورّم لم يعُد إلى طبيعته. كنتُ امرأة ولكن كانت على رأسي ووجهي عُقيدات تنزّ قيحاً. لم أعُد أحتمل ذلك، فمزّقتُ أوردتي.

مع استمرارها في السير متجهة نحو المَرمَدة، واصلت الكلام وهي تدير وجهها نصف استدارة نحوهما:

- هذا المرض يسبّب ألماً يوصلك إلى حافة الجنون. وهذا الألم يستمرّ ويدوم، لذلك يختار البعض الموت. وأنا أيضاً أردتُ الموت. في ذلك الوقت، خارت قواي ولم أعُد أحتمل. ولكن، أتعلمان لماذا نجوت؟ حينذاك، دعتني توكي إلى أن أصنع الحلويات معها، وأن نعيش معاً. هذا ما قالته لي، أنا التي كنتُ أتألّم ولا أستطيع لا العيش ولا الموت في هذا السجن. ومن ثمّ، ربّما أشفقت عليّ وتعاطفت معي. لقد بدأت بهوسها الغريب، قائلة: «كوني في حالة إصغاء، اصغِ». ثمّ بدأت بحكاياتها في تخيّل الريح والسماء في الأماكن التي تأتي منها فاصولياء **الأزوكي**.

- معي أيضاً... ولكن نظراً إلى حشوة الفاصولياء التي كانت تعدّها، أنا متأكّدة من أنّها كانت صادقة.

بالتأكيد... واصلت السيّدة موریاما حديثها:

- أنا أيضاً، أصختُ السمع كما كانت توكي تفعل، وقرّبتُ وجهي من فاصولياء **الأزوكي**، لقد جهدتُ حقّاً لكي أكون في حالة إصغاء. ولكنني لم أسمع أيّ شيء. صوت الفاصولياء، يا للمبالغة! وأنت، يا معلّم؟ هل تسمع صوت الفاصولياء؟

كان سينتارو يسير بصمت ولكنّه هزّ رأسه، نافياً:

- كلا. أعتقد أن الأمر يتعلّق ببساطة بمعاملة الفاصولياء بهذه الروح.

- بالضبط. هذه هي المسألة، ولكنها كانت تكرّر هذا الأمر إلى درجة أنني في النهاية مللتُ منه. بدأ الآخرون أيضاً يعاملونها على أنّها كاذبة. في لحظة ما، وجَدَت نفسها معزولة وسط حلقة صناعة الحلويات.

- حقّاً؟

لم يكن سينتارو يعلم أيّ شيء على الإطلاق عن كلّ هذه الأمور.

- في تلك الفترة، تحدّثنا عن ذلك في كلّ سهراتنا. سألتها كيف لها أن تقول هكذا أشياء. قلتُ لها بأنّ هذا يُربِك الجميع ويشوّش ذهنهم.

- وماذا بعد؟

- لا أودّ أن أحبطك، ولكن... اعترفت توكي بذلك يومذاك. اعترفت بأنّه لا يمكن للمرء أن يسمع صوت فاصولياء الأزوكي. ولكن، حسب قولها، إذا ما عشنا على أمل سماعها، ربّما يحصل هذا الأمر ذات يوم. قالت لي بأنّ الطريقة الوحيدة لكي نحيا ونعيش هنا هي بالتأكيد أن نصبح نوعاً من الشعراء والشاعرات. إنّ النظر إلى الواقع وحده يمنح المرء الرغبة في الموت. لكي نتجاوز السور الشجري، كان الحلّ الوحيد هو أن نعيش كما لو أننا تجاوزنا السور فعلاً.

- حقّاً هكذا كانت السيّدة يوشي. كانت تتخطّى الحواجز في مكانٍ ما.

سألت واكانا:

- الحواجز؟

عادت إلى أذهان سينتارو الفتاة الصغيرة التي كانت قد دلّته على البتلات المنقوعة في المحلول الملحي تحت أشجار الكرز المزهرة.

كان على وشك أن يتحدّث عنها، ولكنه غيّر رأيه.

اعتقدَ بأنّ اللحظة لم تكن مناسبة لذلك.

وصلوا إلى أمام المَرمَدة. صالبت السيّدة موريراما يديها واستغرقت في التأمّل أمام البرج الغارق وسط أشعة الشمس المائلة إلى الغروب. قلّدها سينتارو وواكانا. ولكنّ السيّدة موريراما لم تتوانَ في السير على الممرّ الضيق الذي كان يقود إلى الغابة.

- هلّا ذهبنا؟

رفع سينتارو رأسه. كانت واكانا أيضاً تنظر، حائرةً، إلى السيّدة موريراما.

- السيّدة موريراما، هل الطريق من هنا؟

- نعم. من هنا.

- ولكنّ السيّدة يوشي ترقد في المَرمَدة...

ولأنها أشارت عليهما بالمجيء، سارا في إثرها. بسبب الأشجار التي كانت تنتصب على الجانبين، كان الطريق على الدرب الضيّق أكثر عتمة بكثير من الطريق المارّ من أمام المرمَدة. كانت السماء لا تزال تُضيء بأشعّة خافتة، ولكن في الممرّ الضيّق، كان الظلام قد خيّم.

وهي تتقدّم بخطى بطيئة، استأنفت السيّدة موريراما الحديث:

- كنتُ أحبّ كثيراً فاصولياء توكي. كانت تقول بأننا أحرار في تفكيرنا. يكفي أنّها قد علّمتني أن أشعر بوجودي، أن أشعر حتى في هذا الدرب الضيق كما لو أنني أسير في أيّ طريقٍ آخر في العالم. ولكنّ توكي لم تكن كاذبة على الإطلاق، هل تعلم.

- أنا مقتنعٌ بذلك.

- بالضبط. لم تكن تكذب.

توقّفت السيّدة موريراما واستدارت نحوهما. كانت أشجار

السنديان الياباني والصنوبر تنتصبُ في هذا المكان، متشابكة مع الشجيرات المنتشرة هنا، فكانت تجعل المكان أكثر عتمةً. وكانت السماء التي تُرى عبر أغصان الشجر وأوراقها حمراء اللون تماماً.

- كان ذلك قبل حوالي أسبوعٍ من وفاتها، على ما أعتقد. ذات مساء، كنّا نشرب معاً شوكولا ساخنة في بيتي، حينما حدّثتني توكي عن تجربة غريبة كانت قد عاشتها.

اقتربت واكانا من سينتارو.

- لا تقلقي، ليس هناك ما يخيف. لقد روت لي بأنّها... كانت تتنزّه على هذا الدرب الضيّق، تقريباً في توقيت اليوم نفسه، حينما سمعت الصوت للمرّة الأولى.

- أيّ صوت؟

- صوت الأشجار.

وإذ لم يعرف كيف يتصرّف، اكتفى سينتارو بأن أجاب: «آه حسناً». وواكانا التي كانت بالقرب منه تماماً، لم تحاول الابتعاد عنه.

- في الوقت الذي لم تَكن تكفّ عن التكرار للآخرين بأنّ يُصغوا إلى صوت الفاصولياء، سمعت هي الصوت للمرّة الأولى. صوتٌ يختلف عن صوت الكائن البشري.

- ماذا قال لها الصوت؟

كان صوت واكانا أجشّاً.

- حسناً، نقلت إليّ توكي ذلك وهي تضحك، ولكن... قال لها الصوت: أنتِ كنتِ شجاعة جدّاً.

- صوت الأشجار؟

- نعم. في كلّ خطوة كانت تخطوها، كانت كلّ الأشجار تتكلّم: أنتِ كنتِ شجاعة جدّاً، لقد أحسنتِ المقاومة حتى النهاية. كانت تلك هي المرّة الأولى، حسبما قالت لي. لن أنسى قط وجهها عندما تحدّثت لي عن ذلك. لقد عرفتها حينما كانت شابّة، بل وذهبتُ إلى حفلة زواجها الصغيرة. ولكن كانت تلك هي المرّة الأولى التي رأيتها سعيدة إلى هذه الدرجة. لقد حرصتُ على أن أتحدث معك عن ذلك، أنت الذي بنيتَ علاقة مع توكي. لأنّ حياتها لا ينبغي أن تستدرّ الشفقة. لم تنتهِ حياتها وسط الشقاء. أعتقد أنّ الأشجار قد تكلّمت فعلاً معها. لقد أحسنتِ المقاومة، يا توكي يوشي. لقد كنتِ شجاعة. أعتقد أنّ الأشجار قد قالت لها ذلك. لأنّ...

فاردة أصابعها المشوّهة، أشارت السيّدة موریاما إلى الغابة المحيطة.

- هنا، حينما يموت أحدُنا، يتمّ زرع شجرة جديدة.

التصقت واكانا بظهر سينتارو.

وجال هذا الأخير بنظره على الأشجار المحيطة به.

كانت كلّ شجرة منها شاهدة على حياة كلّ الذين أمضوا حياتهم هنا.

- بدأ الظلام يحلّ، ولكن... ها هي شجرة توكي.

بالقرب منهم تماماً، كانت هنا تلّة ترابية صغيرة وقد غُرِسَت في وسطها شجيرة صغيرة.

- لقد اخترنا جميعنا معاً شجرة كرز من جنس يوشينو. لأنّ توكي كانت تحبّ أشجار الكرز. كانت قد ترعرعت قرب مكانٍ يُدعى شينجو، في محافظة إهيمه، على ما يبدو. هناك، كانت أشجار الكرز رائعة، حسبما كانت تقول. غالباً ما كانت تقول بأنّها

تتمنّى لو أنّها تراها مرّة أخرى. آه، وشجرة الزان الياباني التي تقع خلفها، هي الشجرة التي زرعناها حينما توفيّ زوجها.

كان سينتارو، وواكانا التي تلتصق بظهره، ينظران إلى الأشجار في صمت. عند هبوب كلّ نسمة من الرياح، كانت الأوراق والأغصان تتواصل في ما بينها وكانت الغابة تُصدرُ حفيفاً.

كان صوت توكي، وهو ينذر بلطف أسماعهما، يبدو وكأنّه على وشك أن يعلو، هناك، بالقرب منهما تماماً.

خطا سينتارو خطوة نحو الغرسة الفتية. ومرّر يده برقّة على هذه الحياة الجديدة:

«السيّدة يوشي!»

داعب الأغصان بأطراف أصابعه.

وحينذاك، خلفه، أطلقت السيّدة موریاما صرخة اندهاش: «هذا هو إذاً!». نظر سينتارو إلى الاتجاه نفسه الذي كانت تنظر إليه السيّدة موریاما.

على الجانب الآخر من الغابة، كان يرتسم شبح سور الأشجار البهشية. وتماماً، كما لو أنّه ينبثق من بين الأشجار، كان القمر المكتمل يُنير من فوقها بلونٍ صافٍ.

أفرجت واكانا أيضاً عن صيحة خفيفة.

حينما كانت الريح تهزّ الأشجار، كان القمر المكتمل يختفي خلف الأغصان كاملاً أو في جزءٍ منه. ولكن نوره كان يصل إليهم على الرغم من كلّ شيء في فواصل منتظمة.

التفت سينتارو نحو الشُجيرة الصغيرة وهمس: «القمر بدرٌ».

تابعونا على فيسبوك telegram @ktabpdf
جديد الكتب والروايات telegram @ktabrwaya

دوريان سوكيغاوا

ملذّات طوكيو مكتبة 405

«في المرّة الأولى التي رأيتُكَ فيها، كانت نزهتي الأسبوعية. كنتُ أتمشّى معجَبَة بأشجار الكرز في الشارع التجاري حينما قادتني رائحة شهيّة إلى اكتشاف متجر دوراهارو. ورأيتُك آنذاك. رأيتُ وجهك. بدت عيناكَ حزينتين جدّاً، تماماً مثل عينيَّ في الماضي. ولهذا السبب توقّفتُ أمام المتجر، كما لو أنني منجذبة إليه على نحوٍ لا يُقاوَم».

❖ ❖ ❖

يعمل سينتارو في متجرٍ لبيع فطائر الدورياكي يقع في قلب طوكيو. تنقلب حياته رأساً على عقب عندما يوظّف توكي، السيّدة العجوز ذات الأصابع المشوّهة التي سوف تعلّمه كيف يعدُّ حشوة فطائره بحبّ وإتقان، إلى أن يصبح متجره مقصداً لذوّاقي هذه الحلوى اليابانية التقليدية. لكنّ توكي كانت تخفي سرّاً لا يمكن الإفصاح عنه، فاختفت من دون سابق إنذار مثلما ظهرت فجأةً، تاركة لسينتارو عبرة سترافقه مدى الحياة.

ملذّاتُ طوكيو هي رواية مؤثّرة وشاعرية تدور حول آلام الأجساد والقلوب، وحول الحبّ والعطف والصمود، ولكنّها قبل كلّ شيء حكاية لقاء غير متوقع بين شخصين يتشابهان أكثر ممّا يظنّان، على الرغم من اختلاف عمريهما وتطلّعاتهما.

إنها رواية رائعة، ووليمة تُلتَهَم دون اعتدال!

ISBN 978-9953-68-887-9
9 789953 688879

قراءات تنمّي الذات

المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء: ص. ب. 4006 (سيدنا)
بيروت: ص. ب. 113/5158
markaz.casablanca@gmail.com
cca_casa_bey@yahoo.com

© Iatsuro Kiuchi :صورة الغلاف